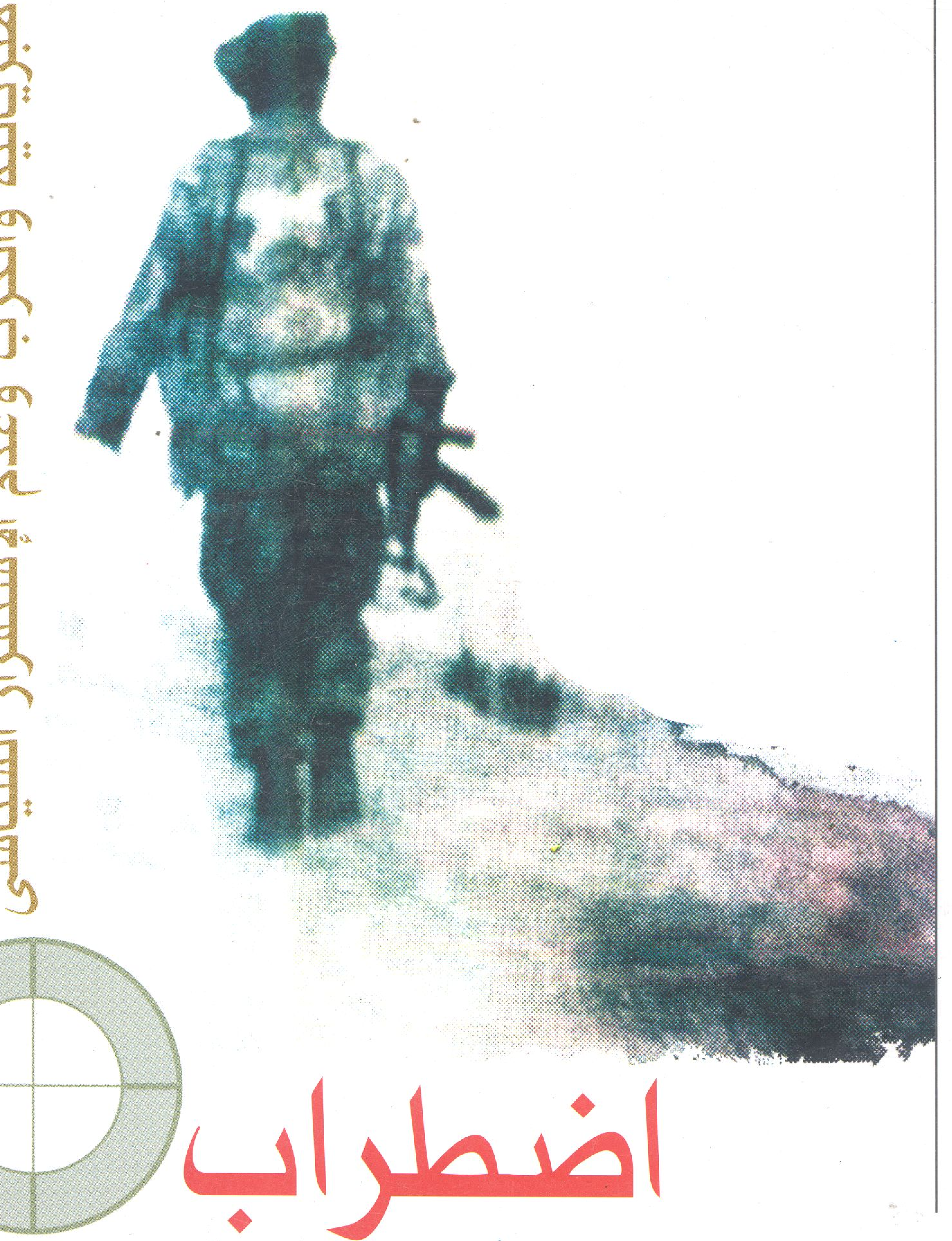
المجلس الأعلى للثقافة

المشروع القومى للترجمة

340



اضطراب فى الشرق الأوسط

الامبريالية والحرب وعدم الإستقرار السياسى

تأليف : بيرش بيربروجلو ■ ترجمة : فخرى لبيب

المشروع القومى للترجمة

اضطراب فى الشرق الأوسط

الإمبريالية، الحرب وعدم الاستقرار السياسى

تأليف: **بيرش بيربيروجلو**

ترجمة: **فخرى لبيب**



٢٠٠٢

قائمة المحتويات

هـذا الكتــاب

مكرس

لذكرى

جدى لأبى

«ديدى»

تقديم

كتاب اضطراب فى الشرق الأوسط: الإمبريالية، الحرب وعدم الاستقرار السياسى للبروفسور بيرش بيربيروجلو كتاب متوسط الحجم، يقع فى حوالى ١٦٠ صفحة (فى اللغة الإنجليزية) مشتملاً على ثمانية فصول. إنه يلقى الضوء على الشرق الأوسط خلال مرحلة عاصفة من تاريخه منذ الحرب العالمية الأولى وانهيار الإمبراطورية العثمانية حتى زمن إصداره عام ١٩٩٩، مروراً بالعديد من الأزمات والنزاعات التى أدت إلى عدد من الحروب، والهبات، والانقلابات، والتمردات، والثورات، فترة انتقال هامة وخطيرة فى تاريخ الشرق الأوسط، فترة الخروج من الزمن العثمانى إلى الزمن البريطانى- الفرنسى، إلى الاستقلال الوطنى، إلى الزمن الأمريكى وزرع الصهيونية فى المنطقة.

كما يتناول الكتاب التناقضات الداخلية التى تتجسد فى النزاع والصراع الطبقى والاثنى: أصوله ودوافعه، مقوماته وتوجهاته.

والمؤلف عندما يتناول هذا التاريخ الممتد طولا وعرضًا وعمقًا، فى تلك الصفحات التى تعتبر محدودة قياساً على ما اشتملت عليه، يقدم موجزًا وافيًا كثيفًا، يعكس عمق إلمامه بالموضوعات التى يتعرض لها، والذى يؤكد هذا الاستنتاج ذلك العدد الكبير من المصادر التى رجع إليها يستقى منها ما يؤكد طموحه ورؤيته، والتى بلغ عددها حوالى مائتى مصدر، غير أنه لم يكتب كتابه هذا على ضوء قراءاته للمصادر والمراجع فقط، لكنه قام هو نفسه بعدة زيارات للشرق الأوسط، زيارات إلى تركيا ومصر وسوريا وقبرص واليونان وأرمينيا ومراكش وتونس وإسرائيل والضفة الغربية، وألقى عدداً من المحاضرات فى الجامعات ومراكز أبحاث بالشرق الأوسط، والتقى بالعديد من الأساتذة فيها.

إن هذا الكتاب يحمل صفة السهل الممتنع، سهل فى تناوله وفى عرضه وفى تحليلاته وفى استنتاجاته، لكنه السهل الممتنع بما يحمله من عمق وجدية وشعور بالمسئولية، كما يتميز هذا الكتاب أيضًا بموضوعيته، التى لابد وأن تصل بصاحبها إلى الحقيقة التى يلزم نفسه بالوقوف إلى جوارها والدفاع عنها، حتى وإن اختلف فى السياق العام، مع موقف هنا أو موقف هناك، شأنه فى ذلك شأن أصحاب القضية أنفسهم، يتفقون ويختلفون فيما بينهم.

والمؤلف د.بيرش بيربيروجلو، أستاذ ورئيس قسم علم الاجتماع، ومدير معهد الدراسات الدولية بجامعة نيڤادا رينو، حيث كان يقوم بالتدريس والإشراف على أعمال البحث خلال الاثنين والعشرين عامًا الأخيرة. إنه مؤلف ومحرر ستة عشر كتابًا، والعديد من المقالات حول الشرق الأوسط.

هذا كتاب عن الشرق الأوسط أو ملف عن الشرق الأوسط، هام وضرورى للشباب حتى يعرفوا ماذا حدث؟ وماذا يحدث؟ وبالتالى ما الذى يمكن أن يحدث؟.

المترجم

تمهيد

ظل هذا المشروع قيد الإعداد قرابة عقد، وقد أوضحت فى كتاب سابق- هو "القوة والاستقرار فى الشرق الأوسط"- افتقاد هذه المنطقة من العالم لأى استقرار دائم: إنها منطقة تمزقها الحروب، وقد اعتبر الكتاب الحالى بمثابة ملحق لذاك العمل السابق، يلقى الضوء على تأثير الإمبريالية والحرب والاضطراب السياسى فى الشرق الأوسط عبر مجرى القرن العشرين منذ الدمار الذى حملته الحرب العالمية الأولى عبر العديد من الأزمات والنزاعات التى أدت إلى دورات من الحرب والهبات، والانقلابات، والتمردات والثورات.

وقد استفاد هذا الكتاب من عدة زيارات إلى الشرق الأوسط، عبر عدد من السنوات الماضية- زيارات إلى تركيا ومصر وسوريا وقبرص وأرمينيا ومراكش وتونس وإسرائيل والضفة الغربية عام ١٩٩٧، ولبنان عام ١٩٩٨، واليونان عام ١٩٩٩- زيارات منحتنى فرصة تقديم سلسلة من المحاضرات، ولقاء زملاء فى العديد من الجامعات، بما فى ذلك الجامعة الأمريكية فى بيروت، والجامعة الأمريكية اللبنانية، وكلية الجامعة الحجازية، والجامعة الأمريكية بالقاهرة، وجامعة قبرص، والجامعة الأمريكية بأرمينيا، والكلية الأمريكية بتسالونيكى، ومركز الدراسات الآسيوية البسيطة، وقد قدم زملاء وأصدقاء يعملون فى تلك الكليات وكليات أخرى ومراكز أبحاث عبر الشرق الأوسط، قدموا معلومات قيمة وفيرة ضمنتها هذا الكتاب.

وبينما يركز الكتاب على التناقضات الداخلية لدول الشرق الأوسط، والتى ترفع بها ديناميكات النزاع الطبقى والصراع الطبقى فى مجالات عديدة فى المجتمع، وكذا العلاقات الاجتماعية، فإنه يقوم بدراسة الاقتصاد السياسى للنزاعات الراسخة منذ زمن طويل، والأزمات فى الشرق الأوسط، مع الالتفات بصورة خاصة إلى دور القوى الخارجية القوية، النابعة من الإمبريالية الغربية بقيادة بريطانيا وفرنسا، والولايات المتحدة فيما بعد.

إن هذا الكتاب يوضح مركزية العلاقة بين الإمبريالية والحرب والاضطراب السياسى فى الشرق الأوسط، مع إشارة خاصة إلى تحليل الطبيعة الطبقية للدولة، والقوى الاقتصادية المشاركة فى الحركات الوطنية والأصولية، والسياق التنظيمى الذى تحشد فيه هذه القوى نفسها سياسياً حتى تكون ذات أثر فى التغيير، ومن ثم فقد تمت

دراسة انهيار الدولة العثمانية، وظهور الدول القومية المُشكلة حديثًا، ونضال الفلسطينيين، والأكراد، والأقليات القومية الأخرى، والحروب الأهلية والنزاعات والحروب الإقليمية، بما فى ذلك النزاع العربى الإسرائيلى وحرب الخليج، وبالمثل الهبات العديدة، وأعمال التمرد والعصيان، والثورات من تمردات الفلسطينيين والأكراد فى الثلاثينيات إلى الثورة فى إيران، والانتفاضة فى الأراضى المحتلة، تمت دراستها كلها فى إطار معالجة تقوم على التحليل الطبقى، معالجة وضعت فى حسبانها الدور المركزى للإمبريالية، ورد فعل النيوكولونيالية باعتبارهما العمودين التوأمين للاقتصاد السياسى العالمى المعاصر، واللذين كان لهما أثرهما فى الشرق الأوسط.

إنها مهمة صعبة تلك التى تحاول فرز القوى الطبقية التى كانت وراء النزاعات السياسية التى قادت إلى الصدام الأهلى، والمواجهة العسكرية عبر الشرق الأوسط. إن هذا الكتاب يحاول رسم خريطة لديناميكات الصراع الاجتماعى، والتحول الاجتماعى فى هذه المنطقة الهائجة- والهامة بصورة جوهرية- من العالم، لتقديم تحليل للطبيعة الطبقية للدولة، وتوزان القوى الطبقية المشاركة فى الصراع من أجل السيادة السياسية عبر الكثير الخاص بالشرق الأوسط.

شكر

إن دراسة يحتويها حداً كتاب صغير، دراسة لها عمق واتساع أحداث تاريخية تحركت آثارها على منطقة بكاملها، مثل الشرق الأوسط، ليست بالمهمة السهلة. إن المعلومات والتحليلات المقدمة في الصفحات التالية إنما هي نتيجة عمل عشرات من الدارسين للشرق الأوسط، والمتخصصين فيه، وقد قمت بدراستها عبر العديد من سنوات البحث والكتابة، وتوصلت خلال هذه العملية إلى منظوري الخاص، والذي خدمني كأساس لفهم الأبنية والمؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تحدد طبيعة وديناميكات الشرق الأوسط المعاصر.

وقد ساهم العديد من الزملاء والطلاب، بصورة مباشرة أو غير مباشرة في هذا السعي، ساهموا في تشكيل آرائي حول أمور تتناول موضوعات حاسمة، أُثيرت ونُوقشت في هذا الكتاب. إنني أبغي شكر ڤاهاكن دادريان، وسبروس بينا، وسوهراب بيهداد، وفيكرت سيهون، وأمير سلطاني، وسافاس كاتسيكيدس، وآسيف بيات، وليڤون ڤارتان لمساهمتهم ومناقشاتهم حول طبيعة وديناميكات الأحداث الكبرى في الشرق الأوسط.

إنني أود شكر كلاي مورجان وزينا لورانس محرري "مطبعة سوني" لسماحهم لي بوقت إضافي كنت في حاجة إليه لاستكمال هذا المشروع، ولصبرهما، وتعاونهما خلال المراحل المختلفة لعملية النشر.

إن المنحة التي قدمتها جامعة نيڤادا، مؤسسة رينو- والتي مُنحت كجزء من نفقات أستاذيتي من عام ١٩٩٥ حتى عام ١٩٩٨- قد جعلت الجهد البحثي الذي بُذل في الإعداد لهذا المخطوط ممكنا، وهي قد زودتني بالاعتمادات المالية اللازمة، ووقت الفراغ الذي كنت أحتاجه لإتمام هذا المشروع.

وختاماً فإنني أود شكر زوجتي سوزان لسنواتها العديدة، سنوات الرفقة والتشجيع لعملي، ولتقديمها تعليقات وانتقادات ثمينة أثْرت تحليلي عند كل منعطف؛ وشكراً لابنيّ ستيفن وميشيل، لصبرهما وفهمها أهمية هذا المشروع.

مقدمة

لقد كان الشرق الأوسط لقرون نقطة تركيز للمنافسة الاستعمارية والحرب والاضطراب السياسى. إن دورات الغزوات الإمبريالية للمنطقة قد أحالت هذا الركن التاريخى فى العالم إلى نطاق من الدم المسفوك والموت، والدمار واليأس.

إن المنافسات فيما بين الإمبرياليين قد حولت الشرق الأوسط إلى أرض نزاع للقوى المتنافسة التى كانت تتبارى للسيطرة على الأرض والثقافة وشعوب هذه المنطقة عبر مجرى القرن العشرين إن اقتحام القوى الغربية هذه المنطقة سَهّل انحدار وسقوط الأمبراطورية العثمانية كقوة كبرى، فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وقد قاد انهيار الأمبراطورية العثمانية بدوره إلى المزيد من توسع الإمبريالية الغربية عبر الشرق الأوسط.

إن هذا الكتاب يتناول بالبحث ديناميكيات القوى الاجتماعية الكامنة وراء الاضطراب السياسى الذى اكتنف الشرق الأوسط المعاصر. إن الكتاب -وهو يركز على الأحداث السياسية الكبرى للقرن العشرين- يستكشف أصول وطبيعة وتناقضات النزاعات التى حولت تلك المنطقة إلى منطقة عدم اسقرار دائم.

إن الفصل الافتتاحى لهذا الكتاب يركز على القوة المحركة للتوسع الإمبريالى فى الشرق الأوسط، والذى بدأ فى أواخر القرن التاسع عشر، ويناقش تأثيره على المنطقة خلال هذه الفترة؛ إنه يوضح أن الدافع الأساسى للقوى الغربية للسيطرة على المنطقة كان الزيت، إن خط سكة حديد بغداد والذى تم إنشاؤه برأس مال أوروبى، قد لعب دوراً كبيراً فى استخراج وتوزيع هذا المورد الرئيسى، وغدا أداة فى تأكيد توسع الإمبريالية الغربية فى المنطقة، وقد صاحب ذلك تحطيم الصناعة الوطنية فى المنسوجات وقطاعات أخرى من الاقتصاد، وإخضاع وتطويع السكان المحليين لأوامر القوى الغربية، وإجمالا فإن تأثير الإمبريالية الغربية على الإمبراطورية العثمانية والشرق الأوسط عامة كان تأثيراً مدمراً.

ويتعرض الفصل الثانى للكارثة التى تلت انهيار الإمبراطورية العثمانية خلال هذه الفترة من النهب والتدمير الإمبريالى: رد الفعل القومى المفرط والذى قاد إلى مذبحة الشعب الأرمنى، والتى كانت أول إبادة عرقية واسعة النطاق فى القرن العشرين، بينما

نجحت مجموعات اثنية أخرى متناثرة فى أركان الإمبراطورية فى الحصول على استقلالها، وكانت قادرة على تأسيس الدولة القومية الخاصة بها.

وقد أدى الوضع المتفرد للأرمن فى تركيا خلال هذه الفترة إلى منعهم من الحصول على وطن لهم، لقد كانت النتيجة بالنسبة للأرمن كارثية؛ إذ قتل حوالى ٢ مليون أرمنى فى تركيا العثمانية، منهم ٥ ١ مليون قتلوا بأوامر حكومية خلال سنوات قليلة، إن مصير الشعب الأرمنى بأيدى جلاديه الأتراك، والذى كان نتيجة صعود "تركيا الفتاة" فى أونة حاسمة، كان علامة على انهيار الإمبراطورية العثمانية، وكان فاتحة لصعود القومية والنزاع الاثنى، فى أماكن أخرى فى الشرق الأوسط، خلال مجرى القرن العشرين. وبينما أحدثت الفورة القومية فى الأقاليم القديمة للدولة العثمانية صراعا مضاداً للإمبريالية قاد إلى الاستقلال القومى، فإن هذا لم يتحقق دون كبت الأقليات الاثنية، داخل تلك الأراضى القومية، كما حدث فى حالة الأرمن فى تركيا العثمانية، والأكراد فى العراق وسوريا وتركيا الحديثة.

ويقدم الفصلان الثالث والرابع تحليلاً للبعث القومى فى الشرق الأوسط خلال القرن العشرين. إن شعوب فلسطين ومصر وسوريا ولبنان والعراق ومناطق أخرى فى الشرق الأوسط قد أصرت -خلال نضالها ضد الاحتلال الغربى للأراضى العثمانية القديمة- على كسب استقلالها، وتأسيس سلسلة من الدول القومية عبر المنطقة فى منتصف القرن، ورغم أن قيادة مختلف الحركات الوطنية، التى شنت حربا ضد الإمبريالية الغربية، كانت مكونة من تنويعة من القوى الوطنية تُصنف استراتيجيا فى بيروقراطية الدولة- مما جعل الهبات تتخذ شكل انقلاب عسكرى، أكثر منه ثورة اجتماعية- فإن القوى التى جاءت إلى السلطة، خلال هذه الفترة من البعث القومى، لعبت دوراً فى تشكيل المجرى المستقبلى لتطور الشرق الأوسط فى النصف الأخير من القرن العشرين. ولمتابعة تلك التطورات فى أربعة مواقع بارزة فى المنطقة، تناول الفصل الثالث تركيا ومصر، وتناول الفصل الرابع حالتى سوريا والعراق- وهى بلدان كان لها، ومايزال تأثيرها على كل الشرق الأوسط.

ويتناول الفصل الخامس المسألة القومية فى الشرق الأوسط، مركزًا على النضالات الفلسطينية والكردية من أجل تقرير المصير القومى، إنه يدرس التجربة التاريخية للمجموعتين الاثنيتين/ القوميتين من خلال جهودهما لضمان وطن لشعبيهما، عبر مجرى القرن العشرين. ويمكن -عند وضع هذه المشكلة فى منظور مقارن- معالجة المسألة القومية فى الشرق الأوسط، باعتبارها ميراثًا للحكم العثمانى والسياسة

الإمبريالية لما بعد الحرب العالمية الأولى، سياسة تقسيم الأراضى، إن اقتحام القوى الغربية للشرق الأوسط، واحتلال وتقسيم الأراضى العثمانية بين الدول الاستعمارية الأساسية عبر الشرق الأوسط قد أدى إلى تشتت الفلسطينيين والأكراد فى المنطقة. إن تجزئة الوطن القومى للأكراد، وإزاحة الفلسطينيين بواسطة قوى الاحتلال الإمبريالى التى هيمنت على المنطقة لعقود، وقهر هذين المجتمعين القوميين بواسطة الدول التى حكمت تاليا لذلك، قد أدى إلى قمع حقوقهما الشرعية فى تقرير المصير القومى. إن بعثرة هاتين المجموعتين عبر أمم عدة فى المنطقة، جعلهما ضحايا أنظمة إمبريالية وقومية، أحالتهما إلى مواطنين من الدرجة الثانية فى مختلف دول الشرق الأوسط، لكن الفلسطينيين والأكراد، كما يوثق هذا الفصل يناضلون ثانية، إنهم يسيسون بصورة متزايدة، وينشطون فى النضال من أجل الاستقلال، وتقرير المصير القومى.

ويدرس الفصل السادس النزاع العربى- الإسرائيلى، وهو نزاع ينبع من ميراث الإمبريالية الغربية. إن الحرب والاضطراب السياسى قد صارا النظام الذى يسود الحياة خلال العقود التى تلت إزاحة الفلسطينيين وإقامة دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، إن الخطة البريطانية لتجزئة فلسطين، وترك أرض (عربية) أخرى فى الشرق الأوسط فى فترة ما بعد الحرب، قد أدت إلى نزاع أكبر فى المنطقة، حيث غدت إسرائيل هى العدو اللدود للدول العربية التى تبنت القضية الفلسطينية فى السنوات الأولى لما بعد الحكم الكولونيالى فى المنطقة. إن قضية الوطن الفلسطينى، والتى لم تحل، غدت نقطة احتشاد القومية العربية، وأثارت النقمة والغضب بين العرب ضد إسرائيل.

وقد أدى هذا، بدوره، إلى رد فعل إسرائيلى ضد كل الدول العربية والحركة الفلسطينية وهى فى حداثتها. وقد أدى تصعيد النزاع بين الجانبين إلى حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧، وإلى الحروب التالية، بما فيها حرب أكتوبر عام ١٩٧٣، والغزو الإسرائيلى للبنان عام ١٩٨٢.

ويركز الفصل السابع على حرب الخليج، كناتج للمنافسة الإمبريالية بين قوى إمبريالية كبرى، من أجل التحكم فى زيت الشرق الأوسط، ويقال بهذا الخصوص إن المنافسة بين اليابان وألمانيا والولايات المتحدة قد بلغت ذروتها فى صراع قوى إقليمية، عبرت عن نفسها فى حرب الخليج، غير أن طبيعة هذه المنافسة للهيمنة على الاقتصاد السياسى العالمى طبيعة ذات جذور أعمق، وكما أن القوى الرأسمالية الصاعدة تحتاج إلى مداخل مباشرة لمصادر المواد الخام، وخاصة الزيت، فإن ألمانيا واليابان فرضتا بعد الحرب العالمية الثانية تهديداً جديداً للقبضة التقليدية للولايات المتحدة فى الشرق

الأوسط. إن انحدار قوة الولايات المتحدة فى المنطقة بعد كارثة سقوط الشاه والتى سمحت بإمكان ظهور مركز قوى إقليمي جديد فى الشرق الأوسط، قد استدعت هذين المركزين البازغين كى يلعبا دوراً مباشراً فى الاقتصاد السياسى المتغير للمنطقة، لقد كان رد فعل الولايات المتحدة للعبة القوة المحلية هذه سريعاً حاداً، بلغ ذروته فى حرب الخليج التى شنتها الولايات المتحدة، وبينما أعاق هذا الفعل منافسيها فى حينه، فإن عودة دخول الولايات المتحدة إلى المنطقة فى التسعينيات جاءت ومعها مجموعة جديدة من التناقضات بدلاً من أن يؤدى مجيئها إلى حل مشاكل المنطقة، لقد أدى ذلك بالفعل إلى المزيد من تكثيفها، ومن ثم فتح الطريق إلى نزاع وأزمة متجددين فى الشرق الأوسط.

ويناقش الفصل الثامن -فى النهاية- طبيعة "النظام العالمى الجديد" فيما بعد الحرب الباردة، متناولا احتمالات السلام فى الشرق الأوسط فى الفترة القادمة.

إن التطورات خلال العقد الماضى قد أنتجت -عبر الكون- ديناميكية جديدة فيما بعد السوڤيت، وفيما بعد سياسات الحرب الباردة، وأثارت الالتباسات الناجمة عن المنافسات الجديدة، بين المراكز البازغة للقوى الكونية فى هذه الفترة القريبة للغاية، أثارت عدداً من الأسئلة فيما يتعلق بمستقبل التطور فى الشرق الأوسط: هل سيواصل الشرق الأوسط كونه يعيش مرحلة أساسية من النزاع والأزمة كما كان خلال العقود العديدة الماضية؟ أم، هل ستظهر ديناميكية جديدة تعيد تحديد البنيان السياسى للمنطقة، كما تعيد تحديد توزان القوى فى العقد التالى؟ هل يصل النزاع العربى الإسرائيلى الدائم إلى نهاية، مرة وإلى الأبد؟ أم، هل ستبزغ قوى جديدة مصارعة، قوى ترسخ قبضتها على جماهير كل من المجتمعين مما يطيل الأزمة ويغمس المنطقة فى المزيد من الفوضى والإضطراب؟

وبتقديم بعض الإجابات على تلك الأسئلة وأسئلة أخرى مرتبطة بها، ينهى الكتاب تحليله التاريخى لديناميكات سياسة الشرق الأوسط فى السياق الجارى لتناقضات الاقتصاد السياسى، على أساس تقييم رؤى السلام والتقدم الاجتماعى فى تلك المنطقة، سريعة التقلب، من العالم.

الفصل الأول

تأثير الإمبريالية الغربية على الشرق الأوسط

كانت الإمبراطورية العثمانية، حتى بداية القرن العشرين، هى القوة الأساسية الكبرى فى الشرق الأوسط، وبدأت الدولة العثمانية -بعد قرون من التوسع والقهر- فى فقدان الأرض لقوى منافسة فى أوروبا، خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وغدت عرضه لضغوط غربية، وأصبح العرش العثمانى فى سرعة أضعف وأضعف، وكانت نتيجة ذلك أن عانى نفوذه فى البحر المتوسط تآكلاً متصلاً[١].

وقد أخذت روابط اقتصادية فى النمو بين الإمبراطورية العثمانية، ومراكز الإمبريالية الغربية[٢]، مع توسع رأس المال الأوروبى شرقى البحر المتوسط ملاحقًا المواد الخام والأسواق الجديدة، وظهرت لهذه التجارة المتنامية بين أوروبا الغربية وتركيا العثمانية خلال هذه الفترة آثار عكسية على الصناعة العثمانية المحلية المحددة الانتشار، وكانت الروابط العثمانية غير قادرة -وهى تواجه ارتفاع التكاليف والعمل فى ظل قواعد سعرية صارمة- على تقديم سلع منخفضة الأسعار بما يكفى للمنافسة مع السلع المصنعة الرخيصة من أوروبا، والتى دخلت الإمبراطورية دون قيد[٣]. وكانت النتيجة دخول الصناعة العثمانية التقليدية مرحلة انحدار سريع، وغدت الإمبراطورية مقيدة أكثر فأكثر إلى، ومعتمدة على، الاقتصاديات الأوروبية.

إن عملية التوسع البريطانية (وتوسع دول أوروبية أخرى) فى الاقتصاد العثمانى، تسارعت فى أعقاب الاتفاقية التجارية الأنجلوتركية لعام ١٨٣٨، والتى منحت مزايا خارج الحدود الإقليمية لكل التجار الأجانب، وألغت تعريفات الدولة الجمركية الحمائية والاحتكارات، وقد أدى ذلك إلى قلب البنيان الاستيرادى- التصديرى للإمبراطورية، وقاد إلى تحطيم صناعة المنسوجات فى تركيا العثمانية وسرعان ما تأثرت فروع أخرى عديدة من الصناعة العثمانية، وغدت كل الصناعة العثمانية فى أواخر القرن التاسع عشر على شفا الانهيار[٤]، وقد حددت تلك التطورات نهاية التصنيع عن طريق القطاع التصنيعى، وهبطت الإمبراطورية بدلاً من ذلك إلى إنتاج المواد الخام التى تتحرك فى اتجاه احتياجات الاقتصاد العالمى الذى تهيمن عليه أوروبا؛ وتحولت الإمبراطورية العثمانية تدريجيًا، وقد تحطمت صناعتها المحلية إلى احتياطى زراعى للاقتصاديات الرأسمالية للتوسع الأوروبى[٥].

وغدت الإمبراطورية العثمانية، فى نهاية القرن التاسع عشر، ومن أجل كل الأغراض العملية، غدت شبه مستعمرة للقوى التوسعية الغربية. كان اقتصادها مرهونًا للرأسماليين الأجانب ودولهم، ووقعت حركات تمرد وعصيان واسعة الانتشار عبر

أراضيها المقهورة، وظهرت مجموعات اجتماعية جديدة، بدأت فى طرح مشاكل حتى تواصل وجودها، إن كانت سيئة الطالع، فى ظل حكم السلاطين وبيروقراطية القصر.

ووجدت القوى الغربية، فى تلك المشاكل فرصة لتشق طريقها إلى الداخل عبر إجراءات تحكم اقتصادية مباشرة عبر الاحتلال العسكرى فيما بعد، الاحتلال العسكرى لأجزاء كبيرة من الأراضى العثمانية فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، أفعال بلغت ذروتها فى الاحتلال الفعلى لكل ركن من الامبراطورية خلال الحرب العالمية الأولى[٦].

وأعقب انهيار الإمبراطورية العثمانية فى نهاية الحرب احتلال بريطانيا وفرنسا وإيطاليا، وقوى غربية أخرى، أراضيها، واستمرت متحكمة فى أقاليمها المختلفة لعقود عديدة. ويكتب روجر أوين: "إن هزيمة البريطانيين والفرنسيين للعسكرية العثمانية، خلال الحرب العالمية الأولى، أدى إلى تغيير جذرى عبر الشرق الأوسط كله".

> **"لقد قُطعت الأقاليم العربية للإمبراطورية إلى عدد من الدول الوريثة، والتى كان كل منها تحت سيطرة واحدة أو أخرى من القوى المنتصرة: كانت سوريا ولبنان الجديدتان تحت السيطرة الفرنسية، والعراق وفلسطين وشرق الأردن الجديدة تحت السيطرة البريطانية[٧].**

ومن ثم، يواصل أوين: "كان البريطانيون والفرنسيون -فى وسط عشرينات القرن العشرين- هم سادة الشرق الأوسط".

> **لقد كانوا هم الذين حددوا كل الحدود الجديدة على وجه التقريب، وهم الذين قرروا من الذى يجب أن يحكم، وأى شكل من أشكال الحكومات يتم إقامته، وكانوا هم أيضاً -فى ارتباط مع الأمريكيين- من كان لهم الكلمة العليا فى الكيفية التى توزع بها المداخل إلى الموارد الطبيعية للمنطقة، وخاصة حقول البترول[٨].**

إن كثيراً من أراضى الإمبراطورية -من الخليج الفارسى إلى فلسطين إلى قناة السويس وشبه الجزيرة العربية وعبر شمال أفريقيا- غدت إجمالاً تحت سلطة بريطانيا وفرنسا وقوى غربية أخرى، لقد قسم هؤلاء الأرض فيما بينهم لتأمين طرق التجارة، والمواد الخام، والأسواق الجديدة للاقتصاد العالمى المتسع والذى تحكمه أوروبا.

خلفية تاريخية ..

منذ انحدار الإمبراطورية العثمانية وتصدعها فى أواخر القرن التاسع عشر غدا الشرق فى مركز الصراعات بين القوى الإمبريالية الأساسية للغرب، والتى كان هدفها السيطرة على الزيت اللازم لتغذية اقتصاداتها الرأسمالية المتسعة(٩)، ومن ثم فإن تاريخ الشرق الأوسط فى القرن العشرين كما أشار جوستورك "مرتبط بجهود القوى الغربية لتحقيق سيطرة مطلقة على موارده وتجارته –والمورد الرئيسى هو الزيت. إن السيطرة الأوروبية (والأمريكية فيما بعد) على الزيت، قد تحققت عبر سلسلة من التنازلات للشركات الأوروبية(١٠) وكانت النتيجة أن "غدت السيطرة على مصادر البترول هى البؤرة المهيمنة على المنافسة الغربية فى المنطقة، والقوة الدافعة الأساسية للقوى لإقامة سيطرة سياسية واقتصادية على المنطقة، والحفاظ على هذه السيطرة"(١١).

لقد كانت بريطانيا وفرنسا هما القوتان الكبيرتان وراء اختراق الشرق الأوسط حتى نهاية القرن التاسع عشر، غير أنه منذ تلك النقطة وما تلاها ظهرت مصالح ألمانية متجددة فى المنطقة، أدت إلى تدفق هائل للرأسمال الألمانى(١٢).

وقد كتب إلاين جريش ودومينيك ڤيدال فى إشارة إلى المنافسة الكثيفة بين القوى الأوروبية الأساسية من أجل السيطرة على الشرق الأوسط:

> **إن ما كانت تسعى إليه باريس ولندن وبرلين والآخرون هو المواد الخام بأسعار رخيصة، واستثمارات مربحة لرأسمالهم، وأسواق لمنتجاتهم، وضمان خطوط مواصلات آمنة، ومن ثم، يجئ تدفق رأس المال الأجنبى.**

... وقد سيطرت أوروبا –من خلال هذا الغزو– على الأعمال المصرفية، ووسائل النقل والاتصال (السكك الحديدية والموانئ والطرق) والخدمات الرئيسية (المياه والغاز والكهرباء، والهاتف)، ومشروعات التعدين والزيت بالطبع.

ويكتب أدوارد ميدإيرل فى دراسته الكلاسيكية الحالية "تركيا، القوى الكبرى، وخط بغداد للسكة الحديدية": دراسة فى الإمبريالية:

> **"إن المنطقة التى يقطعها خط بغداد للسكة الحديدية إنما هى استراتيچيًا واحدة من أهم مناطق العالم.**
>
> **وكانت تركيا الآسيوية –فضلاً عن ذلك– ثرية، إنها تمتلك موارد واسعة فى بعض المواد الأكثر أساسية للصناعة الحديثة: المعادن، الوقود، شحوم**

تزييت الآلات، مواد التآكل، وكانت ترسيباتها من الزيت تكفى وحدها لإثارة جشع وطمع القوى الكبرى... كان من المتوقع أن تحقق الإمبراطورية العثمانية مصدرا ثمينا لمواد خام أساسية، سوق مُرْضٍ لمنتجات معدة، ومجال ثرى لاستثمار رأس المال. لقد كانت الأرض التى يخدمها خط بغداد للسكة الحديدية واحدة من أكثر المناطق غير المتطورة فى العالم(١٤).

لقد دخلت القوى الرأسمالية الغربية الكبرى -خلال مجرى القرن العشرين- فى منافسة للسيطرة على الزيت فى الشرق الأوسط، وهو سلعة أثبتت أنها حيوية لآلات الصناعة فى الدول الرأسمالية المتقدمة والتى هيمنت على الاقتصاد العالمى، لقد تمت خلال القرن الماضى ثلاث مراحل تاريخية للمنافسة فيما بين الإمبرياليين، بين القوى الرأسمالية الرئيسية فى اقتصاد العالم، (١) المرحلة من العقد الأخير للقرن التاسع عشر إلى الحرب العالمية الأولى، (٢) مرحلة ما بين الحربين من ١٩١٨ إلى ١٩٣٩ و(٣) مرحلة ما بعد الحرب، من عام ١٩٤٥ إلى حرب الخليج الفارسى عام ١٩٩١، وتشتمل كل مرحلة من تلك المراحل على عدة أحوال وأشكال تتكون من: المنافسة، الهيمنة، التحدى والحرب، إن المنافسات فيما بين القوى الاستعمارية فى المراحل الثلاث قد أدت إلى حربين من أجل إعادة تقسيم العالم وإقامة مجالات نفوذ وتحكم للقوة المهيمنة التى ظهرت منتصرة عند ختام هذه الدوائر الثلاث من النزاع والمنافسة على النطاق العالمى، ويمكن تقسيم هذه الدوائر إلى مراحل، تكون هى وأحوالها وأشكالها المختلفة كما يلى:

[١] **المرحلة الأولى:** من ١٨١٨ إلى ١٩١٤- من قمة الإمبريالية البريطانية فى العقود الختامية للقرن التاسع عشر إلى المنافسة بين القوى الرأسمالية الأساسية (بريطانيا، فرنسا، ألمانيا، والولايات المتحدة) خلال العقد الأول من القرن العشرين علاوة على خسائر انهيار الإمبراطورية العثمانية والتى أدت إلى الحرب العالمية الأولى.

[٢] **المرحلة الثانية:** من ١٩١٨ إلى ١٩٣٩ -سنوات ما بين الحربين- والتى سعت خلالها القوى المنتصرة (بريطانيا، وبصورة أقل فرنسا) إلى فرض سيطرتها ونفوذها على الاقتصاد العالمى، ومدت حكمها الإمبريالى على أرضٍ واسعة، عبر شمال أفريقيا، والشرق الأوسط، حتى الخليج الفارسى وشبه الجزيرة

العربية، وقد أدت هذه المرحلة من الهيمنة البريطانية والفرنسية إلى صعود التحدى الألمانى واليابانى مما أدى فى النهاية إلى الحرب العالمية الثانية.

[٣] المرحلة الثالثة: من ١٩٤٥ إلى ١٩٩١ -مرحلة ما بعد الحرب- والتى ظهرت فيها الولايات المتحدة باعتبارها القوة العظمى الرأسمالية الوحيدة، وهى قد هيمنت على اقتصاديات منافسيها الرأسماليين الأساسيين فى القرن العشرين، ومن ثم منحها ذلك وضعا غير مسبوق فى الاقتصاد العالمى، إذ تحكمت فى جزء جوهرى من الموارد والثروة العالمية عبر هيمنة نيوكولونيالية.

وقد غدت الولايات المتحدة -فى المرحلة منذ حرب الخليج الفارسى عام ١٩٩١- الحَكَم الوحيد للنزاعات والأزمات فى الشرق الأوسط، وقد زاد دور الولايات المتحدة، فى المنطقة بصورة واسعة، مع انهيار الاتحاد السوفيتى السابق، وانهيار نفوذه السابق فى شئون الشرق الأوسط.

دعونا -للوصول إلى فهم أفضل لتأثير الإمبريالية الغربية على الشرق الأوسط خلال القرن الماضى -دعونا نلقى نظرة أكثر قربا على ديناميكات وتناقضات كل من تلك المراحل داخل سياق التحولات الإجتماعية والسياسية التى جرت فى تلك المنطقة حتى وقتنا الراهن.

المرحلة الأولى: ١٨٨٨ إلى ١٩١٤

إن المرحلة الأولى للمنافسة ما بين القوى الاستعمارية، القوى الرأسمالية الكبرى فى العالم- المرحلة منذ نهاية القرن التاسع عشر إلى الحرب العالمية الأولى- شاهدت دخول القوى الرأسمالية الغربية إلى الشرق الأوسط وسلب ونهب الإمبراطورية العثمانية.

ويكتب أ.م. إيرل مشيراً إلى "حقبة العقود الثلاثة" التى تغطى المرحلة من ١٨٨٨ إلى ١٩١٨، "إن تاريخ تلك العقود الثلاثة، مهتم بصورة كبيرة بصراعات الرأسماليين الأوروبيين للحصول على تنازلات مربحة فى تركيا الآسيوية، وبصراعات الدبلوماسيين الأوروبيين للتحكم فى الشئون المالية والطرق الحيوية للمواصلات، بل وحتى القوى الإدارية للحكومة العثمانية[١٥].

إن التطابق بين الدوافع الاقتصادية للمستثمرين والدوافع السياسية والاستراتيجية لرجال الدولة جعل تركيا واحدة من مناطق الاحتكاك الإمبريالي المتقدمة، إن أراضيها وثرواتها كانت "ركائز دبلوماسية" ناورت من أجلها مجالس وزراء فوق لوحة الداما الدبلوماسية، وحارب من أجلها زهرة بشرية العالم فوق رمال ما بين النهرين(١٦).

ويستمر إيرل ليدلل على "وجود الزيت بكميات كبيرة فيما بين النهرين"، كما تتميز المنطقة -طبقًا لتقرير صادر عام ١٩٠١ عن لجنة فنية ألمانية حول موارد البترول فيما بين النهرين- باعتبارها «"بِركة" حقيقية من البترول"، ذات إمداد يكاد لا ينضب»(١٧).

وقد حصل بنك دويتش من برلين، وهو منشئ خط بغداد للسكة الحديدية على امتياز إجراء مسح شامل لحقول الزيت فى وديان دجلة والفرات،

مع حرية الاختيار فى إطار عام للدخول فى عقد مع الحكومة العثمانية لاستغلال هذه الآبار.

وحدث بعد ذلك بوقت قصير أن غدا نائب قائد أسطول الولايات المتحدة الأدميرال كولبى م. شستر، مهتمًا بتنمية صناعة الزيت فى تركيا الآسيوية...

هنا، إذن، فى الشرق الأدنى، كانت توجد إمبراطورية فى انتظار استغلالها بواسطة رأس المال الغربى والمهارة الفنية الغربية(١٨).

ويواصل إيرل، "وقد صاحب إنشاء الرأسماليين الألمان للسكة الحديدية الأناضولية، توسع هام للمصالح الاقتصادية الألمانية فى الشرق الأدنى(١٩)" ويكتب أيضًا "إن اقتفاء التجار الألمان أثر الماليين الألمان فى الإمبراطورية العثمانية كان أمرًا متوقعًا، إن بنك دويتش -راعى السكة الحديدية الأناضولية- كان نشطًا بصورة ملحوظة فى تقدم التجارة الألمانية(٢٠).... من ثم فإنه عبر مغامرات أعمال متنوعة، وعقود حكومية، جاء رأس المال الألمانى مع نهاية القرن ليحصل على وضع فى الإمبراطورية العثمانية.

إن القائمين على التسويق ورجال البنوك والتجار والمهندسين وصناع الذخائر ومالكى السفن وبناة السكك الحديدية كانوا كلهم يلعبون دورهم فى وضع أساس ضرورى لمزيد من التوسع للمصالح الاقتصادية الألمانية فى الإمبراطورية العثمانية(٢١).

إن الجائزة الكبرى للإمبريالية الألمانية فى الشرق الأوسط لم تكن على أى حال هى خط بغداد للسكة الحديدية والتنازلات التى ارتبطت به فى حد ذاتها، ولا كانت العمليات

التجارية والمصرفية الهائلة التى نتجت عن إقامة خط السكة الحديدية، لقد كان خط بغداد للسكة الحديدية هو العربة التى يمكن أن تيسر المدخل الألمانى إلى استغلال حقول الزيت الواسعة فى وادى ما بين النهرين، من الموصل إلى بغداد إلى الخليج، إنها الأرض التى توجد العراق اليوم عليها.

وقد انتهى النفوذ الألمانى فى الشرق الأوسط، حيث استنفدت المنافسة بين القوى الاستعمارية الكبرى نفسها فى المرحلة النهائية من الانهيار العثمانى خلال الحرب العالمية الأولى، وحيث فرضت اتفاقية فرساى تصفية الاستثمارات الأجنبية الخاصة بما فى ذلك خط بغداد للسكة الحديدية، وبدأت الولايات المتحدة -بينما يصارع الفرنسيون والبريطانيون للكسب من خسائر الأمبراطورية العثمانية، وأخذ غالبية أراضيها وتحويلها إلى بلاد تحت الانتداب- بدأت تلعب دوراً نشطاً فى المجالات التجارية والمالية فى الشرق الأوسط وخاصة فى مجال استخراج البترول.

وقد لعبت تنازلات شستر دوراً هاماً فى توسيع مصالح الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط، فقد "مُنح" مؤسسو خطوط شستر للسكك الحديدية "حقوقاً مطلقة لاستغلال كل مصادر الثروة التعدينية، بما فى ذلك الزيت الممتد داخل منطقة ٢٠ كيلو متراً على جانبى خط السكة الحديدية[٢٢]" يضاف إلى ذلك أن حقول زيت الأناضول الشرقية كانت قد طُرحت كمشروع "يوفر موارد غنية من مخزون المواد الخام"، كما طُرح أيضاً أنه "عند إقامة السكك الحديدية والموانئ وخطوط الأنابيب فإنه (سوف) يكون هنالك طلب هام على منتجات الصلب الأمريكية"[٢٣]، ومن ثم، فقد أشار إيرل فى باكورة العشرينيات من القرن العشرين إلى:

> **"إن التنمية الاقتصادية للمنطقة الواسعة التى ستمر عبرها السكة الحديدية الجديدة، تُعد بتجهيز سوق للمنتجات الأمريكية مثل الآلات الزراعية، وكذا تقديم فرصةً وافرة لاستثمار مربح لرأس المال الأمريكي، إن مشروع شستر يمكن أن يصبح بحق مشروعاً جليلاً فى المرتبة الأولى"[٢٤]**

ولمقاومة هذا التحدى الأمريكى للسيطرة والهيمنة الأوروبية على الشرق الأوسط، عادت بريطانيا وفرنسا إلى الظهور باعتبارهما القوة المهيمنة، فعززا سيطرتهما على المنطقة متجاوزتين الوجود الألمانى هنالك، مع إخضاع وكبح تحدى الولايات المتحدة للهيمنة البريطانية، وهى حالة وضعت معايير المنافسات ما بين القوى الاستعمارية فى الشرق الأوسط، فى المرحلة الثانية.

المرحلة الثانية: ١٩١٨ إلى ١٩٣٩

إن المرحلة الثانية من المنافسات بين القوى الاستعمارية -القوى الرأسمالية الأساسية فى العالم- المرحلة التى تُحدد عامة باعتبارها مرحلة ما بين الحربين، دخلت حقبة من الكولونيالية والتجزئة الكلية للشرق الأوسط من الخليج الفارسى إلى شواطئ شرقى البحر المتوسط.

لقد كانت إنجلترا قادرة من موقع قوتها على اختطاف الشريحة الكبرى من الكعكة العثمانية بعد هزيمة الأتراك وحلفائهم الألمان. إن الأراضى التى خصصت بعد الحرب العالمية الأولى للإدارة البريطانية بصورة مباشرة أو غير مباشرة، طبقًا لاتفاقية سيكس- بيكو، اشتملت على ما يطلق عليه الآن إيران والعراق والأردن وموانئ حيفا وعكا فى فلسطين، وبالمثل انتداب الأخيرة والتى يجب أن تضاف إليها الممتلكات البريطانية فى مصر والسودان والجزيرة العربية والخليج[٢٥].

وبذا-فإنه بنهاية الحرب العالمية الأولى- أصبح لبريطانيا قبضة عسكرية على العديد من الأراضى العربية التى كانت تحت الحكم العثمانى فيما سبق، بما فى ذلك ما بين النهرين... إن تقسيم الأراضى العربية بين بريطانيا وفرنسا الذى جاء فى أعقاب الحرب العالمية الأولى... كان يقينا، واحداً من أكثر ممارسات القوى الإمبريالية سيئة السمعة... وهى التى حددت [مع] المصالح المرتبطة بالزيت الخطوط النهائية لخريطة الشرق الأوسط[٢٦].

ومن ثم، فإن بريطانيا ومعها فرنسا كشريك أصغر أقامت هيمنتها بصورة فاعلة على أراضى ممتدة من الإمبراطورية العثمانية، وأمنّت مدخلاً مباشراً إلى حقول الزيت، وبذا تحكمت فى خط حياة الآلة الصناعية لأوروبا الغربية وبلدان عديدة على امتداد العالم[٢٧]. إن الامبريالية البريطانية -وهى تمارس انتدابًا مباشراً فوق الأرض والموارد وشعوب الشرق الأوسط- ضمنت وضعها القيادى فى هذا الجزء من العالم باعتبارها القوى العظمى الوحيدة المسلم بها لمدة عقدين تقريباً.

> **وجهت بريطانيا العظمى -فى أكتوبر ١٩١٨- ضرباتها النهائية فى حملة باهرة كسبت من خلالها السيادة على العالم العربى، ولم تعد الأمبراطورية العثمانية هى: سوريا وفلسطين وشرق الأردن والعراق، إذ غدت جميعها تحت السيطرة البريطانية، وكانت العراق هى الجائزة الكبرى، وربما الأغنى فى الحرب حيث كانت توجد بها احتياطيات واسعة من الزيت، احتياطيات لم تستخرج بعد[٢٨].**

إن بريطانيا -وهى تسعى لمارسة سيادتها على الشرق الأوسط ومناطق أخرى من العالم- غدت وجها لوجه مع تحد جديد لحكمها، أولاً: تحد من ألمانيا من خلال عمل عسكرى كثيف أدى إلى الحرب العالمية الثانية، ثم بعد ذلك تحد من الولايات المتحدة عند نهاية الحرب. إن الولايات المتحدة وهى تهزم منافستها ألمانيا -عند نهاية الحرب- بدأت تحل محل بريطانيا باعتبارها القوى العظمى الرأسمالية القائدة، محددة طبيعة وديناميكات الاقتصاد السياسى الكونى للمرحلة الثانية.

المرحلة الثالثة: ١٩٤٥ إلى ١٩٩١

تمتد المرحلة الثالثة للمنافسة فيما بين القوى الاستعمارية، من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى حرب الخليج الفارسى عام ١٩٩١- الحقبة التى يشار إليها عادة بمرحلة ما بعد الحرب. وقد ظهرت الولايات المتحدة فى هذه المرحلة الثالثة من المنافسة الكونية باعتبارها القوة الغربية القائدة، وهى قد مددت تحكمها ونفوذها ليس فقط فوق أوروبا والحوض الباسفيكى- ولكن أيضاً فوق الشرق الأوسط والخليج الفارسى.

وقد ضمنت الولايات المتحدة -فى الحقبة التالية لنهاية الحرب العالمية الثانية- وضعًا مهيمنا فى الشرق الأوسط، إن دخولها العنيف فى المنطقة "أنهى أكثر من قرن ونصف من السيطرة [البريطانية] فى الشرق الأوسط... وكان على لندن أن تتحمل تكلفة المنافسة، ليس من جانب فرنسا التى أزيحت أيضًا من المنطقة ولكن من الولايات المتحدة؛ لقد كان صعود الأخيرة إلى السلطة متناسبًا تناسبًا عكسيًا مع انحدار بريطانيا[٢٩].

وقامت الولايات المتحدة مع تحول الأراضى التى كانت تحت الانتداب البريطانى سابقًا ومناطق النفوذ من فلسطين إلى إيران إلى شعب الجزيرة العربية، قامت مع تحول تلك الأراضى إلى يديها بغزوات فى حقول زيت الشرق الأوسط ومنطقة الخليج مقيمة سلسلة من الدول الوكيلة التى تميل إلى الولايات المتحدة النيوكولونيالية الممتدة من تركيا إلى إسرائيل إلى إيران إلى العربية السعودية، وقد ضمنت الولايات المتحدة -بمثل تلك القبضة القوية الحازمة على مثل تلك الدول الموالية الأساسية فى المنطقة- ضمنت تحكمها الجيوبوليتيكى على المنطقة، وقد أمنت مدخلها إلى، واستغلالها لمصادر الزيت الواسعة فى الشرق الأوسط، ومن ثم التحكم فى سلسلة استراتيجية حيوية للآلة الصناعية للاقتصاديات الرأسمالية المتقدمة[٣٠].

وقد مددت الولايات المتحدة فى الخمسينيات فى القرن العشرين سيطرتها على كل منطقة الشرق الأوسط عبر: (١) مبدأ ترومان الذى قيد اليونان وتركيا إلى المصالح الأمريكية؛ (٢) روابط مع الدولة الإسرائيلية حديثة التكوين باعتبارها نقطة أمامية للولايات المتحدة؛ (٣) نقل التحكم فى آبار الزيت من الشركات البريطانية إلى شركات الزيت الأمريكية فى العربية السعودية؛ (٤) هندست الى آى إيه قلب نظام مصدق فى إيران وإقرار الشاه فى السلطة باعتباره دمية للولايات المتحدة الذى يشرف على تدفق الزيت من الخليج الفارسى.

وسعت الولايات المتحدة -خلال الفترة من باكورة الخمسينيات حتى نهاية السبعينيات من القرن العشرين- إلى ممارسة هيمنتها لما بعد الحرب فى الشرق الأوسط من خلال نقلات ضخمة من الأسلحة والمساعدات العسكرية إلى تركيا وإسرائيل والعربية السعودية وإيران، لتقف ضد كل من الاتحاد السوفيتى ومنافسيها الرأسماليين الأساسيين -بريطانيا وفرنسا وألمانيا واليابان- وكان هؤلاء المنافسون هم الأكثر أهمية.

إن المنافسات فيما بين القوى الاستعمارية والتى غدت مرئية فى تدفقات تجارة الوارد- الصادر والتى بدأت فى منتصف سبعينيات القرن العشرين كانت تتم بين القوى الرأسمالية الأساسية فى مواجهة المركزين المتنافسين اللذين يتمتعان بقوة إقليمية فى الشرق الأوسط (إيران والعراق) واللذين يتحكمان فى مصادر هامة للزيت، مصادر حيوية لاقتصاديات البلدان الرأسمالية المتقدمة[٣١].

إن هيمنة الولايات المتحدة فيما بعد الحرب فى الشرق الأوسط قد جاءت فى ظل ضغط متزايد مع سقوط شاه إيران وصعود الأصولية الإسلامية عبر المنطقة فى أواخر السبعينيات من القرن العشرين، وكذا عبر الثمانينيات من القرن العشرين[٣٢] وبينما قادت العداوات المستمرة بين إيران والعراق إلى حرب الخليج الأولى عام ١٩٨٠ -حرب دامت قرابة عقد- لحسم مسألة القوة الإقليمية فى الشرق الأوسط فإنها أدت أيضاً إلى مراجعة الانحيازات الإقليمية للقوى المتنافسة الإمبريالية المرتبطة بالصراع من أجل التحكم فى زيت الشرق الأوسط والتى بلغت ذروتها فى حرب الخليج الفارسى عام ١٩٩١، إن التدخل العسكرى الضخم للولايات المتحدة فى العربية السعودية والغزو التالى لذلك للعراق اختزل القوة العسكرية العراقية فى المنطقة وعمل باعتباره زاجراً للمنافسين الرأسماليين الأساسيين للولايات المتحدة والذين كانوا قد استعانوا بالعراق كى ترعى مصالحهم الاقتصادية فى الشرق الأوسط.

"النظام العالمى الجديد" لما بعد ١٩٩١

وتأثيره على الشرق الأوسط

أعلنت الولايات المتحدة بعد هزيمة العراق فى حرب الخليج الفارسى عام ١٩٩١ وبعد انهيار الاتحاد السوفيتى فى أول التسعينيات من القرن العشرين، أعلنت "نظاماً عالميًا جديداً" يلزم أن تقر فيه كل الأطراف بسيادة الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط". ويكتب حاييم بريشيت ونيرا يوفال- دافيس: "كانت هذه هى الحرب الأولى التى لم تلعب فيها الولايات المتحدة فقط دوراً جيد التخطيط حددته لذاتها -دور رجل الشرطة العالمى- لكنها كلفت أيضًا المجتمع العالمى بأجرة خدماتها[٣٣] ثم يضيفان:

> **إن مناوراتها [الولايات المتحدة] فى مجلس الأمن ومعارضتها الحادة لأى وسائل سلمية لحل النزاع يمكن أن تكون علامة على نظام جديد للأشياء... فإن كان الأمر كذلك، فإن هذه العلامة تحمل معها رسالة تبصير لسكان البلدان النامية والتى تعانى المجاعة والمديونية فى الجنوب، رسالة مصاعب إضافية هى الكدح والجوع فى ظل نظام تحكم عالمى أحادى القطبية[٣٤].**

لقد وجدت الولايات المتحدة، مع العصف بالقوة السوفيتية وزجر القوى المنافسة، وجدت أن احتكارها الجديد للقوة الذى نالته أمراً مريحًا بما يكفى لتعيد رسم حدود سياسة القوة الكبرى فى الشرق الأوسط، تلك الإعادة التى جاءت إلى المنطقة بمناخ التوتر والحيرة والالتباس.

إن دور الولايات المتحدة فى المنطقة خلال تسعينيات القرن العشرين غدا أكثر سيولة، عندما تكثف الصراع العربى الإسرائيلى عبر نهوض الأصولية الإسلامية فى "الأراضى المحتلة"، إن النقل المحدود النهائى لتلك الأراضى للفلسطينيين عبر مجرى العقد لم يؤد إلى السلم المنتظر، حيث إن الاضطراب السياسى الموروث منذ انتفاضة أواخر الثمانينيات من القرن العشرين فى غزة والضفة الغربية، والقمع الإسرائيلى المتواصل والتجاوزات الإمبريالية للولايات المتحدة أثارت المزيد من لهب السخط والاستياء، وبذلك أصبح "النظام العالمى الجديد" كلمة شفرية لكل جديد من التحكم والهيمنة الإمبريالية على الشرق الأوسط تحت حماية ورعاية الولايات المتحدة باعتبارها القوة الإمبريالية الأساسية فى أواخر القرن العشرين[٣٥].

إن ازدياد أعمال العدوان فى الجنوب اللبنانى والأزمة السياسية المتصلة فى قبرص والاضطراب المتواصل فى غزة والضفة الغربية والناتج عن بناء مستوطنات جديدة فى أورشليم الشرقية، وبالمثل الحالة السياسية التى تنطوى على صراعات قوى لا تحل، صراعات داخلية وخارجية بالنسبة للمنطقة، قد وضعت الشرق الأوسط مرة أخرى فى مقدمة نزاع واضطراب سياسى وأدت إلى المزيد من سفك الدماء والموت فى المرحلة القريبة للغاية.

إن الغزو الإسرائيلى الأخير لجنوب لبنان والقتل بلا تمييز للمدنيين فى ذلك البلد يثيران أسئلة جديدة حول طبيعة دور إمبريالية الولايات المتحدة والتى استخدمت حلفاء الجناح اليمينى كقوة شرطة إقليمية للتحكم فى الشرق الأوسط والهيمنة عليه فى نهاية القرن العشرين.

الهوامش

[1] Roger Owen, State, Power and Politics in the Making of the Modern Middle East (London: Routledge, 1992), pp. 8-11.

[١] روجر أوين: "الدولة، القوة والسياسة فى صنع الشرق الأوسط الحديث" (لندن روتليدج، ١٩٩٢) ص. ٨-١١.

[٢] الإمبريالية هى الهيمنة الاقتصادية والسياسية والعسكرية لأمة على أخرى، بغرض تحقيق ربح مالى، بينما يمكن أن تُعرف الإمبريالية وتُحدد تاريخيًا وبصورة عامة، فى تلك العبارات (مثال ذلك، يمكن تطبيقها على الامبراطورية العثمانية) فإن الإمبريالية الحديثة تُعرف وتُحدد باعتبارها المرحلة الاحتكارية للرأسمالية، والتى تغطى المرحلة من أواخر القرن التاسع عشر عبر القرن العشرين حتى الآن، إن إمبريالية الزمن الحالى -مثلها مثل الكولونيالية- تشتمل على استغلال أو قهر أمة وسكانها وأرضها ومواردها لأغراض الربح، غير أنها لا تماثل الكولونيالية، والتى تستلزم حكمًا مباشرًا سياسيًا/ عسكريًا، والإمبريالية المعاصرة تعنى ضمنًا تحكم وهيمنة أمة ما بواسطة أساليب غير مباشرة عبر واسطة من مؤسسات ضخمة كونية متنوعة.

[3] E.M. Earle, Turkey, The Great Powers, and the Bagdad Railway: A Study in Imperialism (New York: Russell & Russell, 1966), p.13; T. Cavdar, "Cumhuriyet Devri Baslarken Turkiye Ekonomisi" (The Turkish economy at the beginning of the republican era), in Turkiye Ekonomisinin 50 Yili Semineri (Bursa: I. ve T.I. Akademisi, 1973), p.62.

[٣] أ.م. إيرل. "تركيا، القوى الكبرى، وخط بغداد للسكة الحديدية: دراسة فى الإمبريالية" (نيويورك روسل وروسل، ١٩٦٦) ص. ١٣.

ت. كاقدار "الاقتصاد التركى فى بداية الحقبة الجمهورية": ١٩٧٣، ص. ٦٢.

[4] O.C. Sarc, "Ottoman Industrial Policy, 1840-1914," in The Economic History of the Middle East, 1800-1914, ed. Charles Issawi (Chicago: University of Chicago Press, 1966) pp. 52-55

[٤] أ.س. سارك، "السياسة الصناعية العثمانية، ١٨٤٠-١٩١٤" فى التاريخ الاقتصادى للشرق الأوسط" تحرير شرلز عيسوى (شيكاغو. مطبعة جامعة شيكاغو، ١٩٦٦)، ص. ٥٢-٥٥

[5] Resat Kasaba, The Ottoman Empire and the World Economy- The Nineteenth Century (Albany: State University of New York Press, 1988), chaps. 2 and 3. See Huseyin Ramazanoglu, "A Political Analysis of the Emergence of Turkish Capitalism, 1839-1950," in Turkey in the World Capitalist System, ed. H. Ramazanoglu (Aldershot, U.K.: Gower, 1985), pp. 49-54.

[٥] ريسات كاسابا، "الإمبراطورية العثمانية والاقتصاد العالمي – القرن التاسع عشر (الباني: مطبعة جامعة الدولة بنيويورك، ١٩٨٨) الفصول ٢، ٣ إن ذلك، على أى حال، لا يعنى حصاراً تاماً للتنمية الرأسمالية فى تركيا، ولكن وقفة مؤقتة فى تطور البورجوازية الصناعية الوطنية التركية، إن الرأسمالية المحدودة التى تطورت فى الإمبراطورية منذ أواسط القرن التاسع عشر حتى بداية القرن العشرين قد نتجت من خلال الأقلية العثمانية البورجوازية التجارية كوسيط.

أنظر حسين رامازانوجلو "تحليل سياسى لظهور الرأسمالية التركية ١٩٢٩– ١٩٥٠، فى 'تركيا فى النظام الرأسمالى العالمى'، تحرير ح. رامازانوجلو (إلدرشوت) المملكة المتحدة جوير، ص. ٤٩–٥٤.

[٦] أوين، "الدولة، القوة والسياسة فى صنع الشرق الأوسط الحديث"، ص. ٨–١١.

[٧] المصدر السابق ص. ٩.

[٨] المصدر السابق ص. ١٠–١١.

[9] T. Cavdar, Osmanlilarin Yari Somurge Olusu (The semicolonization of the Ottomans) (Istanbul: Ant Yayinlari, 1979)

[٩] ت كافدار "التحول العثمانى إلى شبه الكولونيالية" (اسطمبول أنت يابنلارى، ١٩٧٠).

[10] Joe Stork, Middle East Oil and the Energy Crisis (New York: Monthly Review Press, 1975), p. 7.

[١٠] جو ستورك، "زيت الشرق الأوسط وأزمة الطاقة" (نيويورك. مونثلى ريفيو برس، ١٩٧٥)، ص. ٧.

[١١] المصدر السابق ص. ٨.

[12] D.C. Blaisdell, European Financial Control in the Ottoman Empire (New York; Columbia University Press, 1929).

[١٢] د.س. بلايسدل. "التحكم المالى الأوروبى فى الأمبراطورية العثمانية" (نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا، ١٩٢٩).

[13] Alain Gresh and Dominique Vidal, eds., An A to Z of the Middle East (London: Zed Books, 1990), p.141.

[١٣] آلاين جريش ودومينيك فيدال، "ألف باء الشرق الأوسط" (لندن: كتب زد، ١٩٩٠)، ص. ١٤١.

[١٤] إيرل، "تركيا، القوى الكبرى وخط بغداد للسكة الحديدية ص. ٤–٥.

[١٥] المصدرالسابق ص ص. ٧–٨

[١٦] المصدر السابق، ص. ٨

[١٧] المصدر السابق، ص. ١٥

[١٨] المصدر السابق، ص.ص ١٥، ١٧

[١٩] المصدر السابق، ص. ٣٦

[٢٠] المصدر السابق، يواصل إيرل ليشير إلى: "احتوت التيمس اللندنية فى ٢٨ أكتوبر ١٨٩٨ على عرض له شأنه لوضع المشروع الألمانى فى الامبراطورية العثمانية خلال العقد السابق مباشرة، حيث كانت

الشئون المالية والتجارية لتركيا (العثمانية) خلال السنوات العشر الماضية محتكرة عمليًا بواسطة فرنسا وبريطانيا العظمى، والألمان الآن هم المجموعة النشطة للغاية في القسطنطينية وآسيا الصغرى: المصدر السابق ص٣٧، وبصورة أكثر تحديداً "فإن الشركة الألمانية لبناء السفن والمملوكة لكروب، كانت تعد طوربيدات للأسطول التركي. وكانت لودويج لووى أند كومباني في برلين تمد الألة العسكرية للسلطان بالأسلحة الصغيرة: كانت كروب –من إسن– تشارك ارمستروتج أوامر احتياجات المدفعية... وقد أسست عام ١٨٩٩ مجموعة من الماليين الألمان "بنك دويتش بالستينا" والذى سار في طريق إنشاء فروع له في بيروت ودمشق وغزة وحيفا ويافا وأورشليم ونابلس والناصرة وطرابلس فى سوريا"، المصدر السابق.

[٢١] المصدر السابق.

[٢٢] المصدر السابق، ص ٣٤١

[٢٣] المصدر السابق، ص ٣٤٣

[٢٤] المصدر السابق.

[٢٥] جريش وڤيدال، محرران، "ألف باء الشرق الأوسط" ص. ٥٢

[٢٦] ستورك، "زيت الشرق الأوسط وآزمة الطاقة" ص ١٤٠

[27] Daniel Yergin, The Prize: The Epic Quest for Oil, Money, and Power (New York: Simon & Schuster, 1991).

[٢٧] دانييل يرجين، "الجائزة: الحاجة الملحمية للزيت والنقود والقوة (نيويورك: سيمون وسشوستر، ١٩٩١).

[28] William Stivers, Supremacy and Oil; Iraq, Turkey, and the Anglo- American World Order, 1918- 1930 (Ithaca: Cornell University Press, 1982), p. 15.

[٢٨] ويليام ستيفرز، "السيادة والزيت، العراق، تركيا، والنظام العالى الأنجلو أمريكى، ١٩١٨– ١٩٣٠" (إيتاكا: مطبعة جامعة كورنيل، ١٩٨٢)، ص. ١٥

[٢٩] جريش وڤيدال، محرران، "ألف باء الشرق الأوسط"، ص. ٥٤

[٣٠] أصبحت الولايات المتحدة في عام ١٩٤٨ متحكمة في أكثر من نصف إنتاج الزيت في الشرق الأوسط.

[٣١] شكلت صادرات الزيت أكثر من ٩٠٪ من إجمالي صادرات إيران والعراق خلال العقدين الماضيين، وقد شكلت صادرات الزيت عام ١٩٩٠، ٩٢٪ من إجمالي صادرات إيران و٤٠ ٩٩٪ من إجمالي صادرات العراق، أنظر "منظمة البلدان المصدرة للبترول، النشرة الإحصائية السنوية للأوبك. ١٩٩١ (فيينا: أوبك، ١٩٩٢)، ص٨.

[32] Farideh Farhi, "Class Struggles, the State, and Revolution in Iran," in Power and Stability in the Middle East, ed. Berch Berberoglu (London: Zed Books, 1989); Cyrus Bina and Hamid Zangeneh, eds., Modern Capitalism and Islamic Ideology in Iran (New York: St. Martin's Press, 1992).

[٣٢] فريده فارحي، "النضالات الطبقية، الدولة والثورة في إيران"، في "القوة والاستقرار في الشرق الأوسط". تحرير بيرش بيربيروجلو (لندن: كتب زد، ١٩٨٩): سيروس بينا وحميد زانجينه، محرران، "الرأسمالية الحديثة والأيديولوجية الإسلامية في إيران" (نيويورك، مطبعة القديس مارتين، ١٩٩٢).

[33] Haim Bresheeth and Nira Yuval-Davis, intoduction to The Gulf War and the New World Order, ed. Haim Bresheeth and Nira Yuval-Davis (London: Zed Books, 1991). p.1

[٣٣] حاييم بريشيت ونيرا يوڤال دافيس، "مقدمة" حرب الخليج والنظام العالمى الجديد" تحرير حاييم بريشيت ونيرا يوڤال دافيس (لندن: كتب زد، ١٩٩١) ص ١

[٣٤] المصدر السابق.

[٣٥] المصدر السابق.

الفصل الثانى

القومية، النزاع الاثنى، والاضطراب السياسى فى الشرق الأوسط فى باكورة القرن العشرين

لقد كان لانحدار وسقوط الإمبراطورية العثمانية فى أوائل القرن العشرين تأثير عميق على شعب تركيا العثمانية، وخاصة على المجموعات الاثنية (اليونانيين واليهود والأرمن) والتى كانت قد حققت وضعًا هامًا فى المؤسسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للمجتمع العثمانى، وقد كانت المجموعة الأرمنية هى أبرز تلك المجموعات.

إن انحدار الإمبراطورية العثمانية -والذى لعب الغرب الإمبريالى فيه دورًا أساسيًا- أدى إلى صعود رد فعل سياسى محافظ متطرف، رد فعل انتقى الأرمن كبش فداء لأمراض المجتمع العثمانى، وفَقد، فى سنوات قليلة من الحرب والاضطراب السياسى عبر الإمبراطورية، فَقد أكثر من ١,٥ مليون أرمنى حياتهم فى فتن ومذابح مخططة، ومسيرات إجبارية، ونفى وإبعاد عام ١٩١٥.

إن هذا الفصل يدرس نهوض القومية والنزاع الاثنى والاضطراب السياسى فى الشرق الأوسط، مع التركيز على المجتمع الأرمنى فى تركيا العثمانية فى أوائل القرن العشرين[١]، إنه يوضح أن نهوض القومية التركية كان رد فعل للامبريالية الغربية (التى عجلت بانحدار وسقوط الإمبراطورية العثمانية)، وأن العدوانات التى تلت ذلك موجهة نحو الأقليات الاثنية -وخاصة الأرمنية- قادت إلى الإبادة العرقية الواسعة الأولى فى القرن العشرين.

دور الأقليات الاثنية فى المجتمع العثمانى

لقد لعبت الأقليات الاثنية -المكونة من الأرمن واليونانيين واليهود ومجموعات قومية عديدة أخرى موجودة عبر الإمبراطورية- لعبت دورًا هامًا فى البنيان الاجتماعى العثمانى. كان اليونانيون والأرمن واليهود إلى مدى أقل متمركزين أساسًا فى اسطنبول وأزمير، وكان لهم بالفعل دور قيادى فى التجارة والمالية العثمانية فى أواخر القرن الثامن عشر[٢]، وقد نما السكان الاثنيين فى الحجم عبر العقود، واتجه وضعهم نحو المزيد من التحسن، وبدأوا يلعبون دورًا مهيمنًا فى فروع أساسية فى الاقتصاد العثمانى عند نهاية القرن التاسع عشر، وقد شكل الأرمن واليونانيون واليهود فى العاصمة العثمانية اسطنبول حوالى نصف سكان المدينة خلال هذه المرحلة، كان هنالك من المليون الذين يقطنون اسطنبول، ٥٠٠ ألف تركيا، ٤٠٠ ألف من الأرمن واليونانيين، ١٠٠ ألف من اليهود والأوروبيين[٣]، وحققت مجتمعات الأقليات -فى أماكن أخرى فى

آزمير وبلدان كبيرة من الإمبراطورية، وإن كانت أصغر نسبيًا في حجم سكانها- حققت تحكمًا متفاوتًا على الاقتصاد المحلى، وجنت ثروة حقيقية من تجارة الإمبراطورية وماليتها، ونشاطات اقتصادية أخرى، ويقرر بيان ألمانى عن دور اليونانيين والأرمن واليهود فى الاقتصاد العثمانى نشر فى برلين عام ١٩١٢، أنهم:

قسموا كل شئ فيما بينهم أو هيمنوا معا على المكان، كان كل ما يخص الضرورات المباشرة للحياة، عمليًا، فى أيدى اليونانيين وكل الفروع ذات العلاقة الأقل مباشرة بالحياة، وإن كانت ذات علاقة باكتساب الحضارة فى أيدى الأرمن. كانت لهم أكبر الأعمال فى مجالات الحديد والقصدير والزنك، وأيضًا كل تلك المختصة بتجارة البناء والتشييد، وتركت فقط الخردوات الصغيرة والأشياء الزهيدة والسلع التجارية الكولونيالية لليهود وكانت الأعمال الخاصة بالنقود من المصرفيين الكبار إلى من يعملون فى تغيير العملة التافهين فى القسطنطينية، كانت أساسًا فى أيد يونانية- أرمنية، كان هنالك فقط مصرفيون يهود صغار، وعدد قليل للغاية ممن يعملون فى تغيير العملة... كان باعة العاديات وتجار السجاد فى القسطنطينية يكادون أن يكونوا دون استثناء من السفارديم(٤).

وقد لعب اليهود -على أى حال فى أزمير وسالونيكا- دورًا أكثر نشاطًا فى التجارة والبيع والشراء، رغم أن الوجود اليونانى الأرمنى كان جوهريًا للغاية فيما سبق.

ويشير شارلز عيسوى فى كتابه "التاريخ الاقتصادى للشرق الأوسط وشمال أفريقيا، إلى الدور الأساسى الذى لعبه التجار الأرمن واليونانيون واليهود فى تجارة الاستيراد والتصدير التى يمكن أن تعالج وتمول الانسياب الخارجى للإنتاج الزراعى والانسياب الداخلى للمنتجات الصناعية وسلع استهلاكية أخرى"(٥)، ويضيف أن "تلك الشركات كانت تكاد أن تكون أجنبية كلية".

كان مدخل البريطانيين فى مصر و العراق، والفرنسيين فى سوريا وشمال أفريقيا، والبريطانيين والروس فى إيران، والبريطانيين والفرنسيين والنمساويين والإيطاليين وآخرين فى تركيا.. كان مدخلهم إلى المزارعين عبر التجار الصغار ومقرضى النقود المجندين أساسًا من مجموعات الأقليات من الأرمن واليونانيين واليهود ومسيحيين من سوريا ولبنان والذين كانوا يدفعون نقودًا مقدمًا، ويشترون المحاصيل كى يعيدوا بيعها للمصدرين، ويسوّقون السلع التى تستهلك فى الريف، وقد أقام أفراد من الأقليات

أحيانًا علاقاتهم الخاصة مع بريطانيا وفرنسا وبلدان أخرى صناعية، منشئين فروعًا لشركات التصدير(٦).

ويكتب عيسوى، "إن اليونانيين والأرمن واليهود فى تركيا قد هيمنوا بهذا الترتيب على القطاع الحضرى وتحكموا فى جزء هام من القطاع الزراعى".

لقد تحكم رجال مصرف جالاتا، والذين يتكونون من شرقيين وأعضاء من الأقليات، تحكموا فى الشئون المالية، وقد أدى استبدال تلك البنوك ببنوك حديثة إلى توسيع حقل العمل فقط؛ إذ كان هناك عام ١٩١٢ تركى مسلم واحد فقط من بين الـ١١٢ العاملين فى المصارف ومديرى المصارف فى الإمبراطورية العثمانية، وكان للأتراك حجم تم تقديره ١٥٪ فقط من رأس المال، وقد وطد الأرمن واليونانيون أنفسهم فى مجال التجارة فى أوروبا مبكرًا فى القرن التاسع عشر، وأمسكوا بغالبية تجارتها مع تركيا، وفى مجال الزراعة نشطت الملل بشكل خاص فى تلك المحاصيل النقدية الهامة كالحرير والقطن(٧).

ويقدم بيانًا تركيا، حول النشاطات الاقتصادية لليونانيين والأرمن واليهود فى تركيا الغربية (أساسًا إسطنبول وأزمير) كما يقدم وصفًا أكثر تفصيلاً لمشاركتهم فى تجارة الصادر الخارجية وهى فى هذه الحالة الشحن بالسفن للمنتجات الزراعية إلى الخارج:

يكاد يُؤتى بكل محصول من جزء واسع من الأناضول المرتبط بأزمير إلى هنالك، يملأ المنطقة الكبيرة من "سوق الفاكهة" حتى "الرسوم الجمركية"، وتغص تلك المنطقة بأناس من كل الأمم، وأيضًا بهؤلاء الذين تُعرف أصولهم وإن كانوا معروفين عادة كقاطنين لأزمير، إن هؤلاء الناس يحملون أوراق هوية متنوعة وكأنهم أوربيون، غير أنهم أشبه بخلية نحل تتكون من اليونانيين والأرمن وخاصة اليهود، إن لهذه الخلية نشاطًا لا يتوقف، وبطن أفرادها فيما حولهم ويمتصون بطريقة لا نهائية زاد العسل المتاح حتى تفيض به قوانصهم، كانت هنا وهنالك أيضًا متاجر تركية قليلة.

كان فى وسع المُنتج فى الأناضول -عندما لا يكون مقيدًا بعقد إلى تاجر تصدير أجنبى- إحضار ما تبقى من محصوله إلى الوسطاء فى "سوق الفاكهة"..

وبذا شكل التجار الأتراك غالبية هذه الطبقة من الناس، أو فى الحقيقة كل هذه الطبقة من الناس الذين يقبلون أن يكونوا وسطاء بين المنتجين وتجار التصدير..

وكان المنتجون هم الضحايا فى أرض هذه المعركة التجارية؛ وكانت العناصر الأجنبية وشبه الأجنبية هى العناصر الكاسبة، وكان الأتراك هم النظارة والمتفرجون، يقينا كان اليهود هم الأقوى والأكثر نشاطًا والأكثر ذكاءً[٨].

وكما بيّن هذا البيان التركى بوضوح دور الأقليات الاثنية فى التكوين العثمانى، ودور الأرمن واليونانيين واليهود، هذا الثلاثى الاثنى المتضمن فى تركيا العثمانية، فإنه بيّن أيضًا أنه كان يُنظر إليهم بعيون تركية باعتبارهم "عنصرا شبه أجنبى"، عنصراً له مصالح متناقضة مع الغالبية الواسعة من السكان العثمانيين والأمة التركية عامة، وقد استخدمت تركيا الفتاة وجهات نظر قومية تم الارتكاز الأيديولوچى بقوة عليها، وجهات نظر تماثل تلك التى عُبر عنها آنفا لتُغذى مشاعر النقمة والغضب بين السكان الأتراك ضد كل الأقليات الاثنية غير المسلمة فى المجتمع العثمانى، وخاصة ضد الأرمن مع قربهم الوثيق من مركز قوة الدولة العثمانية خلال آخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

وضع المجتمع الأرمنى فى تركيا العثمانية

كان عدد الأرمن فى الإمبراطورية العثمانية خلال هذه الفترة يقدر بحوالى ٥ ٢ مليون، يعيش أكثر من ٨٠٪ منهم فى مناطق زراعية فى الأناضول الشرقية وفى مناطق "أضنه" و"ماراس" فى الجنوب[٩]، وقد بلغ عدد الأرمن فى المركز الحضرى الأساسى اسطنبول حوالى ٢٠٠ ألفا فى أوائل هذا القرن، وكانوا فى أزمير على الشاطئ الغربى أرضروم، وكارس وڤان فى الشرق؛ سيڤاس وأماسيا فى المنطقة الوسطى الشمالية؛ وأضنه، ومرسينى، ودياربكر، وماراس فى الجنوب الشرقى حيث توجد مراكز حضرية أناضولية أقل سكانا، حيث كان يتمركز الأرمن؛ كانوا يتراوحون من عشرة آلاف إلى مائة ألف فى كل من تلك المدن متوسطة الحجم مع المزيد ممن يقيمون داخل كل من الفيلاتيس أو الأقاليم[١٠]، وقد عاش بقية السكان الأرمن فى مدن صغيرة وقرى عبر الأناضول الشرقية والجنوبية، حيث كانوا يدبرون معاشهم عن طريق زراعة قطع أراضيهم الصغيرة. كان كبار ملاك الأراضى يشكلون نسبة صغيرة من السكان الأرمن. بينما الغالبية العظمى كانت من فلاحين يزرعون أكراتهم القليلة من الأرض[١١].

وقد ساد فى المدن والمراكز الحضرية مثل إسطنبول والبلدات المجاورة لها تكوين طبقى مختلف: هنا، يلعب التجار ورجال المصارف والصناعات والوسطاء دوراً هاماً، رغم حقيقة أن غالبية الأرمن قاطنى المدن كانوا إما ملاك أعمال صغيرة، حرفيين أو عمالا عاديين(١٢).

وكان البطريرك الأرمنى للقسطنطينية يُرسَم قائداً "للملة الأرمنية" طبقاً لنظام الملل (الجماعات القومية/ الاثنية) الذى وضعه السلطان محمد الثانى فى القرن الخامس عشر(١٣)، وكان البطريرك فى ظل هذا النظام من الإدارة السياسية مسئولاً عن الحياة الدينية والتعليمية والاجتماعية للأرمن فى الأمبراطورية العثمانية، ويكتب -على أى حال- لويس نالبانديان "لقد غدا المكتب البطريركى هذا فى القرن التاسع عشر ضعيفاً، حتى إن القوة الحقيقية لم تكن فى يدّى البطريرك، ولكن كانت تمسك بها "أوليجاركية" تتألف من عناصر ثرية محافظة من أرمن القسطنطينية(١٤).

إن هذه الأوليجاركية قد خرجت من طبقة "الأمراء"، التى تتكون من رجال البنوك والتجار والأثرياء وموظفى الحكومة، وقد هيمن الأمراء بتحكمهم فى البطريرك على النشاط القومى وكثير من النشاط الدينى لأرمن القسطنطينية(١٥).

ومن ثم، لعبت النخبة الأرمنية فى بداية القرن التاسع عشر دوراً مهيمناً فى المجتمع الأرمنى، وكانت مؤثرة للغاية فى بنيان القوة العثمانية بالمثل، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى وضعهم الإستراتيجى داخل الاقتصاد وإدارة الدولة.

وقد لعب رجال البنوك اللذين يشكلون العنصر المهيمن لهذه النخبة دوراً مباشراً فى اقتصاد الإمبراطورية، فقد كانوا يقومون بجمع الضرائب، ويقدمون القروض إلى الدولة، ويضمنون الاعتمادات المالية فى مواجهة الخسائر، وهيمنوا على النقد الأجنبى والعمليات التجارية مما جعلهم على علاقة وثيقة بأوروبا والغرب(١٦)، كما لاحظ أحد مراقبى المجتمع العثمانى القريبين.

إن الوجهاء الذين عرفوا بالأمراء، لعبوا دوراً مهيمناً فى الكنيسة الأرمنية والمجتمع، ودوراً هاماً فى الإدارة العثمانية، إن مجموعة واحدة من هؤلاء الأمراء تتكون من "الصرافين" أو رجال البنوك الذين أمدوا المزارعين بالضريبة والموظفين الإقليميين الآخرين برأس المال المطلوب للمزايدة وضمنوا دفع إيرادات الضريبة المتفق عليها فى الخزانة الإمبراطورية، وقد أصبح رجال البنوك الأرمن فى بداية القرن التاسع عشر مهمين فى مجال النقد الأجنبى والعمليات التجارية بالمثل(١٧).

ومن ثم، فإنه بينما كانت كتلة سكان الحضر الأرمن مكونة من عمال عاديين وحرفيين منظمين فى روابط أو "أسناف"، فإن عناصر النخبة (يقودها الأمراء) كانوا بشكل واضح قوة مهيمنة من خلال نفوذها على المؤسسات الأساسية للمجتمع العثمانى، وبالمثل من خلال التحكم فى المجتمع العثمانى ذاته(١٨)، وكما يشرح ادجاريان:

كان الأمراء هم موظفى الحكومة الأرمن القدامى وقد حدث ظهورهم على النحو التالى، كانت الحكومة التركية تنصب باشا تركيا كحاكم، وكان الأخير يعين صرافا أرمنيا كضامن لدفع الضرائب؛ وكان الصراف يقوم بسداد نفقات القصر، ثم يقوم هو -بعد إدراج تلك مقابل ضرائب قابلة للدفع- بجمع الضرائب شخصيًا من الناس، وكان "الأمراء" فى الغالب من الأقاليم، وكان فى وسعهم باعتبارهم أكثر الناس نفوذًا فى البلاد أن يشاركوا فى كل الشئون القومية (أى الأرمنية)، وكان البطريرك "والجمعية القومية" فى أيديهم(١٩).

وكانت هنالك مجموعة أخرى تتكون من الوجهاء، من كبار موظفى الحكومة المسئولين فى مختلف مؤسسات الدولة أو إداراتها، بما فى ذلك القصر الإمبراطورى والنظام التعليمى والصحة والأعمال العامة والشئون الخارجية(٢٠)، يضاف إلى ذلك أن وزارة الخزانة الإمبراطورية الخاصة [الثروة الشخصية للسلطان] كانت دوما فى أيدى الأرمن"(٢١).

إن هذا الوضع المحورى لجزء مختار من السكان الأرمن فى الدولة والاقتصاد والمجتمع العثمانى قد أدى بهم إلى مراكز قوة ونفوذ جيدة فى الإمبراطورية العثمانية فى القرن التاسع عشر.

المنافسة الاثنية وصعود القومية التركية

بدأ السكان الأتراك يحسون توسع قوة الأقليات الاثنية الاقتصادية (وخاصة الأرمن) خلال القرن التاسع عشر فى كل من المجالين الحضرى والزراعى، عندما بدأت المجموعات الاثنية غير المسلمة (اليونانيين، الأرمن واليهود) الهيمنة على النشاطات التجارية والمالية للإمبراطورية، واشتروا الكثير من الأراضى الخصبة فى المناطق الزراعية، وقد أخرجوا منافسيهم الأتراك من الأعمال فى الحواضر والمدن حيث كان

الأتراك هم القوة المهيمنة[٢٢]. وبينما تتحول الثروة من الأتراك إلى أيدى الأرمن واليونانيين، وبمدى أقل إلى اليهود، فإن الفجوة المتسعة بين الأتراك وبين مجموعات الأقليات الاثنية تلك قد أدت إلى الغضب والاستياء ضد الأقسام الثرية من السكان غير المسلمين، الذين احتلوا منزلة مركزية متزايدة فى الاقتصاد والمجتمع، وكما يوضح تقرير تجارى عن الوضع فى أرضروم فى شرقى تركيا:

> **فإن علامة واضحة لا لبس فيها عن الثراء الصاعد قد وُجدت فى القيمة المتزايدة للأرض، فقد تضاعف ثمنها خلال وقت قصير، وربما يرجع هذا أساسًا للمعاملة الأكثر إنصافًا التى لقيها المزارعون فى ظل "التنظيمات"... ومن الجدير بالاعتبار، على أى حال، أن مشترى الأرض عمومًا كانوا من الأرمن، ويكاد أن يكون الباعة دومًا من المسلمين، وهى حقيقة لها دلالة قوية فيما يتعلق بتأثير التنظيمات على الجزء المسيحى من السكان والذى كان يزداد ثراء بشكل واضح[٢٣]، وفى مكان آخر من تركيا الشرقية احتل الأرمن مراكز رئيسية فى التجارة والأعمال مما سهل الإثارة المضادة للأرمن بين الكتل المسلمة والأكراد فى المحل الأول، مثلاً: فى "فيلايت" [إقليم] سيفاس (حيث شكل الأرمن ٣٥٪ من السكان) كان هنالك ١٢٥ أرمنيا من بين ١٦٦ مستوردًا كبيرًا، و٣٢ أرمنيا من بين ٣٧ من رجال البنوك، و٦٨٠٠ أرمنيا من بين ٩٨٠٠ تاجرًا صغيرًا، وكان الأرمن يمتلكون ١٣٠ مشروعًا من بين ١٥٠ مشروعًا صناعيًا، وفى فيلايت ڤان، كان يُمسك الأرمن بـ٩٨٪ من التجارة، ٨٠٪ من الزراعة... كان هنالك ١٨ تاجرًا كبيرًا، كلهم من الأرمن، ٥٠ مقرضًا للنقود (٣٠ أرمنيًا و٢٠ تركيًا)، ٢٠ صرافا كلهم من الأرمن، ١١٠٠ حرفيًا (١٠٢٠ أرمنيا و٨٠ تركيا)، ٨٠ تاجر خضروات (٥ أرمنيا، ٣٠ تركيا)، ٢٠٠ تاجر فواكه، كلهم من الأرمن، وكان كل العاملين فى الحرف الحرة- أطباء، صيادلة ومحاميين... الخ -كانوا كلهم من الأرمن[٢٤].**

وفى المنطقة الغربية من الإمبراطورية- فى أزمير وبورصا وأماكن أخرى- كانت الحالة مماثلة، وطبقًا لتقرير من المكتب الأجنبى البريطانى:

> **فإن التحسن العام فى أزمير هو، على أى حال، فى صالح السلالات المسيحية عامة، بصورة أكثر، تلك السلالات التى تشترى الأتراك.. إن الأتراك الذين كان التجنيد الإجبارى يقيد حريتهم وقوتهم، "وقعوا فى أيدى بعض رجال البنوك المرابين المسيحيين [أرمن، يونانيين وأحيانًا أوروبيين]**

الذين سرعان ما كان يُضحى لهم بكل الملكية أو العقار، وفي الجوار المباشر "لسيميرنا" ظل باقيا عدد قليل للغاية من ملاك الأرض الأتراك"(٢٥).

وعن المزيد من الاتجاه غربًا يكتب المؤلف البريطاني و.م. رامساي: "ان كل إمرئ يألف السواحل الريحية(*) أو الأيونية(**) يعرف العديد من القرى اليونانية المزدهرة والتى كانت منذ سنوات مضت ليست بالعديدة للغاية خالية أو يسكنها الأتراك فقط، إن الأتراك يفقدون أو قد فقدوا فى بعض الأماكن قبضتهم على الساحل وعلى الوديان التى تفتح على السواحل... وكلما دخلت السكك الحديدية إلى داخل البلاد كلما دخل العصر اليونانى أو حتى سبقها"(٢٦).

ويكتب عيسوى: "إن هذا الشعور بالإغراق والإزاحة سبب الكثير من الحنق والغضب بين الأتراك، ويساعد فى توضيح أسباب المرارة الكثيفة والعنف فى ا لصراع بين الأتراك والأرمن واليونانيين فى الفترة من ١٨٩٥ إلى ١٩٢٣"(٢٧).

إن بروز "الأمراء" الأرمن فى داخل المجتمع العثمانى قد أدى إلى كثير من المرارة بين أجزاء عريضة من السكان الأتراك، وخاصة العناصر القومية منهم وجنرالات وضباط الجيش، وسرعان ما تحولت مثل تلك المرارة ضد الأرمن الأثرياء إلى غضب واستياء معمم ضد المجتمع الأرمنى ككل، وتسبب فى صعود القهر الوحشى للأرمن ومذابح ١٨٩٤- ١٨٩٦(٢٨).

إن السلب والنهب الدورى وتدمير الجيران الأرمن وقتل أعداد كبيرة منهم فى مذابح انتقائية أوركسترالية تجيزها الحكومة(٢٩)، مع غياب التدخل الغربى لوقف الفظائع التى ارتكبت ضد السكان الأرمن، قد أعد المسرح لقهر واسع النطاق للمجتمع الأرمنى، مع صعود قوة فاشست تركيا الفتاة التى كان يقودها الباشوات أنور وكمال وطلعت فى العقود الأولى من القرن العشرين، وبهذا مهدوا الطريق للحل النهائى" لـ "مسألة الأرمنية"- باستئصال ١.٥ مليون أرمنى عام ١٩١٥(٣٠).

(*) منسوبة إلى عولس إله الريح (المترجم)

(**) نسبة إلى الأيونيين من أسلاف اليونانيين (المترجم)

القومية المتطرفة والإبادة العرقية
للأرمن فى تركيا العثمانية عام ١٩١٥

لقد أدت المحاولات العديدة للقيام بهبة قومية أرمنية فى الشرق إلى قمع حاد ومذابح للآلاف من الأرمن فى أواخر القرن التاسع عشر(٣١)، ومع ذلك فإن نقطة التحول فى استمرار بقاء المجتمع الأرمنى تحديداً فى تركيا العثمانية تعود إلى ثورة تركيا الفتاة عام ١٩٠٨. ويكتب بول سابا: "منذ بداية الثورة أمسكت القوميات المقهورة داخل الإمبراطورية بالفرصة كى تعلن استقلالها، بينما سعت القوى الأجنبية للاستفادة من الفوضى التركية الداخلية لتحقيق كسب خاص بها".

> **أعلنت بلغاريا عام ١٩٠٨ استقلالها، وسرعان ما ثارت كريت لتتحد مع اليونان، وضمت النسما- هنغاريا البوسنة- والهرسجوفينا، وغزت إيطاليا فى ١٩١١- ١٩١٢ ليبيا وهزمتها، وأخيراً قام تحالف بلقانى متحد عام ١٩١٣ بطرد الأتراك من مقدونيا، وفى داخل بقايا الإمبراطورية طالبت قوميات أخرى مقهورة بما فيها الأرمن والشعوب العربية بحكم ذاتى أكبر أو حق تقرير المصير"(٣٢).**

وفى إطار هذا السياق من التصدع للإمبراطورية العثمانية، ومحاولة القوى القومية التركية إنقاذ أجزاء من الامبراطورية المفككة، اتخذ رد فعل تركيا الفتاة أكثر أشكاله قسوة.

واتجهت تركيا مهتزة نحو الديكتاتورية العسكرية، وغدت التتركة الأيديولوچية هى المهيمنة فى الـ سى يو بى [لجنة الاتحاد والترقى] القائدة والدوائر الحكومية، كانت الرابطة التركية كما نَظَرتها الـ سى يو بى تعبيراً متطرفًا عن رد الفعل المتناقض عن تردد وتقلب القوميين الأتراك فى مواجهة الاختراق الغربى وتأثيره المدمر على وحدة الإمبراطورية العثمانية... كانت العنصرية والنعرة القومية والعسكرية والتغاضى عن كثير من الإسلام التقليدى كانت كلها سمات الرابطة التركية، إننا إن أخذنا هذا الخليط من العناصر الأيديولوچية معًا فإنه يرمز إلى أيديولوچية مماثلة كانت ستبزغ فى ألمانيا فى العشرينيات من القرن العشرين، إنها النازية(٣٣).

ويشير سابا إلى أن "مُنظرى الرابطة التركية وضعوا مفهومًا يصور الأتراك باعتبارهم سلالة سادة، وتخيلوا الخلق القهرى لإمبراطورية عظيمة ("طوران") لكل

الشعوب الطورانية الآرية عبر آسيا، ونُظر إلى روسيا والشعوب السلافية والأرمن باعتبارهم عقبات أمام تحقيق هذا الهدف(٣٤).

> **كان على الأتراك أن يتحدوا فى دولة جديدة نقية ليس فيها مكان لشعوب "أجنبية"، إن جهود سى يو بى لحشد شعبى للكتل التركية على أساس نداءات قومية وتعصب عنصرى وطقوس تشبه النازية لماض تركى جاهلى، خلق مناخًا لتعصب متزايد ضد كل الشعوب الأقلية داخل الأمبراطورية(٣٥).**

ودخلت الإمبراطورية العثمانية الحرب العالمية الأولى، فى إطار هذا السياق لإيديولوجية التوسع القومى للرابطة التركية إلى الشرق، بأمل الاستحواذ على روسيا كجزء من استراتيجيتها لإعادة فتح "الطوران" القديمة، "غير أنه قتل، على أى حال، خلال أسبوعين من الحملة ٨٠٪ من قوات [الجيش الثالث] إما بواسطة القوات الروسية أو بواسطة الشتاء القوقازى الرهيب(٣٦).

> **وصممت تركيا- الفتاة بعد الهزيمة فى المعركة على توجيه ضربة إلى أسهل هدف، وفى أواخر فبراير ١٩١٥ قرر المجلس المركزى للجنة الاتحاد والترقى الاستئصال المنظم لكل الأرمن داخل الإمبراطورية العثمانية.**
>
> **وقد قدم تعاطف الأرمن مع روسيا وكذلك امتلاكهم لأسلحة غير قانونية، المبررات، بينما قدم غياب مراقبين حلفاء عن المنطقة نتيجة الحرب الفرصة لرد الفعل التركى ليوجه ضربته فعلاً دون أن يلحظه أحد(٣٧).**

ويواصل سابا:

> **واستخدم ذات النمط من الاستئصال عبر الأقاليم الأرمنية بتخطيط وإشراف وتوجيه لجنة الاتحاد والترقى على كل مستوى وبثبات شرس من تعصب عنصرى وعقلانية القرن العشرين التى لا يقيدها تبكيت أو ضمير.**
>
> **لقد كان نمطا يرمز فى كثير من الوجوه إلى الهولوكوست الذى ابتلى به اليهود الأوروبيين بواسطة النازى(٣٨).**

وبذا فإن أول إبادة عنصرية فى القرن العشرين قد انتشرت بكامل قوتها واستمرت حتى استهلكت حياة ١٫٥ مليون أرمنى، وقد اشتملت على الاغتصاب والسطو والسلب والنهب والقتل لسكان بأكملهم بهدف سابق التدبير، هدف قومى متطرف لاستئصال ومحو المجتمع الأرمنى فى تركيا العثمانية(٣٩).

إن هذا الفعل المخطط من الإبادة العنصرية والذى ارتكب ضد الشعب الأرمنى حقق تقريبًا أهدافه المقررة، حيث إن غالبية الأرمن والذين يقدرون بـ ١.٨ إلى ٢ مليون من سكان تركيا العثمانية قد استئصلوا عبر القتل الجماعى أو ساروا إلى حتفهم فى الصحراء السورية والسهول الشرقية، إن أقل من ١٥٪ من تعداد السكان الأرمن فيما قبل الحرب استطاعوا النجاة من رعب الإبادة العنصرية، ولجأوا إلى روسيا أو إلى دول أخرى محيطة؛ وكان هنالك بعد الانهيار النهائى للإمبراطورية العثمانية وظهور دولة تركيا الجديدة عام ١٩٢٣ أقل من مائة ألف أرمنى متبقين فى البلد كله(٤٠).

بعض الملاحظات الختامية:

إن مشروع القوة القومية المتطرفة لحكومة تركيا الفتاة -والذى امتد لأراض تتجاوز تلك التى كانت تتحكم فيها الدولة المركزية العثمانية- كان محاولة لتأسيس إمبراطورية تركية أكبر طالبت بميراثها التاريخى لوسط آسيا. يجب النظر إذن إلى مسألة توسع الرابطة التركية شرقًا فى هذا السياق من المشروع القومى حيث تم تشجيع النزاع والمنافسات الاثنية لتحقيق نتائج إمبراطورية.. ومن ثم، فإنه من المنطقى تمامًا النظر إلى العدوانات التى أُحدثت بين الأرمن والأكراد فى تركيا الشرقية كجزء من حملة تركيا الفتاة لقهر التمردات الاثنية بدفع المجموعات الاثنية ضد بعضها البعض، وبذلك يُخلى الطريق لمزيد من التوسع التركى عبر الأراضى.

لقد أصبح الأرمن هم الضحية الأولى لهذا التصميم السياسى، لقد أُمسك بهم بين قوى سياسية كونية وإقليمية وقومية، أُمسك بهم واقفين فى طريق تأسيس إمبراطورية تركية وسط آسيوية عظمى، ودفع الأرمن ثمنا باهظا فى شكل طرد ونفى ومذابح وإفناء لكل شعبهم تقريبًا، ومن الواضح أن القوى الخارجية كانت منغمسة بكثافة فى المرحلة النهائية لانهيار وتفتت الإمبراطورية العثمانية، والتى احتلت أراضيها مباشرة فيما بعد ذلك الدول الإمبريالية الغربية خلال الحرب العالمية الأولى. إن الوضع الخاص للأرمن فى صراع القوى هذا، محددين ومعرفين كأصدقاء أو أعداء بواسطة واحد أو آخر، من القوى المتصارعة فى هذا النزاع كلف الأرمن ١.٥ مليون حياة.

إن حقيقة قرب بعض الأرمن من مراكز القوة العثمانية لم تساعد القضية الأرمنية أيضًا، وربما كان اقتراب الأرمن من مراكز حكومية حساسة وفرت لهم مداخل إليها -مداخل يمكن استخدامها فى هبة قومية للأرمن فى الأقاليم الشرقية- ربما كان هذا

عاملاً إضافيًا مساهمًا يبرر فى عقلية الأتراك الحركة لسحق الأرمن وبذا يُجتث هذا التهديد ضد الدولة العثمانية.

إن اليونانيين وكذا اليهود خاصة والمقيمين أساسًا فى مراكز حضرية كبرى مثل إسطنبول وأزمير لم يكن لهم أى ادعاءات خاصة بالأراضى، كما لم ينظر إليهم باعتبار أنهم يقفون فى طريق الخطط التركية التوسعية، وكذلك لم تتعارض الأقاليم العثمانية فى شمال أفريقيا وشبه الجزيرة العربية، لم تتعارض والرؤية القومية المتطرفة لتركيا الفتاة، كما أنها كانت بعيدة للغاية عن مراكز القوة والتحكم فى هذه المرحلة من الانحدار والتآكل العثمانى، ومن ثم.. فقد تم الحصول على تلك المناطق بسهولة بواسطة القوى الأوروبية، وتم تحويلها إلى مخافر أمامية للامبريالة الغربية وقُسمت المناصب والمراكز بين فرنسا وبريطانيا -القوتين المهيمنتين عالميًا فى ذلك الوقت- إن الغزو اليونانى لتركيا الغربية والهزيمة التى تلت ذلك لليونانيين فى معارك دموية فى أزمير ومناطق أخرى على امتداد الساحل الغربى لتركيا لم تؤد إلى قتل أعداد كبيرة من اليونانيين فى تركيا خلال الحرب، إن وجود وطن لليونانيين قدم على أى حال مخرجًا لهذه الحالة.

كانت العملية عملية إبعاد ونفى واسعة لليونانيين إلى اليونان، وبذا تم تفادى مذبحة على نطاق واسع.

لم يُوهب الأرمن مثل تلك الحماية فى مواجهة القوى العثمانية المتقدمة والتى تحركت من خلال أوامر حكومية مباشرة، تحركت بكل قوتها لتزيحهم من وطنهم التاريخى، إن المسيرات الإجبارية والمذابح الجماعية لقرى بأكملها للأرمن استأصلت كل من وقف فى طريق المشروع القومى التركى[٤١].

الهوامش

[١] "القومية" مُعَرَّفة هنا باعتبارها أيديولوجية تدعم الالتصاق بالأمة فوق هوية كل مجموعة أخرى مثل الطبقة الاجتماعية أو الدين، إنها تشجع مصالح أمة واحدة (أو مجموعة اثنية) فوق كل الآخرين، وهى عادة أيديولوجية البورجوازية الصغيرة أو القومية، ولذا فإنها تستخدم أحيانًا بواسطة طبقات أخرى لتقدم وترقى مصالح طبقة بعينها، لمزيد من مناقشة طبيعة وديناميكات القومية، أنظر بيرش بيربيروجلو،

Class, State and Nation: The Class Nature of Nationalism and Ethnic Conflict (Westport, Conn.: Greenwood Press, 2000), chaps. 1 and 2.

"الطبقة، الدولة، والأمة، الطبيعة الطبقية والنزاع الاثنى (ويست بورت، كون: مطبعة جرينوود، ٢٠٠٠)، الفصل الأول والثانى.

[2] Charles Issawi, The Economic History of Turkey, 1800- 1914 (Chicago: University of Chicago Press, 1980), p.54.

[٢] شارلز عيسوى، "التاريخ الاقتصادى لتركيا، ١٨٠٠- ١٨١٤" (شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو، ١٩٨٠)، ص ٥٤.

[3] Hrachya Adjarian, “Hayots dere Osmanian Kaysrutyean medj,” in Banber Erevani Hamalsarani (Yerevan, Armenia: Yerevan State University Press, 1967), cited in ibid., p. 62. See also S.Shaw, “The Ottoman Census System and Population, 1831- 1914,” International Journal Of Middle East Studies 9 (1978): 332; Kemal H.Karpat, Ottoman Population, 1830- 1914: Demographic and Social Characteristics (Madison: University of Wisconsin Press, 1985), pp. 51-55; and idem, “Ottoman Population Records and the Census of 1881/82-1893,” International Journal of Middle East Studies 9 (1978): 254.

[٣] أنظر أيضًا س. شاو، "نظام التعداد العثمانى والسكان، ١٨٣١- ١٩١٤"، الجريدة الدولية لدراسات الشرق الأوسط ٩ (١٩٧٨). ٣٣٢؛ كمال هـ كاربات، "السكان العثمانيون، ١٨٣٠- ١٩١٤، الخواص الديموجرافية والاجتماعية (ماديسون. مطبعة جامعة ويسكونسين، ١٩٨٥)، ص.ص. ٥١-٥٥، ومثله "سجلات السكان العثمانيين وتعداد ١٨٨١/٨٢-١٩٨٣"، الجريدة الدولية لدراسات الشرق الأوسط ٩ (١٩٧٨). ٢٥٤.

[4] Alphons Sussnitski, “Die wirtschaftliche Lage der Juden in Konstantinopel,” Allgemeine Zeitung des Judentums (Berlin), 8, 12, and 19 January 1912, in Issawi, Econocic History of Turkey, p. 70.

[٤] الفونس سوسنيتسكى، و ١٩ يناير ١٩١٢، فى عيسوى، "التاريخ الاقتصادى لتركيا، ص ٧٠

[5] Charles issawi, The Economic History of the Middle East and North Africa (New York: Columbia University Press, 1982), p. 6.

[٥] شارلز عيسوى، "التاريخ الاقتصادى للشرق الأوسط وشمال أفريقيا (نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا، ١٩٨٢)، ص. ٦

[٦] المصدر السابق.

[٧] المصدر السابق ص.ص ٨٩-٩٠

[8] Halit Ziya Usakligil, Kirk Yil, 5 vols. (Istanbul: Matbaacilik ve Nesriyat, 1936), excerpted in Issawi, Economic History of Turkey, pp. 72-73.

[٨] مقتبسة فى عيسوى، التاريخ الاقتصادى لتركيا، ص.ص ٧٢-٧٣

[9] Vartan Artinian, "A Study of the Historical Development of the Armenian Constitutional System in the Ottoman Empire" (Ph.D. diss., Brandeis University, 1970); and idem, "The Formation of Catholic and Protestant Millets in the Ottoman Empire," Armenian Review 28 (Spring 1975): 3-15.

[٩] ڤارتان آرتينيان، 'دراسة للتطور التاريخى للنظام الدستورى الأرمنى فى الإمبراطورية العثمانية (مبحث دكتوراة فى الفلسفة، جامعة برانديز، ١٩٧٠؛ ومثلة "تكوين الملتين الكاثوليكية والبروتستانتية فى الإمبراطورية العثمانية'، أرمينيان ريڤيو ٢٨ (ربيع ١٩٧٥): ٣-١٥

[10] Artinian, "Armenian Constitutional System." See also Karpat, Ottoman Population, 1830- 1914, pp. 51-55; and Justin McCarthy, Muslims and Minorities (New York: New York University Press, 1983), pp. 47-88 for various contradictory estimates of the Armenian population by the Armenian Patriarchate and the Ottoman government, as well as by independent European sources.

[١٠] أرتينيان، 'النظام الدستورى الأرمنى'، أنظر أيضًا كاربات، 'السكان العثمانيون' ١٨٣٠- ١٩١٤، ص.ص. ٥١-٥٥، وجوستين مكارثى، "المسلمون والأقليات" (نيويورك- مطبعة جامعة نيويورك، ١٩٨٣) ص.ص ٤٧- ٨٨ من أجل تقديرات متناقضة عن السكان الأرمن بواسطة البطريركية الأرمنية والحكومة الأرمنية، وكذا بالمثل مصادر أوروبية مستقلة.

[11] Christopher J. Walker, Armenia: The Survival of a Natıon (New York: St. Martin's Press, 1980), pp. 94-95.

[١١] كريستوفر ج. والكر، 'أرمينيا بقاء أمة حية" (نيويورك. مطبعة القديس مارتين، ١٩٨٠)، ص.ص ٩٤-٩٥

[12] Among the more important trades in which Armenian craftsmen were prominent were: Jewelry, textiles, work with gold, sılver, and copper, and shoemaking. See L. Arpee, The Armenian Awakening, 1820- 1860 (Chicago: University of Chicago Press, 1909); and Grigor Zohrap, La Question Armenienne a la Lumiére des Documents (Paris: A. Challamel, 1913). See also Walker, Armenia, pp. 94-98.

[١٢] كان من بين أكثر أعمال التجارة أهمية والتى برز فيها الحرفيون الأرمن. المجوهرات، النسيج، العمل بالذهب، الفضة، والنحاس وصناعة الأحذية، أنظر ل. أربى "النهضة الأرمنية، ١٨٢٠- ١٨٦٠" (شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو، ١٩٠٩)؛ وجريجور زوهارب، "المسألة الأرمنية فى ضوء الوثائق (باريس أ. شالامل، ١٩١٣)، أنظر أيضًا والكر، "أرمينيا"، ص.ص. ٩٤-٩٨.

[13] Ermeni means "Armenian" in Turkish. The Ermeni millet refers to the Armenian national/ ethnic community.

[١٣] أرمنى تعنى أرمينى فى التركية، وتشير الملة الأرمنية إلى المجتمع الآرمنى القومى/ الاثنى.

[14] Louise Nalbandian, The Armenian Revolutionary Movement (Berkeley: University of California Press, 1967), p. 43.

[١٤] لويس نالبانديان، "الحركة الثورية الأرمنية" (بيركلى: مطبعة جامعة كاليفورنيا، ١٩٦٧)، ص. ٤٣

[١٥] المصدر السابق.

[١٦] كما يشير ارتينيان، "كان هنالك فى منتصف القرن التاسع عشر أكثر من ثلاثين مشروعًا تجاريًا آرمنيًا فى لندن ومنشستر، وكان مقر رئاستها إما فى سميرنا (أزمير) أو اسطنبول". إرتينيان، "النظام الدستورى الآرمنى"، ص. ٧٥ أنظر أيضًا والكر، "أرمينيا".

[١٧] عيسوى، "التاريخ الإقتصادى لتركيا"، ص. ٦٢

[١٨] والكر، "أرمينيا"، ص. ٩٧، كانت تلك هى الحالة أيضًا فى الأراضى المجاورة لتركيا العثمانية، مثل عبر القوقاز الروسية، وكما يبين والكر فإن "البورجوازية الآرمنية غدت الطبقة التجارية المهيمنة فى تفليس وباكو ومدن أخرى عبر القوقاز. لقد كان ثلثى التجار فى تفليس عام ١٨٧٦ من الأرمن، كما كان الآرمن يديرون أربعة من البنوك الستة، وسيطر الأرمن فى باكو فى العقد الأخير من القرن، على أكثر من نصف آبار البترول". والكر، "آرمينيا"، ص.ص ٦٠-٦١.

[19] Adjarian, "Hayots dere Osmanian Kaysrutyean medj," in Issawi, Economic History of Turkey, p.62. However, Hagop Barsoumian points out that, despite their enormous wealth and power within the Armenian community, the amiras had virtually no political power within the Ottoman state. Hagop Barsoumian, "The Dual Role of the Armenian Amira Class within the Ottoman Government and the Armenian Millet (1750- 1850)," in Christians and Jews in the Ottoman Empire, ed. Benjamin Braude and Bernard Lewis (New York: Holmes & Meier, 1982), pp. 176-77. See also Uner A. Turgay, "Trade and Merchants in Nineteenth- Century Trabzon: Elements of Ethnic Conflict," in Christians and Jews in the Ottoman Empire, ed. Braude and Lewis, p. 305.

[١٩] يبين هاجون برسوميان، على أى حال، أنهم رغم ثروتهم الهائلة وقوتهم داخل المجتمع الآرمنى فإنه لم يكن للأمراء فعليا أى قوة سياسية داخل الدولة العثمانية.

هاجون برسوميان، "الدور المزدوج لطبقة الأمراء الآرمنية داخل الدولة العثمانية والملة الأرمنية (١٧٥٠-١٨٥٠)"، فى "المسيحيون واليهود فى الإمبراطورية العثمانية"، تحرير بنجامين برود وبرناردلويس

(نيويورك هولز وميير، ١٩٨٢)، ص.ص. ١٧٦٠- ٧٧. أنظر أيضًا أونر أ. تورجاى، "التجارة والتجار فى ترابزون القرن التاسع عشر: عناصر النزاع الاثنى" فى "المسيحيون واليهود فى الإمبراطورية العثمانية"، تحرير برود ولويس ص. ٣٠٥.

[20] Mesrob K. Krikorian, Armenians in the Service of the Ottoman Empire, 1860-1908 (London: Routledge & Kegan Paul, 1977).

[٢٠] ميسروب ك. كريكوريان، "الأرمن فى خدمة الإمبراطورية العثمانية، ١٨٦٠- ١٩٠٨" (لندن: روتليدج و كيجان بول، ١٩٧٧).

[21] Adjarian, "Hayots dere Osmanian Kaysrutyean medj," p. 63

[22] Sir Charles Eliot, Turkey in Europe (New York: Barnes and Noble, 1965), p. 153; Turgay, "Trade and Merchansts in Nineteenth- Century Trabzon," p. 305.

[٢٢] سير شارلز إليوت، "تركيا فى أوروبا" (نيويورك: بارنس ونوبل، ١٩٦٥)، ص. ١٥٣: تورجاى، "التجارة والتجار فى ترابزون القرن التاسع عشر، ص. ٣٠٥.

[٢٣] جاء فى عيسوى، "التاريخ الأقتصادى لتركيا"، ص. ٦٥.

[24] M.S. Lazarev, Kurdistan i Kurdskaia Problema (Moscow: Nauka, 1964) in ibid., p. 67. Another (Austrian) source, which provides more See Freiherrn M. Kapri, Die Historische und kulturelle Bedeutung des armenischen Volkes (Wien: Mechitharisten- Buchdruckerei, 1913), pp. 65- 67.

[٢٤] م.س لازاريف، كردستان والمشكلة الكردية (موسكو: ناوكا، ١٩٦٤) فى المصدر السابق: وهنالك مصدر آخر (نمساوى) يقدم تفاصيل أكثر حول عدد الأرمن فى إقليم سيفاس والذين كانوا مرتبطين بأعمال متنوعة مما يؤكد هذه البيانات، بينما يختلف قليلاً مع أرقام لازاريف فى مثلين، إنه يذكر هنا تحديداً أن عدد الأرمن المستوردين الكبار ١٤١ (بدلاً من ١٢٥) من ١٦٦، وكان عدد الأرمن الذين يمتلكون مشروعات صناعية ١٢٧ (بدلاً من ١٣٠) من ١٥٠، إنظر فريهيرون م. كابرى.

[٢٥] جاء فى عيسوى "تاريخ الاقتصاد التركى"، ص. ٥٦.

[26] W. M. Ramsay, Impressions of Turkey (London: Hodder & Stoughton, 1897), pp. 130- 31.

[٢٦] و.م. رامساى، "تأثيرات تركيا" (لندن: هودر وستوفتون، ١٨٩٧)، ص.ص. ١٣٠- ١٣١.

[٢٧] عيسوى، "تاريخ الاقتصاد التركى"، ص. ٥٦

[28] Robert Melson, "A Theoretical Inquiry into the Armenian Massacres of 1894-1896," Comparative Studies in Society and History 24, no. 3 (July 1982): 481-509.

[٢٨] روبرت ميلسون، "استقصاء نظرى فى المذابح الأرمنية من ١٨٩٤ إلى ١٨٩٦" "دراسات مقارنة فى المجتمع والتاريخ ٢٤، رقم ٣ (يوليو ١٩٨٢): ٤٨١- ٥٠٩.

[29] According to W.L. Langer, "blood was shed in the capital [Istanbul] itself; in the provinces there were massacres at Trebizond and many other places.... It was perfectly obvious that the Sultan [Abdul Hamid] was detemined to end the Armenian question by exterminating the Armenians. "William L. Langer, The Diplomacy of Imperialism, 1890- 1902, vol. 1 (New York: Alfred A. Knopf, 1935), p. 203.

[٢٩] طبقًا ل\ و.أ. لانجر، "سفك الدم فى العاصمة (اسطنبول) ذاتها؛ وكانت هنالك مذابح فى الأقاليم فى تريبوزوند وأماكن أخرى عديدة... كان واضحًا تمامًا أن السلطان (عبد الحميد) قد صمم على إنهاء المسألة الأرمنية عن طريق استئصال الأرمن"، ويليام أ. لانجر، "دبلوماسية الإمبريالية ١٨٩٠- ١٩٠٢"، الجزء الأول (نيويورك: الفريد أ. كنوف)، ص. ٢٠٢

[30] For a documentation of the Armenian genocide and the extent of the massacres, see: Christians and Jews in the Ottoman Empire, ed. Braude and Lewis; Vahakn N. Dadrian, "Genocide as a Problem of National and International Law: The World War I Armenian Case and Its Contemporary Legal Ramifications, "Yale Journal of International Law 14, no. 2 (Summer 1989): 272; Gerard Chaliand and Yves Ternon, The Armenians: From Genocide to Resistance (London: Zed Books, 1983); and Permanent Peoples' Tribunal, A Crime of Silence: The Armenian Genocide (London: Zed Books, 1985).

[٣٠] من أجل توثيق الإبادة العرقية الأرمنية ومدى المذابح أنظر: مسيحيون ويهود فى الامبراطورية العثمانية، تحرير برود ولويس؛ فاهاكن ن. دادريان، "الإبادة العرقية كمشكلة للقانون الوطنى والدولى: الحرب العالمية الأولى القضية الأرمنية وتشعباتها القانونية المعاصرة"، "جريدة يال للقانون الدولى ١٤، رقم ٢ (صيف ١٩٨٩). جيرارد ثالياند ويقس تيرنون، "الأرمن من الإبادة العرقية إلى المقاومة" (لندن: كتب زد، ١٩٨٣)؛ ومحكمة الشعب الدائمة "جريمة صمت: الإبادة العرقية الأرمنية (لندن: كتب زد ١٩٨٥).

[٣١] الأحداث التى هيجت مذابح ١٨٩٤- ٩٦ اشتملت على هبة الأرمن فى تالورى: فى فيلايت بيتليس، حيث أُرسلت القوات العثمانية لقمع التمرد: مظاهرة جماهيرية فى أغسطس ١٨٩٥؛ وإحتلال الثوار الأرمن المسلح للبنك العثمانى فى سبتمبر ١٨٩٦، أنظر ميلسون، "استقصاء نظرى فى المذابح الأرمنية عام ١٨٩٤- ٩٦، ص.ص. ٤٨١- ٥٠٩.

[32] Paul Saba, "The Armenian National Question," in Power and Stability in the Middle East, ed. Berberoglu, p. 188. On this point, see also Akaby Nassibian, Britain and the Armenian Question, 1915- 1923 (New York: St., Martin's Press, 1984), p. 26.

[٣٢] بول سابا، "المسألة القومية الأرمنية"، فى "القوة والاستقرار فى الشرق الأوسط" تحرير بيربيروجلو، ص. ١٨٨ فيما يتعلق بهذه النقطة، أنظر أيضًا أكابى ناصيبيان. "بريطانيا والمسألة الأرمنية، ١٩١٥- ١٩٢٣. (نيويورك: مطبعة القديس مارتين، ١٩٨٤)، ص. ٢٦.

[٣٣] سابا، "المسألة القومية الأمنية" ص. ١٨٩.

[٣٤] المصدر السابق.

[٣٥] المصدر السابق.

[٣٦] المصدر السابق.

[٣٧] المصدر السابق: ص.ص. ١٨٩- ٩٠.

[٣٨] المصدر السابق، ص. ١٩٠

[40] For an extended bibliographic compilation of historical sources on the Armenian genocide, see Richard G. Hovannisian, The Armenian Holocaust (Cambridge, Mass.: Armenian Heritage Press, 1978) and Vahakn N. Dadrian, "The Naim-Andonian Documents on the World War I Destruction of Ottoman Armenians: The Anatomy of a Genocide," International Journal of Middle East Studies 18 (1986): 311-60. See also Chaliand and Ternon, Armenians; Permanent Peoples' Tribunal, Crime of Silence; and Vahakn N. Dadrian, The History of the Armenian Genocide (Providence, R.I.: Berghahn Books, 1995).

[٣٩] من أجل جمع فهرس للمصادر التاريخية حول الإبادة العرقية الأرمنية، أنظر ريتشارد ج. هوفانيسان، "الهولوكوست الأرمني" (كمبريدج، ماساشوست: مطبعة التراث الأرمني، ١٩٧٨) وڤاهاكن ن. دادريان"، وثائق نعيم أندونيان حول تحطيم الحرب العالمية الأولى للأرمن العثمانيين: تشريح الإبادة العرقية"، "الجريدة الدولية لدراسات الشرق الأوسط ١٨ (١٩٨٦): ٣١١- ٦٠، أنظر أيضًا شاليان وتيرنون، "الأرمن، محكمة الشعب الدائمة "جريمة الصمت": وڤاهاكن ن. دادريان، "تاريخ الإبادة العرقية الأرمنية"، (بروفيدنس، رود أيلاند: كتب برغاهن، ١٩٩٥).

[٤٠] والكر، "أرمينيا"، ص. ٢٣٠، يبين بول سابا أنه فيما يتعلق ببقاء الأرمن أحياء، تحديداً كمجموعة اثنية، فإن "العام ١٩١٥ كان عام كارثة بالنسبة للأرمن، كان هنالك تقدير قبل الحرب، أن هنالك ما بين ٥ ١ و٠ر٢ مليون أرمني في الأمبراطورية العثمانية هرب منهم حتى عام ١٩١٦ حوالي ٢٥٠ ألفًا إلى روسيا، وآفلتوا من المقتلة العظمى، وقتل مليون آخر كان نصفهم أطفالاً ونساء، وحوِل بالجبر حوالي ٢٠٠ ألفًا من الـ ٦٠٠ ألفًا المتبقين أحياء تقريباً إلى الإسلام، وعانى الـ ٤٠٠ ألفًا المتبقين كلاجئين وفي معسكرات الاعتقال عانوا وجودًا اتسم بالشقاء والرداءة، وقد قتل حوالي ٥٠ ألفًا إلى ١٠٠ ألفًا من هؤلاء خلال الغزو التركي للقوقاز في مايو- سبتمبر ١٩١٨، كما قتل حوالي ٢٥٠ ألفًا آخرين في ١٩١٩- ١٩٢٣، خلال محاولات من بقي حيًا بعد للعودة إلى ديارهم"، سابا، "المسألة القومية الأرمنية"، ص.ص. ١٩٠-٩١.

[٤١] احتفل في إبريل عام ١٩٩٥ باحياء الذكرى الثمانين للإبادة العرقية الأرمنية في "المؤتمر الدولي حول مشاكل الإبادة العرقية، الذي انعقد في الأكاديمية القومية للعلوم في يريڤان، أرمينيا، وقد قُدمت هنالك نسخة ملخصة لهذا الفصل، وقد نشرت أعمال المؤتمر فيما بعد بواسطة معهد زوريان تحت عنوان "مشاكل الإبادة العرقية" (تورنتو: معهد زوريان بكندا، ١٩٩٧).

Zoryan Institute under the title problems of Genocide (Toronto: Zoryan Institute of Canada, 1997).

الفصل الثالث

الإمبريالية والبعث القومى فى الشرق الأوسط .. تركيا ومصر ..

كان البعث القومي في الشرق الأوسط -خلال القرن العشرين- رد فعل للدور المهيمن للإمبريالية الغربية في المنطقة من أواسط القرن التاسع عشر إلى بداية القرن العشرين، إن انحدار وسقوط الإمبراطورية العثمانية -خلال هذه الفترة من الأزمة في الشرق الأوسط- سمح للإمبريالية الأوروبية وإمبريالية الولايات المتحدة باقتحام المنطقة، ومن ثم استنفر رد فعل معادٍ للإمبريالية، ورد فعل قومي في تركيا ومصر والعراق وسوريا ومناطق أخرى من الشرق الأوسط.

وسوف ندرس في هذا الفصل أصول وتطور الحركات القومية في تركيا ومصر، وفي سوريا والعراق في الفصل التالي وهي الحالات الأربع الأكثر بروزاً للحركات القومية في القرن العشرين والتي نجحت في الاستيلاء على سلطة الدولة في الشرق الأوسط.

الإمبريالية وصعود القومية في تركيا

إن الحركة القومية في تركيا، وأصول تركيا الحديثة، تعود إلى تركيا الفتاة التي استولت على السلطة عشية انهيار الإمبراطورية العثمانية. إن صعود مصطفى كمال والكماليون إلى قيادة الحركة القومية -وفيما بعد ظهور جمهورية تركيا الجديدة- مدينة بميلادها إلى هبة ١٩٠٨ التي كانت تمردا سياسياً ضد جهاز دولة إمبراطورية متآكلة فاسدة بهدف الإصلاح السياسي إنقاذاً للدولة من الانهيار الكلي والتفتت[١].

إن عدداً متزايداً من الطلبة العسكريين في أوائل القرن العشرين في اسطنبول كانوا ساخطين على سياسة الدولة العثمانية الاستبدادية، وطرح العديد من المثقفين والصحفيين الآراء القومية، وحاول عبد الحميد الثاني "السلطان الحاكم" قهر الحركة عن طريق أعمال القبض والنفي الإجباري والإعدام ولكن بدون نجاح، وتشكلت مجتمعات سرية داخل مقرات قيادة الجيش في طول الإمبراطورية وعرضها، وفي باريس وچنيف والقاهرة، وكانت لجنة الاتحاد والترقي (سي يوبي) أو تركيا الفتاة[٢] هي الأكثر تأثيراً في تلك الجماعات.

وظلت تركيا الفتاة متحكمة في جهاز الدولة حتى انهياره الأخير عند نهاية الحرب العالمية الأولى، وقد أدت القومية المتطرفة والحكم الديكتاتوري لتركيا الفتاة، خلال عهد عقدهم الطويل الذي اقترن به الفقدان الجسيم للأرض الذي جاء إثر حربَي البلقان

(١٩١٢- ١٣)، ومذابح ١.٥ مليون أرمني بين ١٩١٥- ١٩١٨، وفشل الحكومة فى حماية تركيا من الهجوم الضارى لقوات الاحتلال الإمبريالية خلال الحرب العالمية الأولى، أدت إلى انهيار الإمبراطورية العثمانية عند نهاية الحرب، ويصف برنارد لويس الوضع فى السنوات النهائية للإمبراطورية العثمانية على النحو التالى:

> **بدا فى نهاية عام ١٩١٨ أن رجل أوروبا المريض يوشك أخيرًا على الموت، وكان الاستياء ضد ديكتاتورية قادة تركيا الفتاة يتصاعد لفترة من الزمن؛ وقد منحه تقدم الجيوش المتحالفة قوة لا يمكن مقاومتها أكثر من ذلك..**
>
> **وفى ٢٩ أكتوبر بعد ثلاثة أيام من المفاوضات الأولية توجه وفد برئاسة وزير البحرية رؤوف بك إلى سطح سفينة صاحب الجلالة "أجا ممنون" الراسية أمام موبروس فى جزر ليمنوس ووقع فى اليوم التالى هدنة حربية، وفر باشوات تركيا الفتاة، طلعت وأنور وسيمال عبر البحر الأسود على قارب حربى ألمانى، وأبحر أسطول متحالف من ستين سفينة عبر مدافع الدردنيل الصامتة، وألقى بمراسيه يوم ١٣ نوفمبر فى ميناء إسطنبول(٣).**

كان عهد قرون الإمبراطورية العثمانية القديمة ولكل الأسباب العملية قد بلغ نهايته. كانت حكومتها مقهورة، واقتصادها فى المجازر، ووحدة أراضيها مهددة، ومن ثم فإن الإمبراطورية أذعنت لقوة الحلفاء وسلمت حكمها، الذى كان جبارا ذات يوم على أرض واسعة عبر الشرق الأوسط.

وفى ٨ ديسمبر ١٩١٨ أقامت القوى المتحالفة إدارة عسكرية فى إسطنبول، عاصمة العثمانيين:

> **احتلت القوات المتحالفة أحياء مختلفة من المدينة، وتم تحقيق سيطرة صارمة على الميناء وخطوط الترام، والدفاعات، والجندرمة والشرطة... وكانت الأقاليم العربية قد أصبحت فى حوزة الحلفاء بالفعل، ووعُدت بالاستقلال، وبدأت قوات الحلفاء تهدد الآن حتى الأقاليم التركية ذاتها، وتقدمت القوات الفرنسية من أزمير إلى سيليسيا وإقليم أضنه، واحتلت القوات البريطانية الدردنيل وسامسون وإينتاب ونقاط استراتيجية أخرى، وبالمثل كل طول خط الأناضول للسكة الحديدية، وفى ٢٩ إبريل ١٩١٩ هبطت قوات إيطالية فى أنطاليا لتضع يدها على بعض المناطق المخصصة لها بواسطة اتفاقيات الحلفاء السرية زمن الحرب(٤).**

ويكتب لويس: "بدت إرادة البقاء مستقلين -بين القادة الجدد فى العاصمة- وكأنها قد أُحبطت، وتمركزت المناقشة السياسية حول الشكل الذى يجب أن يتخذه الخضوع

التركى، وحول الفضائل النسبية للانتداب الأمريكى أم الانتداب البريطانى"[٥]، ويواصل لويس: "كان حيز الأمل فى الحقيقة ضئيلاً".

> **رقدت الإمبراطورية العثمانية التى كانت عظمى يوما ما منبطحة فى الهزيمة، وقد أرهقتها ثمانية أعوام من الحرب تكاد تكون متواصلة، عاصمتها مهزومة، وقادتها هاربون، كان البلد مضعضعا، يعانى الإفقار الشديد، مثبط العزيمة، وقد أخلى من السكان، وبدا الشعب التركى -وقد هُزم وأُذل- على استعداد تقريباً لقبول أى شئ يختاره المنتصرون ليفرضوه عليه[٦].**

ويضيف لويس: "على استعداد تقريباً وليس تماماً، إذ عندما هبط الجيش اليونانى إلى أزمير فى مايو ١٩١٩ تحت غطاء من سفن الحلفاء الحربية، التهب أخيراً الغضب الكامن فى شعلة لا تخمد"[٧] ومن ثم كان المسرح معداً لظهور حركة قومية يقودها مصطفى كامل والكماليون فى محاولة خندق أخير لإنقاذ بقايا أمبراطورية تركية أُختزلت إلى حد كبير وقد حُبست الآن فى النواة الأناضولية.

وقرر الكماليون فى ظل ظروف تركيا العثمانية السائدة خلال هذه الفترة من الاحتلال أنه يجب هزيمة الإمبريالية على جبهات ثلاث تكتيكية: قوات الاحتلال الإمبريالية، بيروقراطية القصر العثمانى، والبورجوازية البيروقراطية الأقلية[٨]، ولما كان التركيز الثقيل للقوات الإمبريالية فى المناطق الحضرية الكبرى، فإن الكماليين انسحبوا إلى الريف التركى لينظموا ويشنوا الحرب القومية[٩].

كانت المهمة المباشرة للقيادة هى جمع كل القوى المحاربة عبر الأناضول لتشن هجوماً كلياً ضد الإمبريالية وطبقة عملائها المحليين. وبينما تعاون كبار ملاك الأراضى ورجال الدين مع القصر وقوات الاحتلال الإمبريالية اعتبر الكماليون أن الحلف الطبيعى للقوميين هو حلف أناضولى فلاحى. إنه فى هذه المجموعة من صغار المستأجرين الفلاحين فى الأناضول الوسطى والشرقية والذين كانوا يعتمدون إلى حد كبير على ملاك الأراضى ورجال الدين، وجدت القيادة القومية قاعدتها الجماهيرية لهزيمة الإمبريالية ولقهر رد الفعل الداخلى الذى كانت ترعاه الدولة وكبار ملاك الأراضى والبورجوازية الكومبرادورية[١٠]، إن مناورات كمال التكتيكية مع ملاك الأراضى ورجال الدين حتى يشتبك الفلاحون إلى جانب القوميين ضد العدو الرئيسى أدت فى المدى القصير إلى ضمان نصر قومى.

ع كمال الذى يناضل من أجل قاعدة قوة مستقلة لبيروقراطية الدولة عبر هذا النصر من يدعموه فى حزب سياسى جديد -حزب الشعب- الذى أسسه فى ديسمبر عام ١٩٢٢، وحققت تركيا استقلالها فى أكتوبر ١٩٢٣، وانتخب كمال أول رئيس للجمهورية، وكان ذلك علامة على بداية عهد البورجوازية الصغيرة، والنخبة القومية البيروقراطية، والحركة نحو مؤسسة البورجوازية القومية وتماسكها، مما فتح الطريق أمام تطور رأسمالى قومى مستقل فى تركيا(١١).

ويكتب تورجوت تايلان إن الكماليين "بورجوازية الثورة" انتجوا دولة قوية مركزية تدخلت بنشاط فى كل مناحى الحياة الإجتماعية.

لقد حُطمت بصورة لا رجعة فيها القواعد السياسية والقضائية والإيديولوجية لدولة ما قبل الرأسمالية القديمة، ووضعت أسس بناء نوع جديد من الدولة- جمهورية بورجوازية مهدت الطريق للتطور التالى لنمط إنتاج رأسمالى(١٢).

بدأ دور الدولة يتسع فى الاقتصاد فى العشرينيات من القرن العشرين عندما دخلت فى فروع عديدة من الصناعة المحلية لتطوير البنية التحتية، وتأسيس البنوك، وإعادة تنظيم التجارة(١٣)، وكان من بين أكثر النشاطات وضوحًا للدولة -فى مجالات الإنتاج الصناعى والشئون المالية- تطوير وتوسيع المشروعات المملوكة للدولة، والخاضعة لسيطرتها، وتأسيس بنوك عديدة كبرى صناعية وتجارية، يضاف إلى ذلك أن الدولة حققت ملكية كاملة لصناعة البترول والسيطرة عليها، والسكك الحديدية، وتسهيلات كبرى للموانىء البحرية وعدد من المشروعات فى صناعة التعدين(١٤).

وكان للكساد الكبير عام ١٩٢٩ أثر ضخم على الاقتصاد التركى، وقاد ذلك الدولة للقيام بدور أكثر فعالية باعتبارها صاحبة مشروعات خلال الثلاثينيات من القرن العشرين، مضطلعة بالعديد من المهام التى كانت تقوم بها تقليديًا البورجوازية الصناعية القومية(١٥)، وكان على الدولة -مع ازدياد عدد المشروعات العامة من ٤٧٠ عام ١٩٢٧ إلى ١٤٧٣ عام ١٩٣٣- أن تلعب دورًا مركزيًا فى الاقتصاد القومى فى نهاية العشرينيات وخلال الثلاثينيات من القرن العشرين، وعلى أى حال، فإنه بينما حسّنت تنمية رأسمالية الدولة فى الثلاثينيات من القرن العشرين الوضع الإجمالى للاقتصاد التركى، ووضعت البلاد فى وضع مناسب فيما يتعلق بالصناعة، فإنها زادت حدة التناقضات المتأصلة فى النظام، حيث إن تراكم رأس المال -فى ظل رأسمالية الدولة فى تركيا، خلال تلك الفترة- كان يتحقق أساسًا من خلال الاستغلال المكثف للعمل المأجور فى الصناعات العامة مثلما يتحقق من الصناعات الخاصة(١٧)، وبهذا

المعنى فإن التناقض بين رأس مال الدولة (والرأس مال الخاص) والعمل المأجور شكل التناقض الرئيسي في تركيا خلال تلك الفترة(١٨).

إن تناقضات أخرى عديدة داخلية في نظام رأسمالية الدولة ساهمت في نفس الوقت في زيادة الصراع بين الدولة ومختلف الطبقات داخل البلاد، وكان أكثرها حسما ذلك الذي كان بين الدولة وملاك الأراضي والكومبرادور المتحالفين مع الإمبريالية، وقد أحبط ملاك الأراضي كل المحاولات لإعادة توزيع الأرض على صغار المستأجرين والفلاحين الذين لا يمتلكون، وحاولوا منع تطور التعاونيات وتلاعبوا بالبرامج التي كانت تسعى إلى خدمة الفلاحين الفقراء، وذلك بتحويل الاعتمادات العامة الممنوحة للتطوير المحلي للمشروعات لحسابهم الخاص، ومقاومة التطور الرأسمالي للحفاظ على وضعهم الأوليجاركي في الريف على الفلاحين الذين يعانون الإفقار، كما قاوم الكومبرادوريون الأتراك بالمثل كل محاولات الدولة لتحويلهم إلى رأسماليين صناعيين، كانوا يرون، وقد اعتادوا وضعهم كوسطاء بين ملاك الأراضي والإمبرياليين، وسطاء يقومون بتجارة الإستيراد والتصدير ومشروعات تجارية أخرى، يرون في سياسة الدولة تهديداً لعلاقاتهم الحميمة مع ملاك الأراضي والإمبرياليين، وبالتالي فإنهم قاطعوا كل الجهود من أجل تطور رأسمالي قومي مستقل تبدأه الدولة(١٩).

إن هذا الحلف الطبيعي للكومبرادور وكبار ملاك الأراضي يتطابق والمصالح الإمبريالية للولايات المتحدة في المنطقة، وغدت الولايات المتحدة مستفيدة من الانفتاح المتاح بواسطة أزمة رأسمالية الدولة فيما بعد الحرب في النصف الأخير من أربعينيات القرن العشرين، وتداخلت أكثر فأكثر لدعم ومساندة قوى ملاك الأراضي- الكومبرادور لمساعدتهم على الوصول إلى سلطة الدولة في نهاية العقد، ومن ثم فإن أواخر الأربعينيات من القرن العشرين كانت علامة على مرحلة جديدة في الاقتصاد السياسي التركي فيما بعد الحرب، وقد شهدت هذه المرحلة الطور النهائي والحاسم للصراع بين دولة الكماليين ومصالح ملاك الأراضي- الكومبرادور، والتي استطاعت بفضل الدعم المالي والسياسي الذي قدمته الولايات المتحدة أن تمسك بسلطة الدولة عام ١٩٥٠، إن مجئ قوى ملاك الأراضي- الكومبرادور إلى السلطة، والذي وضع البلاد في مجرى جديد، ضَمَنَ قبضة الولايات المتحدة على تركيا، وساعد على تقوية مكانتها في الاقتصاد الرأسمالي العالمي(٢٠).

وكما يشير تايلان فإن "الاتجاه الجديد جاء كرد فعل للتغيرات التي ثارت في الاقتصاد الرأسمالي العالمي عقب آثار كارثة الحرب مباشرة... [وبالمثل] التغييرات في صف القوى الطبيعية داخل المجتمع التركي، تغييرات يسرت إلى حد كبير التحول الجديد".

إن حكومات حزب الشعب الجمهورى الحاكم المتعاقبة قد أبعدت ملاك الأراضى والبورجوازية الريفية عبر سياسات أضافت إلى تأثيرات مصاعب وقت الحرب، وأضرت إضراراً بالغًا بالقطاع الزراعى، كما إن البورجوازية التجارية الحضرية دخلت هى الأخرى فى صراع متزايد مع حزب الشعب الجمهورى منذ ابتداء ما سمى بـ"الدولانية"(*)، وقد مثل الصدام حول قانون الإصلاح الزراعى لعام ١٩٤٥... الأرضية المباشرة للانشقاق داخل حزب الشعب الجمهورى، وسرعان ما جاء الحزب الديمقراطى الذى تشكل على أسس هذا الانشقاق ليمثل حلفا من البورجوازية الريفية وكبار ملاك الأراضى مع البورجوازية التجارية الحضرية.

وجاء هذا الحلف يغذيه استياء كتل الفلاحين وقطاعات من البروليتاريا الريفية إلى السلطة عام ١٩٥٠، وحكم البلاد مدة عشر سنوات[٢١].

جاء حكم الحزب الديمقراطى خلال الخمسينات من القرن العشرين بتحول كلى من نظام رأسمالية الدولة القومية إلى ذيل نيوكولونيالى للإمبريالية تهيمن عليه الاحتكارات عابرة القومية، وقد أدى استياء الجماهير ضد أفعال الحكومة -بسبب سياستها الداخلية والخارجية- إلى احتجاجات جماهيرية وهبات فى نهاية الخمسينيات من القرن العشرين، قمعها بوحشية نظام مندريس، وأدت إلى انقلاب عسكرى فى مايو ١٩٦٠، ولم تُوقف الإصلاحات السطحية الساعية لتهدئة غضب الجماهير، لم تُوقف الكتل عن الضغط قدما بمطالب أكثر راديكالية خلال الستينيات، وأدت إلى المزيد من القهر، ثم جاء تحول إلى أقصى اليمين من خلال التدخل العسكرى فى مارس ١٩٧١، ومرة أخرى فى سبتمبر ١٩٨٠، عندما أُحتجز عشرات الآلاف من العمال والنقابيين والطلبة والمثقفين التقدميين والمحامين والصحفيين فى سجون ومعتقلات النظام العسكرى، حيث عُذب الكثيرون منهم وماتوا هناك[٢٢].

وقد عاشت تركيا -خلال عقد الثمانينيات من القرن العشرين- اتجاهًا أصوليًا أكثر عمقًا منبثقًا من صعود وانتشار الأصولية الإسلامية، إن رد الفعل الإسلامى ممتداً من نفوذ الثورة الإسلامية فى إيران، تعززه القوى اليمينية صاحبة المصلحة فى الأبقاء على كبح العمل والحركات التقدمية الأخرى التى تهدد النظام خلال تلك المرحلة، جاء ليلعب دوراً هامًا فى الإبقاء على التحكم الاجتماعى، بينما يتحرك المجتمع التركى فى اتجاه أكثر محافظة. كان الحال هكذا فى التسعينيات من القرن

(*) تركيز السلطة الاقتصادية والتخطيط الاقتصادى فى يد الدولة (المترجم)

العشرين، عندما غدا الحكم الإسلامى فى منتصف العقد مؤسسيا فى السياسة التركية. وعلى الرغم من الحركات العسكرية التى جرت منذ عهد قريب ضد القوى الأصولية والتى أدت إلى الاستقالة الجبرية لرأس الدولة، نيكميتين ارباكان، فقد واصلت القوى الإسلامية فرض تهديد خطير على سياسة تركيا العلمانية، فى نهاية التسعينيات من القرن العشرين.

وقد بلغت أزمة النظام النيوكولونيالى فى تركيا ارتفاعات جديدة عام ١٩٩٩ مع ارتقاء حكومة ائتلاف جديد للسلطة، ائتلاف يحتوى على حزب العمل القومى الفاشى باعتباره واحدا من سماسرة السلطة. إن اتحاد السياسات ذات التوجه الرأسمالى المتطرف وتوالى أنظمة الجناح اليمينى الرجعى خلال العقدين الماضيين قد كشف تناقضات المجتمع التركى فى نهاية القرن العشرين.

الإمبريالية وبعث القومية فى مصر

تحركت بريطانيا وفرنسا وقوى أوروبية أخرى مع انهيار الإمبراطورية العثمانية فى نهاية الحرب العالمية الأولى، واحتلت الأقاليم المختلفة للإمبراطورية البائدة حالياً، وغدت بريطانيا هى القوة المحتلة المهيمنة عبر الشرق الأوسط، وظلت بالمنطقة خلال النصف الأول من القرن العشرين، ونصبت بريطانيا خلال تلك الفترة من الحكم الكولونيالى سلسلة من الحكومات على استعداد لتلبية المصالح البريطانية فى المنطقة، مشتملة على مصر وفلسطين والأردن والعراق والكويت وسلسلة من الملحقات والتوابع فى الخليج الفارسى.

وبينما أُستبقى الحكام المحليون (سلاطين وولاه) كرؤساء شكليين صوريين فإنه غدا على هذه الأراضى أن تقوم بخدمة المصالح الاقتصادية والاستراتيجية البريطانية الإمبريالية، لقد تم تأمين مدخل إلى الزيت ومواد خام أخرى، وضمان ممر إلى الهند والصين وأجزاء أخرى من الشرق الأقصى وطرقها التجارية، وكانت هنالك هيمنة عسكرية على منطقة استراتيجية تربط القارات الثلاث جاعلة شرقى البحر المتوسط والسويس ومنطقة الخليج تحت سيطرة الإمبريالية الغربية، ولعبت مصر دوراً هاماً فى كل هذا بتقديمها استخدام قناة السويس مما يربط أوروبا والبحر المتوسط والمحيط الهندى عن طريق البحر الأحمر.

كان زيت الشرق الأوسط يعتبر حيويًا للمصالح الاقتصادية والاستراتيجية البريطانية، فى نهاية الحرب العالمية الأولى، حيث كان يُنظر إليه باعتبار أنه قد حل محل الفحم كوقود...

وقد كانت قناة السويس أساسية لاستغلال زيت الشرق الأوسط، لم يكن هنالك من عبدان إلى بريطانيا طريق آخر يتمتع بمزيه ما، وأصبح الزيت هو الشحنة الكبرى على الطريق المتجه شمالاً... كانت بريطانيا هى المستخدم الرئيسى لهذا الزيت، وكانت تستورد فى الثلاثينيات من القرن العشرين خمسة أضعاف ما يستهلكه أكبر زبون لها[٢٣].

ويكتب ريشارد س. هويتينج: "لقد لعبت قناة السويس دورًا هامًا فى وضع بريطانيا الدولى فى بداية هذا القرن".

إذ بينما قربت القناة الهند من بريطانيا فإنها أدت أيضًا إلى توفيرات أكبر فى الرحلة من بومباى أو كلكتا إلى الموانئ الأوروبية... إن مقدرة الاقتصاد الهندى التى تحسنت كثيرًا على بيع بضائع مباشرة إلى أوروبا... قد سمحت لذلك البلد بأن يستهلك صادرات بريطانية... كان ذلك لأنه قد أصبح فى وسع بريطانيا مواجهة عجز ونقص تجارتها مع أوروبا بإرسال صادراتها إلى الهند، أعمال شراء تُموَّل بدورها من مبيعات سلع أولية لأوروبا الصناعية مما جعل وضع بريطانيا يظل وضعا قابلا للحياة...[٢٤]

ومن ثم: "كان يُنظر إلى قناة السويس منذ افتتاحها عام ١٨٦٩ حتى عام ١٩٥٦ باعتبارها سمة رئيسية للاقتصاد البريطانى"[٢٥] وهى قد لعبت دورًا أساسيًا فى وضع بريطانيا المهيمن فى الشرق الأوسط، كما فعلت بالنسبة لتوسيع إمبراطورتها الكونية، وهذا بدوره أصبح نقطة تجمع للمصريين لتحرير مصر من قيود وأصفاد الإمبريالية البريطانية.

إن الوجدان القومى ينساب عميقا بين المثقفين المصريين والشباب والضباط الصغار فى الجيش الذين استنكروا الاحتلال الإمبريالى لتربتهم، وما تمليه بريطانيا والقوى الأوروبية على حياة أمتهم الاجتماعية والاقتصادية، وقد قامت القوى القومية فى الجيش بقيادة جمال عبد الناصر مدعومة بسلسلة من تمردات فقراء الفلاحين والعمال الزراعيين وإضرابات العمال الصناعيين بانقلاب ناجح عام ١٩٥٢ أطاح بالملك والملكية التى كانت تدعمها الإمبريالية البريطانية.

ويكتب كيرك ج. بيتى: "قام الضباط الأحرار فى ليلة ٢٢ يوليو ١٩٥٢ بالسيطرة على الجيش والإطاحة بالحكومة".

كان الاستيلاء على السلطة بلا دماء تقريبًا (قُتل أقل من عشرة أشخاص ولم يزد من جرحوا عن ذلك كثيرًا) لقد حشد يوسف صديق مصادفة فرقته المكونة من اثنى عشر ضابطًا، وفى ستين أو سبعين جنديا من جنود المشاة متقدما عن برنامج المواعيد المحدد، وقد أمّن السيطرة على مقر القيادة العامة بمساعدة فاروق الأنصارى، وقبض على رئيس أركان الحرب الجنرال حسين فريد وضباط عديدين من ذوى الرتب العالية من هيئة أركان الحرب، وتبع ذلك السيطرة على العديد من المعسكرات الحربية والقواعد الجوية، كما تم الاستيلاء على الهدف الباقى الكبير، محطة الإذاعة.

وتم تأمين طريق قنال السويس لمنع تدخل القوات البريطانية[٢٦].

وأُعلنت أخبار الانقلاب فى المذياع فى صبيحة ٢٣ يوليو، وخُلع الملك فاروق فى غضون أيام قليلة، وأعلن قادة الانقلاب -وقد أحكموا قبضتهم على مراكز القوة- أعلنوا أنفسهم حكومة جديدة.

حاصرت الدبابات قصر رأس التين فى الصباح الباكر من ٢٦ يوليو حيث قاوم البعض من الحرس الملكى فى مناوشة نتج عنها سبعة من الجرحى، فى هذا الوقت خاف الملك على حياته ووقع مرسوم التنازل عن العرش... وكان على مصر أن تظل ملكية نظريًا لإحدى عشر شهرًا أخرى، لكن القرن ونصف من حكم أسرة محمد على كان فى الحقيقة قد بلغ نهايته[٢٧].

إن انتصار الضباط الأحرار فى خلع الملكية أدخل مرحلة رأسمالية الدولة فى الاقتصاد القومى[٢٨]، وكما كان الحال فى تركيا وأنظمة قومية أخرى، استجمع النظام الناصرى دعم قطاعات عريضة من الجماهير، واستخدم الدولة كأداة للتطور الرأسمالى القومى فى ظل الحكم البيروقراطى للبروجوازية الصغيرة.

إن الطبيعة الطبقية البورجوازية الصغيرة للدولة المصرية فى ظل النظام الناصرى هى التى أرست إطار الفعل السياسى الذى مارسه الموظفون البيروقراطيون كطبقة خلال هذه الفترة، إن النظام الناصرى مخلصا لطموحات البورجوازية الصغيرة القومية -مخطط التنمية- من خلال التدخل المباشر فى الاقتصاد القومى أخذ على عاتقه السير فى برنامج اقتصادى قومى شامل يبنى أسس اقتصاد رأسمالى متكامل يمكنه فى ذات الوقت الدفع إلى المقدمة بمصالح البورجوازية القومية والصغيرة.

وقد اتخذت الدولة خلال الفترة الأساسية لرأسمالية الدولة عدداً من الإجراءات النوعية لتسهيل تطوير الاقتصاد القومي، وهي... أولاً: أُقرت قوانين الإصلاح الزراعي في أواخر عام ١٩٥٢ لإزالة علاقات الإنتاج شبه الإقطاعية في الريف، ولتسهيل التصنيع في المناطق الحضرية، وجاءت بعد ذلك سلسلة من المواد في دستور ١٩٥٦ حددت الدور الذي يجب على القطاع الخاص أن يلعبه في خدمة الاقتصاد القومي داخل إطار خطة اقتصادية قومية توجهها الدولة، ويلي هذا مباشرة إقدام الدولة على سياسة تأميم المشروعات الأجنبية بما في ذلك البنوك، وبدأت في تطوير قطاع سلع رأسمالية يقوم على التوسع في صناعة الحديد والصلب[٢٩].

> **إن قانون الإصلاح الزراعي أقر في سبتمبر ١٩٥٢... وصمم لتصفية نظام إقطاعي قد وضع نهاية لشقاء ملايين الفلاحين وضمن تحريك الاقتصاد نحو المزيد من التصنيع، ولقد شدد دستور ١٩٥٦ على ضرورة توجيه رأس المال الخاص نحو خدمة الاقتصاد القومي.**
>
> **إن تأميم قناة السويس والشركات البريطانية والفرنسية وتمصير البنوك الأجنبية... (قد تم اتخاذه لتسهيل تفويض الدولة وتوكيلها) حتى يمكن لمصر أن تصنع سلعها الرأسمالية، ولذا كانت صناعة الحديد والصلب على قمة قائمة أولويات الدولة[٣٠].**

وقد أقدمت الحكومة رداً على الغزو الأنجلو-فرنسي لمصر في حرب السويس عام ١٩٥٦ على مصادرة كل الممتلكات البريطانية والفرنسية، والدخول في سياسة انتقامية كبيرة لتأميم وتمصير رأس المال الأجنبي عبر إقرار قوانين تحول الأعمال المملوكة للأجانب إلى المواطنين المصريين وخاصة إلى الحكومة المصرية:

وقد صدرت سلسلة من القوانين عام ١٩٥٧ تجبر كل البنوك الأجنبية وشركات التأمين على تمصير نفسها، وبيعت البنوك الإنجليزية والفرنسية، مثل باركليز وكريدي ليونيه إلى بنوك مصرية، وكان هذا يعني -بالإضافة إلى تأميم شركة قناة السويس- أن الجزء الأكبر من النصيب الأجنبي في الاقتصاد المصري قد تمت تصفيته، وقد نقل الكثير من هذا النصيب إلى الحكومة المصرية، وأُنشئ فيما بين ١٩٥٧ و١٩٦٠ عدد من المنظمات الاقتصادية العامة، بينما تم توسيع تلك الأخرى التي كانت موجودة بالفعل[٣١].

إن هذا التحويل الكبير للملكية إلى الدولة يسر نمو وتوسيع نصيب الدولة في الاقتصاد القومي، وأدى إلى بروز أكبر للقطاع العام في الشئون الاقتصادية، ودخلت

مصر خلال هذه الفترة فى النشاط القومى فى وحدة قصيرة العمر مع سوريا تحت مسمى الجمهورية العربية المتحدة (وتلك حادثة هامة سوف تتم مناقشتها فى الفصل التالى).

ولعبت الحكومة -وهى تعكس وضعها المركزى فى الاقتصاد- دوراً نشطًا فى إدخال مشروعات تنموية عبر خطط خمسية، وقد تلى هذا المزيد من تأميم الشركات الخاصة فى الصناعة والمال والتجارة والسلع الاستهلاكية، وبهذه الطريقة أخذت الدولة على عاتقها القيام بدور كبير فى تعزيز وتوجيه الاقتصاد القومى نيابة عن رأس المال الخاص، وبذا .. أصبحت الدولة هى العامل الأساسى لتراكم رأس المال، والمصدر الرئيسى للتطوير الرأسمالى الذى نقل مصر إلى دولة رأسمالية نامية[٣٢].

وقد استمر الدور المركزى للدولة وغدت غالبية الصناعات تحت سيطرة الدولة، وحيث إن الأعمال الكبيرة قد تم تأميمها وغدت تحت ولاية الدولة، فإن القطاع الخاص انحصر فى الإنتاج السلعى على نطاق ضيق والتجارة المحلية داخل إطار سوق تنافسى، وغدت إذن الأعمال الصغيرة هى نمط الرأسمالية القومية فى مجالات الإنتاج والصرف، المجالات التى بقيت خارج حدود الاقتصاد الرأسمالى للدولة.

ورغم أن الدولة قد نجحت فى أهدافها الاقتصادية الخاصة باحتضان التصنيع القومى خلال مرحلة رأسمالية الدولة، فإن المنظور البيروقراطى الضيق لموظفى الدولة منعهم من الوصول إلى فهم واضح للمجتمع المصرى وأقسامه الطبقية. لقد انتهى الحكام الجدد بدون منظور طبقى للبنية الاجتماعية السائدة إلى دعم وتعظيم العلاقات الرأسمالية للإنتاج فى ظرف جديد تجيزه تجيزه الدولة[٣٣] ولذا فإنه بالإضافة إلى تأميم الشركات الأجنبية وتطوير التعاونيات وتعزيز ملكية الدولة للبنوك والتسهيلات الإنتاجية التى عززت التصنيع القومى، شاهدت هذه الفترة أيضًا التوسع التدريجى لرأس المال الخاص الذى أخذ يتحدى فيما بعد ذلك أسس الاقتصاد الرأسمالى للدولة.

وقد تلى موت عبد الناصر عام ١٩٧٠ صراع مفتوح بين القطاعين العام والخاص، صراع أخذ فى التطور مع دخول الاقتصاد الرأسمالى للدولة فى مرحلة أزمة حادة.

ومن هذه النقطة وصاعدا حقق القطاع الرأسمالى الخاص بعض المكاسب الكبرى وتحدى اقتصاديات الناصرية التى بزغ هو ذاته عنها فى فترة مبكرة[٣٤].

ويسأل أحمد عظيم: "ماذا كانت بعض الأسباب الحقيقية للتغييرات فى السياسة الاقتصادية بعد وفاة ناصر، ويقدم هو لنا الإجابة التالية:"

أولاً: وقبل كل شئ التعاون التدريجي (وإن كان متصلاً) للبورجوازية التقليدية والجديدة (الدولة) مع إمبريالية الولايات المتحدة، ثانيًا: ظهر عقب وفاة عبد الناصر فى سبتمبر ١٩٧٠ مستويان من الصراع: الصراع على السلطة بين هؤلاء الذين كانوا قريبين من ناصر، والصراع الطبقى بين المجموعات المتنافسة، ثالثًا: إن السادات فى صراعه من أجل السلطة تحالف مع عناصر الجناح اليمينى الذين كانوا فى الانتظار، رابعًا: زيادة النفوذ النشط- ذى الطبيعة الاقتصادية فى الأساس- للأنظمة العربية المحافظة، خامسًا: طغيان النفوذ النشط للقوى الغربية وخاصة الولايات المتحدة، كل تلك ساهمت فى الانتقال إلى سياسة إقتصادية جديدة سياسة "الباب المفتوح" والتى سُميت بـ "الانفتاح"(٣٥).

ويقول عظيم: إنه كان للانفتاح أهداف ثلاثة: "جذب رأس المال الأجنبى؛ وتشجيع القطاع الخاص؛ وتغيير طبيعة القطاع العام المصرى".

وقد شددت الحكومة على مزايا وفوائد رأس المال الأجنبى، وقامت وسائل الاتصال الجماهيرية الرئيسية القوية بحملة شديدة فى صالح دعوة رأس المال الأجنبى، وكان الدافع الحقيقى وراء مثل تلك التصريحات على أى حال هو خطة تحويل البنية الاقتصادية فى اتجاه تفويض وتفكيك القطاع العام(٣٦).

إن التكامل التدريجى لمصر فى الاقتصاد الرأسمالى العالمى خلال هذه المرحلة مهد الطريق لتآكل رأسمالية الدولة وظهور طبقة رأسمالية قومية (سابقًا بيروقراطية) متحالفة مع المصالح التجارية الكبرى ومصالح امتلاك الأراضى، إنهم معا يقودون ائتلاف قوى طبقية مهيمنة تعتمد على الإمبريالية.

إن الانتقال إلى اقتصاد رأس مالى تابع نيوكولونيالى عزز، علاوة على ذلك، اختراق رأس المال الأجنبى لمصر خلال السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين، وعكس الاتجاهات التى كان يُعمل بها فى باكورة الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، ومع تحول ميزان القوى فى الاقتصاد العالمى فى فترة ما بعد الحرب لصالح الولايات المتحدة، غدا استثمار الولايات المتحدة، وغدت مصلحتها فى مصر أكثر ظهورًا وبروزًا فى سنوات ما بعد ناصر، وقد بلغ إجمالى الاستثمارات الأجنبية والمشتركة فى أوائل الثمانينيات من القرن العشرين ١٠ مليار دولار: وباستثناء قطاع البنوك فإن الغالبية من تلك الاستثمارات جاءت من الولايات المتحدة(٣٧).

إن تطور النيوكولونيالية فى مصر كان الناتج المنطقى لتطور رأسمالية الدولة الذى عزز ودعم رأس المال المحلى والذى غدا فى ظروف الهيمنة الإمبريالية على النطاق العالمى غدا ملحقا بطريقة لا مفر منها برأس المال الأجنبى فى علاقة جديدة أكدت البقاء المحدود السابق، ولذا فإنه -كما فى تركيا وأماكن أخرى من العالم الثالث- سهلت رأسمالية الدولة فى مصر التحول إلى رأسمالية نيوكولونيالية تعتمد على الإمبريالية، إن مجرى التطور المتبع فى مصر اليوم فى نهاية القرن العشرين قد أدى إلى زيادة التقسيمات والصراعات بين القوى الطبقية المتنازعة فى المجتمع المصرى، وأوجد حالة غير مستقرة مع ملابسات كثيفة لكل الشرق الأوسط[٣٨].

خاتمـــــة

إن صعود القومية والحركات القومية فى الشرق الأوسط -تلك التى ناضلت لكسب الاستقلال من الهيمنة الكولونيالية والإمبريالية خلال القرن العشرين- قد أدى إلى وجود تنويعة من أزمة رأسمالية الدولة فى المنطقة فى مرحلة ما بعد الحرب، إن صعود النضالات القومية خلال هذه الفترة لعب دوراً هاماً فى مقاومة الهيمنة الإمبريالية.

وقد نمت تلك الأنظمة مع الوقت ونضجت إلى دول رأسمالية نامية إلى حد ما فى النصف الأخير من القرن العشرين، إن مثل ذلك المنظور إلى الطريق الرأسمالى قد أدى إلى ظهور قوى طبقية جديدة أصبحت أداة فى إعادة توحيد تلك الدول المستقلة حديثًا فى الاقتصاد العالمى من خلال تحالفات نيوكولونيالية مجددة.

إن تجربة تركيا ومصر على طريق رأسمالية الدولة القومية هذه يوضح أنه رغم أصلهما المعادى للإمبريالية فإن التراكم الرأسمالى فى بلدان العالم الثالث، والذى ظل محكومًا داخل إطار الاقتصاد العالمى بواسطة الدول الإمبريالية لابد وأن يقود بطريقة لا مهرب منها إلى النيوكولونيالية، إن الدولتين القوميتين الراديكاليتين اللتين تناولناهما بالبحث فى هذا الفصل يصوران عملية التطور الرأسمالى فى نهاية القرن العشرين، والذى يُحدد ويُعرف معايير الاقتصاد السياسى الكونى المعاصر.

الهوامش

[1] Bernard Lewis, The Emergence of Modern Turkey, 2d ed. (New York: Oxford University Press, 1969), pp. 210-38

[٢] برنارد لويس، "بزوغ تركيا الحديثة"، الطبعة الثانية (نيويورك: مطبعة جامعة أوكسفورد، ١٩٦٩)، ص.ص. ٢١٠-٣٨.

[2] Feroz Ahmad, The Young Turks: The Committee of Union and Progress in Turkish Politics, 1908-1914 (London: Oxford University Press, 1969); E.E. Ramsaur, The Young Turks: Prelude to the Revolution of 1908 (Beirut: Khayat, 1965).

[٢] فيروز أحمد، "تركيا الفتاة: لجنة الإتحاد والترقى فى السياسة التركية، ١٩٠٨- ١٩١٤" (لندن مطبعة جامعة أوكسفورد، ١٩٦٩)، أ.أ. رمساور"، "تركيا الفتاة- مقدمة لثورة ١٩٠٨ (بيروت: خياط، ١٩٦٥)

[٣] لويس، "بزوغ تركيا الحديثة"، ص.ص. ٢٣٩- ٤٠

[٤] المرجع السابق، ص. ٢٤٠

[٤] المرجع السابق، ص. ٢٤١

[٦] المرجع السابق.

[٧] المرجع السابق.

[٨] تتكون "البورجوازية الكومبرادورية" من شرائح من الطبقة الرأسمالية المحلية التى ارتبطت بتجارة الاستيراد والتصدير ونشاطات أخرى فى علاقة مباشرة بالمراكز الامبراطورية.

[9] Berch Berberoglu, Turkey in Crisis: From State Capitalism to Neo- Colonialism (London: Zed Press, 1982), p. 9.

[٩] بيرش بيربيروجلو، "تركيا فى الأزمة- من رأسمالية- الدولة إلى النيوكولونيالية" (لندن مطبعة زد، ١٩٨٢) ص. ٩٠.

[١٠] المرجع السابق.

[11] Ibid., p. 11. See also Hüseyin Ramazanoglu, "A Political Analysis of the Emergence of Turkish Capitalism, 1839- 1950," in Turkey in the World Capitalist System, ed. Ramazanoglu, pp. 54-66.

[١١] المرجع السابق، ص. ١١، أنظر أيضًا حسين رامازا نوجلو، "تحليل سياسى لبزوغ الرأسمالية التركية ١٨٣٩- ١٩٥٠"، فى "تركيا فى النظام الرأسمالى العالمى"، تحرير رامازانوجلو، ص.ص. ٥٤- ٦٦.

تعريف "البورجوازية الصغيرة" هنا باعتبارها مكونة من هؤلاء الذين يمتلكون ولا يسيطرون على وسائل الإنتاج، غير أنهم لا يوظفون لديهم عمالا مأجورين- لقد نُظر تقليديًا إلى الذين يقومون بوظائفهم

بانفسهم (أو أصحاب المتاجر الصغار والحرفيين وفلاحي الأرض) باعتبارهم لب هذه الطبقة، كما تتضمن البورجوازية الصغيرة أيضًا المهنيين والبيروقراطيين الحكوميين متوسطي المستوى، وكذا قطاعات وسطية أخرى من المجتمع عامة. إن البورجوازية الصغيرة باعتبارها طبقة وسطية فإنها تقع بين الطبقة (الطبقات) الحاكمة المهيمنة والطبقة العاملة، وهي تشاركهما خصائص معينة منها، إنها مثلها مثل البورجوازية الكبيرة وملاك الأراضي تمتلك أو تتحكم في وسائل للإنتاج، ومثلها مثل الطبقة العاملة مرتبطة مباشرة بعملية الإنتاج حيث تقدم قوتها العاملة، ولذا فإن البورجوازية الصغيرة ليست طبقة استغلالية ولا طبقة مُستغلة، وبينما يطمح أفراد هذه الطبقة في أن يصبحوا رأسماليين كبارا، فإن مصالحهم المباشرة تتركز حول حماية وضعهم كمنتجين صغار مستقلين أو حرفيين، ونحن عندما نتناول القطاعات العسكرية والمدنية لبيروقراطية الدولة باعتبارها بورجوازية صغيرة فإن ذلك ليس لأن البيروقراطية تحتل في ذاتها وضعا متوسطا داخل طبقات المجتمع، ولكن لأن الضباط في أكثر مجتمعات العالم الثالث فيما بعد الكولونيالية أو النيوكولونيالية، في كل من تلك القطاعات (وخاصة الضباط الصغار في الجيش، والذين هم غالبا القادة الأساسيين الذين يحرضون ويحثون على الانقلابات العسكرية المعادية للامبريالية) إنما هم خارجون عن صفوف البورجوازية الصغيرة

[12] Turgut Taylan, “Capital and the State in Contemporary Turkey,” Khamsin. no. 11 (1984): 7-8.

[١٢] تورجوت تايلان، "رأس المال والدولة في تركيا المعاصرة"، خمسين، رقم ١١ (١٩٨٤) ٧- ٨

[13] Çaglar Keyder, State and Class in Turkey (London: Verso, 1987), pp. 91- 115.

[١٣] كاجلار كيدر، "الدولة والطبقة في تركيا" (لندن فيرسو، ١٩٨٧)، ص.ص. ٩١- ١١٥.

[١٤] المرجع السابق.

[١٥] تتكون البورجوازية الصناعية القومية أو ببساطة "البورجوازية القومية" من ذلك الجزء من طبقة الرأسماليين المحليين الذى يمتلك السيطرة على وسائل الانتاج الصناعي، بينما البورجوازية الكومبرادورية مركزة أساسا في تجارة الاستيراد والتصدير ومرتبطة بشكل مباشر مع المراكز الإمبريالية. وللبورجوازية القومية مصالح محلية ولذا توجد لها قاعدة قومية، إن قومية الرأسماليين الصناعيين هي ناتج اهتمامهم بصيانة وحماية الملكية في وسائل الإنتاج الموجودة داخل حدود أرضهم القومية.

[16] H. Derin, Türkiye’ de Devletçilik (Statism in Turkey) (Istanbul: Cituri Biraderler, 1940), p. 83. See S. Aksoy, Türkiye’de Toprak Meselesi (The land question in Turkey), (Istanbul: Gerçek Yayinevi, 1971), pp. 52-67.

[١٦] هـ. ديرين، "الدولانية في تركيا (اسطنبول: سيتورى بيرادرلر، ١٩٤٠)، ص. ٨٣. لقد اتخذت الدولة أيضا عددًا من الخطوات الهامة في هذه الفترة للتعجيل بعملية التراكم الرأسمالي في الريف في موازاة لعملية تنمية وتوسيع الصناعة المحلية، وكان من بين تلك الخطوات إلغاء "العشور (ضريبة العشر) عام ١٩٢٥ وتوزيع الأرض على الفلاحين المعدمين عن طريق قوانين عام ١٩٢٧ و١٩٢٩، وحدث نتيجة ذلك توزيع إجمالي ٧١١٤٣١٥ دونم (أو ١٧٧٨٥٧٨٧ أكر) من الأرض عام ١٩٣٤ لهؤلاء الذين بلا أرض، أنظر س. آكسوى، "مسألة الأرض في تركيا"، (اسطنبول، جيرسيك يابنيقى)، ص.ص. ٥٢-٥٧.

(١٧) 'رأسمالية الدولة فى العالم الثالث هى نوع من النظم يتحدى النظام الاجتماعى النيوكولونيالى، ويتخذ موقفا معاديا لرأس المال الأجنبى حتى ييسر تراكم رأس المال القومى، حيث إن القوى الطبقية المتعاطفة مع تنمية رأس المال القومى قد أمسكت بسلطة الدولة، وحلت محل حكم كتلة سلطة النيوكولونيالية القديمة.

إننا نؤكد أن الدولة فى ظل رأسمالية الدولة في العالم الثالث قد هيمنت وسيطرت بواسطة البورجوازية الصغيرة وهى تقود قطاعات من بيروقراطية الدولة العسكرية والمدنية.

[١٨] بيربيروجلو 'تركيا فى الأزمة'، ص.ص. ٣٤- ٦٥.

[19] Dogu Ergıl, "From Empire to Dependence: The Evolution of Turkısh Underdevelopment" (Ph.D. diss., State University of New York at Binghamton, 1975).

[١٩] دوجو إرجيل، 'من الامبراطورية إلى التبعية نشوء التخلف التركى' (مبحث دكتوراة فى الفلسفة، جامعة الدولة نيويورك فى بينجها متون، ١٩٧٥).

[٢٠] رامازانوجلو، 'تركيا فى النظام العالمى الرأسمالى'، ص.ص. ٦٩- ٧٠.

[٢١] تايلان، رأس المال والدولة فى تركيا المعاصرة'، ص.ص. ١٠-١١.

[٢٢] بيربيروجلو، 'تركيا فى الأزمة'، ص.ص. ١٢٨-٣٢

[23] Richard C. Whiting, "The Suez Canal and the British Economy 1918- 1960," in Imperialism and Nationalism in the Middle East, ed. Keith M. Wilson (London: Mansell 1983), p. 84.

[٢٣] ريشاردس. هويتينج، 'قناة السويس والاقتصاد البريطانى ١٩١٨- ١٩٦٠ فى 'الإمبريالية والقومية فى الشرق الأوسط'، تحرير كيف م. ويلسون (لندن. مانسيل، ١٩٨٣)، ص. ٨٤.

[٢٤] المرجع السابق، ص. ٧٩

[٢٥] المرجع السابق. ص ٧٦

[26] Kirk J. Beattıe, Egypt During the Nasser Years (Boulder, Colo.: Westview Press, 1994), pp. 66-67.

[٢٦] كيرك ج. بيتى، 'مصر خلال سنوات ناصر' (بولدر، كولورادو. مطبعة وست ڤيو. ١٩٩٤)، ص.ص. ٦٦-٦٧.

[27] Peter Mansfield, Nasser's Egypt (Baltimore, Md.: Penguin, 1965), p. 43.

[٢٧] بيتر مانسفيلد، 'ناصر مصر'، (بليتمور، مميلاند: مينجوين، ١٩٦٥)، ص. ٤٣

[28] Samir Amin, The Arab Nation: Nationalism and Class Struggles (London: Zed Press, 1978).

[٢٨] سمير أمين، 'الأمة العربية: القومية والصراع الطبقى' (لندن. مطبعة زد، ١٩٧٨).

[29] Ahmad N. Azim, "Egypt: The Origins and Development of a Neo-colonial State," in Power and Stability in the Middle East, ed. Berberoglu, p. 4.

[٢٩] أحمد ن. عظيم، "مصر: أصول دولة نيوكولونيالية وتطورها"، في "القوة والاستقرار في الشرق الأوسط، تحرير بيربيروجلو، ص. ٤٠

[٣٠] المرجع السابق.

[٣١] مانسفيلد، "ناصر مصر"، ص ١٣٥.

[٣٢] المرجع السابق، ص.ص. ٤-٥.

[33] Mahmoud Hussain, Class Conflict in Egypt, 1945- 1970 (New York: Monthly Review Press, 1973). See ibid., pp. 104-9.

[٣٣] محمود حسين، "النزاعات الطبقية في مصر"، ١٩٤٥- ١٩٧٠ (نيويورك: مطبعة مونثلي ريفيو: ١٩٧٣). إن حسين ينظر في الحقيقة خطوة أكثر إلى الأمام في تقصي دور الدولة (ودور بيروقراطي دولة البورجوازية الصغيرة) في عملية التراكم، ويقول إنه بفضل وضعهم الاستراتيجي في السيطرة على ممتلكات الدولة تحول موظفو الدولة إلى طبقة جديدة مهيمنة "بورجوازية دولة" لها مصالح معاصرة لتلك التي للطبقات الحاكمة، حيث إنها استفادت مباشرة من التنمية الرأسمالية (التي توجهها الدولة) أنظر المرجع السابق، ص.ص. ١٠٤- ١٠٩.

[34] Mark Cooper, "Egyptian State Capitalism in Crisis," in The Middle East, ed. Talal Asad and Roger Owen (New York: Monthly Review Press, 1983). See also Joel Beinin, "Egypt's Transition Under Nasser," MERIP Reports 107 (July/ August 1982).

[٣٤] مارك كوبر، "رأسمالية الدولة المصرية في أزمة"، في "الشرق الأوسط"، تحرير طلال أسد وروجر أوين (نيويورك مونثلي ريفيو، ١٩٨٣). أنظر أيضًا جويل بينين، "تحول مصر في ظل ناصر"، تقارير ميريب ١٠٧ (يوليو/ أغسطس ١٩٨٢).

[٣٥] عظيم "مصر أصول دولة نيوكولونيالية وتطورها" ١١.

[36] Ibid. See also Ghali Shoukri, Egypt: Portrait of a president (London: Zed Press, 1981).

[٣٦] المرجع السابق، أنظر أيضًا غالي شكري، "مصر. صورة رئيس" (لندن. مطبعة زد، ١٩٨١).

[37] Jim Paul. "Foreign Investment in Egypt," MERIP Reports 107 (July/ August 1982): 17.

[٣٧] جيم باول، "الاستثمار الأجنبي في مصر"، تقارير ميريب ١٠٧ (يوليو/ أغسطس ١٩٨٢) ١٧، الاستثمار الأجنبي في مصر خلال هذه الفترة كان الأكثر ثقلاً في البترول والمصارف والكيماويات وفروع أخرى في الصناعات وخاصة الأليكترونيات ومعدات النقل.

[38] See Charles Tripp and Roger Owens, eds., Egypt Under Mubarak (London: Routledge, 1989).

[٣٨] أنظر تشارلز تَريب وروجر أوينز، محرران، "مصر في ظل مبارك" (لندن: روتليدج، ١٩٨٩).

الفصل الرابع

الإمبريالية والبعث القومي في الشرق الأوسط .. سوريا والعراق ..

ظلت المنطقة التى تتكون من سوريا والعراق اليوم جزءاً من أراضى الإمبراطورية العثمانية مدة أربعة قرون منذ باكورة القرن السادس عشر حتى باكورة القرن العشرين، وأصبحت سوريا والعراق وبالمثل الأراضى المجاورة للبنان وفلسطين وشرق الأردن تحت سيطرة وولاية القوتين العظميين بريطانيا وفرنسا.

وقد طالب البريطانيون والفرنسيون -وهما يقتسمان تلك الأراضى فيما بينهما- بمناطق مختلفة من الأمبراطوورية، إذ طالبت فرنسا عصبة الأمم أن تقوم هى بالانتداب على سوريا ولبنان، وطالبت بريطانيا أن تقوم بالانتداب على العراق، وقد حولا هذه المنطقة إلى نقطة أمامية للغرب، إذ دام الانتداب البريطانى والفرنسى على تلك الأراضى حتى منتصف القرن العشرين.

ويدرس هذا الفصل أثر الإمبريالية وأصول القومية وتطورها فى سوريا والعراق، لقد كان رد الفعل فى مواجهة الاحتلال الكولونيالى للأراضى العربية عبر المنطقة، هو شن الحركات القومية فى تلك البلدان لنضال طويل الأمد للاستيلاء على سلطة الدولة ونجحت تلك الحركات فى تحقيق هدفهما فى تأسيس دولة قومية مستقلة فى سوريا والعراق على التوالى.

الإمبريالية ورد الفعل القومى
فى سوريا

إن فلاحى سوريا والمنتجين الصغار للسلع الذين خضعوا ذات مرة لحكم وتبعية الدولة العثمانية المستبدة أصبحوا بصورة متزايدة تحت سيطرة كبار ملاك الأراضى والتجار والرأسمالية الذين كانوا فى السلطة بفضل النظام الكولونيالى أثناء الانتداب الفرنسى، بعد انهيار الأمبراطورية العثمانية فى نهاية الحرب العالمية الأولى. وقد ازدهرت علاقات الإنتاج شبه الإقطاعية فى الريف وعززت العلاقات الرأسمالية فى التجارة والصناعة فى المناطق الحضرية مثل دمشق وحلب، وتحولت بيروت فى لبنان المجاورة بسبب موقعها الجغرافى الخاص إلى مركز تجارى إقليمى تَسهل اختراق رأس المال الفرنسى لسوريا ولباقى الشرق الأوسط(١).

ويكتب ديريك هوبوود "كانت سوريا هى الأخيرة فى خط طويل من الأراضى التى سقطت فى فلك الأمبراطورية الفرنسية.

دخل الفرنسيون كفاتحين.. وأمسك المفوضون الساميون بكل السلطة، وكان الثلاثة الأول منهم جنرالات اكتسبوا خبرة كولنيالية فى أفريقيا، وحتى يمارسوا الإدارة من وراء واجهة سورية عينوا موظفين ومستشارين فرنسيين، كان الإنفاق العسكرى فى سوريا عشرة أمثال الإنفاق على مشروعات مدنية، وكان على فرنسا أن تستخدم دائما قوتها العكسرية (أو التهديد بها) للمحافظة على سلطتها[٢].

وقد لجأت فرنسا إلى استخدام سياسة فرق تسد، وهى أسلوب كولونيالى قديم للإبقاء على سيطرتها على الشعوب الخاضعة لها بإثارة مختلف الديانات والمجموعات الاثنية ضد بعضها البعض لتحقيق غاياتها. ويكتب نيكولاس فان دام" استقرت الطائفية عمدا، فى ظل الانتداب الفرنسى، لمنع أو قهر نهوض قومية العرب".

> **وقد حبذت فرنسا كجزء من سياسة فرق تسد التجنيد العسكرى لوحدات خاصة من بين العلويين والدروز والأكراد والشراكسة وأقليات أخرى، شكلت حينذاك جزءاً من "القوات الخاصة للشرق الأدنى" التى استخدمت للحفاظ على النظام وقهر المتمردين المحليين، إن حقيقة كون تلك القوات كانت مكونة أساسا من أقليات زاد من حنق واستياء السنة المتحدثين بالعربية، كما استثير أيضا النفور بين الأقليات الدينية والاثنية وفى داخلها عن طريق حقيقة تحريض فرنسا لقائد قبلى ضد قائد قبلى آخر.[٣]**

ورغم تلك التقسيمات التى غذتها الكولونيالية الفرنسية للإبقاء على قبضتها الشديدة على سوريا، فإن رد الفعل فى مواجهة الحكم الكولونيالى القمعى فوق الأرض اتخذ أكثر فأكثر صفة قومية. لقد ظهرت القومية فى سوريا باعتبارها أيديولوجية جماهيرية علمانية تقوم على خبرة توحيدية للصراع من أجل هوية قومية واستقلال قومى.

لقد دام الانتداب الفرنسى على سوريا حوالى ثلاثة عقود، كان هنالك خلالها صراع دائم من جانب الوطنين السوريين لانتزاع السلطة السياسية من الفرنسيين، وقد تطور الصراع القومى فى سوريا عبر مجرى "الانتداب الفرنسى" فى عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٤٦، وقد شاهدت هذه الفترة التمرد الكبير عام ١٩٢٥ والإضراب العام عام ١٩٣٦، وبالمثل كذلك نشاطا قوميا ممتداً ضد النظام الكولونيالى. وقد واصلت الحركة القومية الضغط من أجل استقلال سوريا، وقاتلت من أجل النهاية المريرة لإجبار فرنسا على التخلى عن ما استحوذت عليه كجائزة كولونيالية، ولم تعد فرنسا -وقد أضعفتها هزيمتها فى الحرب العالمية الثانية- وهى تواجه احتجاجات ومظاهرات متزايدة فى دمشق ومدن أخرى فى سوريا، لم تعد بقادرة على الحفاظ على قبضتها القوية على

هذه الأراضي، وطردت من سوريا عام ١٩٤٦ العام الذى كسبت فيه سوريا استقلالها.(٤)

وقد مرت سوريا خلال العقد الذى تلى استقلالها بمرحلة من الانقلابات والانقلابات المضادة، بما فيها ثلاثة انقلابات عام ١٩٤٩، وواحد عام ١٩٥١، وآخر عام ١٩٥٤ بواسطة قوى سياسية متنافسة، تتنافس على سلطة الدولة باستخدام الجيش كوسيلة لإنجاز أهدافها.

وقد وضع الانقلاب الأول فى سوريا ما بعد الاستقلال فيما بعد الحرب فى فلسطين وضع أسس الدور المركزى للعسكرية السورية فى الشئون السياسية، والذى سوف يصبح ملمحا للسياسة السورية لعقود قادمة. ويكتب تابيتا بيتران "لقد خلق السخط الشعبى والصراعات والاتهامات والاتهامات المضادة بالفساد، خلقت حالة قريبة من الفضولية، وفى ٢٩ مارس ١٩٤٩ أمسك الكولونيل الزعيم بالسلطة وعزل ونفى الرئيس القوتلى وحل البرلمان وأقام حكما عسكرياً(٥)، ويواصل بيتران "إن هذه الإطاحة الأولى، فى العالم العربى بعد الحرب الفلسطينية كانت قد هندستها السفارة الأمريكية فى دمشق.

> **إن ايحاءات الدور التوجيهى للولايات المتحدة الذى قدمه ميلز كويلاند عضو فريق السفارة عام ١٩٦٩ قد أكد الشكوك السورية التى دامت طويلا.**
>
> **بدت الجيوش بالنسبة لواشنطن الساعية لإيجاد سياسة تسد الطريق أمام الشيوعية وتتحدى التفوق البريطانى فى المشرق العربى، بدت الجيوش العربية (والتى نظمت أساسا كقوى شرطة محلية) باعتبارها القوى الأكثر احتمالا لتحقيق نفوذ وطيد فى منطقة تهددها الاضطرابات الجماهيرية.(٦)**

إن الانقلابات التالية والانقلابات المضادة قد دفعت سوريا وجذبتها داخل وخارج تحالفات متعددة مع تأثير أكبر أو أقل للولايات المتحدة طبقا للنظام الذى فى السلطة:

> **كانت الثمرة الأولى الأمريكية هى انقلاب الزعيم (فى مارس ١٩٤٩) وبعد غزل مع العراق أقام الزعيم علاقات وثيقة مع مصر والعربية السعودية، غير أنه سرعان ما أطاح به الكولونيل سامى الحناوى فى انقلاب هندسته العراق فى أغسطس تدعمه بريطانيا فى الغالب، وقد حاول الحناوى جذب سوريا إلى المعسكر الهاشمى، وفى ديسمبر عندما بدأ الاتحاد مع العراق وشيكا أطاح الكولونيل أديب الشيشكلى بالحناوى وأعاد الشيشكلى سوريا إلى الفلك السعودى- المصرى وأعيد الأمر إلى سابق عهده عن طريق إجراء يقوم على النفوذ الأمريكى.(٧)**

إن النشاط السياسي الزائد أثناء سلسلة الانقلابات العسكرية التي وقعت خلال السنوات الأساسية لفترة ما بعد استقلال سوريا، كانت انعكاسا للصراعات الطبقية التي استمرت بعد الإطاحة بالملكية، لقد كانت الانقلابات والانقلابات المضادة خلال هذه الفترة هي البيانات السياسية للصراعات بين مختلف الطبقات والفئات الطبقية التي تسعى جاهدة للإمساك بسلطة الدولة، وخاصة الصراع في القوى الشعبية التي حشدتها رهافة الإحساس القومي، وكذا أيضا المصالح الطبقية لعبت على أي حال دورا متساوي القوة في صياغة الأحداث خلال هذه الفترة.

ويكتب بيتران "بلغت حركة الفلاحين ذروتها عام ١٩٥٠ و ١٩٥١. كان الفلاحون هائجين ثائرين في كل أجزاء البلاد، ورفض الفلاحون أراء الحكومات الإقطاعية والأقساط المستحقة وألغوا تلك الممارسات بطريقة فعالة في غالبية المناطق.[٨]

> **عندما بدأ العمل الاحتجاجي في "الغاب" حارب الفلاحون ملاك الأراضي الذين جاءوا ليضعوا أيديهم على الأرض، وطرد ملاك الأراضي الفلاحين من قراهم، وقتلوا مواشيهم، وتحرشوا بهم بكل السبل الممكنة غير أن قرى أخرى قدمت ملجأ للفلاحين المطرودين، وظل الفلاحون متحدين ضد ملاك الأراضي، وفي منتصف سبتمبر ١٩٥١ تجمع آلاف المتمردين من كل أنحاء سوريا في مؤتمر فلاحي عقده حزب الحوراني الاشتراكي العربي في حلب وهنا رفعوا شعار "الأرض للفلاحين" وطالبوا بإصلاح زراعي حقيقي وقانون ينظم العلاقات بين ملاك الأراضي والفلاحين، وقد أضفى المؤتمر صفة سياسية على نضال الفلاحين.[٩]**

وقامت القوى المحافظة المتحالفة مع الولايات المتحدة والعناصر اليمينية داخل الجيش مع ازدياد انتشار النضال السياسي للطبقات المقهورة في سوريا، في طول البلاد وعرضها، قامت بالضغط قدما لتقوية قبضتها عبر معسكر آخر يقوده -عام ١٩٥١- الكولونيل الشيشيكلي الذي شدد من تسلطه عبر ديكتاتورية عسكرية للجناح اليميني. وقام الشيشيكلي كجزء من استراتيجية لوقف اضطرابات الفلاحين، قام "بتوجيه عملية قمع لا رحمة فيها ضد الفلاحين، وقامت قوات الجندرمة والجيش بإخراج الفلاحين من قراهم وطردهم من مناطق إقامتهم وسُحب الآلاف من الفلاحين وعُذب الكثيرون منهم.[١٠]

إن الهياج والاضطراب السياسي في سوريا خلال هذه الفترة قد أبقى على أي حال على الزخم المعادي للنظام، وأجبره على الوصول إلى اتفاق مع الأزمة المُهددة وأُجبرت

القيادة العسكرية العليا عام ١٩٥٤ نتيجة ذلك على الاستقالة، وأطيح بديكتاتورية الشيشكلي العسكرية.

إن الانتقال إلى سياسة انتخابية، ودور الأحزاب السياسية فى نشاط قومى سياسى خلال أواخر الخمسينيات من القرن العشرين- خاصة حزب البعث والأحزاب الأخرى التى تتبنى النقابات والمنظمات العمالية الأخرى مثل الحزب الشيوعى- أعد المسرح من أجل تحول الاقتصاد السورى، وحقق ضغطا على الدولة كى تلعب دوراً نشطا تقدميا فى الاقتصاد القومى. ومع بعث القومية فى العالم العربى عقب أزمة السويس، أدخلت القوى القومية البورجوازية الصغيرة المسيطرة على الدولة السورية فى أواخر الخمسينيات فى القرن العشرين، أدخلت سياسة رأسمالية الدولة التى حددت مجرى التنمية الاقتصادية فى السنوات التالية، وقد فتحت هذه العملية الطريق للوحدة مع مصر (نظام قومى آخر ينهج رأسمالية الدولة) من خلال تكوين الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٥٨.[١١]

> **وقد أعلن الرئيسان -ناصر والقوتلى- تكوين الجمهورية العربية المتحدة. كانت حركة فى المجهول، تم الاتفاق عليها فى حرارة الحماس، وأعلن البيان المشترك: "إن المشاركين بإعلانهم تلك القرارات يشعرون بفخر كبير وسعادة غامرة فى معاونتهم على إنجاز هذه الخطوة الإيجابية على طريق الوحدة والتضامن العربى".[١٢]**

كانت وحدة مصر وسوريا تَعِد بجمع دولتين عربيتين قويتين وبذا تثبت روابط القومية العربية، وقد ووفق على اتفاقية الوحدة عن طريق استفتاء، فى كل من البلدين، وأُنتخب ناصر رئيسا للجمهورية العربية المتحدة الجديدة، وسرعان ما "زار ناصر دمشق حيث رُحب به ترحيبًا عارمًا إذ خرج الآلاف إلى الشوارع لتحيته، تحية القائد العربى الأكثر شعبية على الإطلاق، وكانت العروبة فى أوج مجدها".[١٣]

وتحت نشوة الفرح تلك لم تكن كل أمور الوحدة جيدة على أى حال، كما كان متصورا فى الأصل. "كان على الجمهورية العربية المتحدة أن تتكون من إقليمين- الشمالى والجنوبى- وكانت القاهرة هى العاصمة، وهنا كمن جذر المشاكل- العلاقة غير المتساوية وعدم إدراك المصريين"[١٤] لقد كان ناصر قادرا عند المطالبة بوحدة شاملة فى ظل إملاء مصرى أن يفرض شروطه هو على تحالف هش، لم يكن متكافئا منذ البداية تماما.

لقد طالب بوحدة شاملة وبإلغاء الأحزاب باستثناء اتحاده القومي وامتناع الجيش السوري عن السياسة.... وقد فصل بالإضافة إلى حل الأحزاب السورية ضباط الجيش وأرسل مسئولي أمن مصريين إلى سوريا.

وفي أكتوبر ١٩٥٨ عُين في مجلس وزراء جديد ١٤ وزيرا مصريا من ٢١ وزيرا (مشتملين على أكثر الوزراء أهمية) وقد أبعدت حركات أخرى لناصر قطاعا كبيرا من السكان ملاك الأراضي الذين كرهوا خطط الإصلاح الزراعي والسياسي الذين فقدوا السلطة ورجال الأعمال والجيش.[١٥]

وكان هناك استياء في سوريا خلال السنوات الثلاث التالية، ويأس في صفوف أعضاء البعث، وزوال الوهم بين الشعب السوري نحو هذا الدمج غير المتوازن، بوضوح كان فرض حكم مركزي من القاهرة لمواجهة مشاكل الوحدة ليس بالحل على وجه الإطلاق ومن ثم فقد كان المسرح معدا للجيش السوري كي يتحرك: "وفي ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ تحركت وحدات من الجيش كانت متمركزة خارج دمشق إلى العاصمة حيث لحقت بها وحدات أخرى وأعلنت هبة قومية.[١٦] وبذا انتهت الوحدة، لقد دام إدماج البلدين ثلاث سنوات فقط، وأعادت قوى البعث في سوريا تنظيم نفسها في غضون عام ونصف عام من نهاية وحدة الجمهورية العربية المتحدة ونجحوا في استعادة السلطة عبر انقلاب في ٨ مارس ١٩٦٣ ورغم أن دور البعث في الانقلاب كان الأقل أو كان غير موجود في البداية، غير أن العناصر الانفصالية اليمينية داخل البعث لعبت دورا هاما داخل بنية الدولة بمجرد أن تمكنت قبضة الجيش من سلطة الدولة، وقد جرت محاولتان انقلابيتان لاستعادة السيطرة الناصرية على الدولة (واحدة في إبريل والأخرى في يوليو) وفشلتا، وكانت نتائج الثانية مأساوية حيث قتل سبعون شخصا على الأقل وجرح الكثيرون، بينما أعدم العديد من قادة العصبة.[١٧]

وقد أدت زيادة الصدام بين القوميين الراديكاليين والأجزاء الرجعية المحافظة من نظام البعث إلى مواجهة صريحة بين من يدعمون كل جانب في عدد من المدن الكبرى عبر البلاد وقد حث هذا الجناح القومي الراديكالي في البعث ليدبر انقلابا في فبراير ١٩٦٦ ليُحيّد القوى الرجعية داخل صفوفه وليحرك سوريا بصورة أكثر صلابة على طريق رأسمالية الدولة. كان الانقلاب الثالث عشر في سوريا والأكثر دموية خلال سبعة عشر عاما يقوده ضباط موالون للجنرالين جديد والأسد، إن هذا الانقلاب "البعثي الجديد" والذي أطاح بالحكومة اليمينية التي يرأسها الرئيس حافظ حوَّل سياسة الدولة إلى اتجاه قومي، وضغطت القوى القومية مع وجود الجناح الراديكالي من البعث في

السلطة، ضغطت من أجل تطبيق سياسة اقتصادية جديدة تعمق مشروع رأسمالية الدولة، وبدأت الحكومة تحد من دور رأس المال الخاص داخل الاقتصاد السورى وبادرت بتقديم سلسلة من القوانين من أجل تأميم المشروعات المحلية ولضمان سيطرة أكبر للدولة على الاقتصاد القومى، وقد صاحب هذا قانون إصلاح زراعى جديد، وعد بإعادة توزيع الأرض على الفلاحين المعدمين من أجل زيادة الإنتاج فى القطاع الزراعى وبينما كانت تلك السياسات انعكاسا لسياسات الجناح الراديكالى لحكومة البعث فى السلطة فقد قاتلت عناصر محافظة أخرى، محاولة تقوية القطاع الخاص، للحد من دور الدولة فى الاقتصاد.[١٨]

وقد قام النزاع داخل الأجزاء الراديكالية والوسطية فى البعث حول مشكلة المدى الذى يجرى التحرك عليه على طريق رأسمالية الدولة إلى المنافسة بينهم وإلى انقلاب عام ١٩٧٠، عندما أطاح جناح البعث الوسطى بالنظام بواسطة الجنرال حافظ الأسد وسرعان ما ألقى الجنرال الأسد بعد استيلائه على السلطة القبض على كل الجناح اليسارى البعثى القديم، بما فيهم الرئيس الأتاسى، ودعم سلطته باعتباره رأس الدولة.

بدأ نظام الأسد بعد توليه السلطة عام ١٩٧٠ فى تيسير القيود التى على رأس المال الخاص فى مختلف فروع الاقتصاد المحلى، ومع تراخى سيطرة الدولة والنظام على الإنتاج والتجارة والمال، بدأ رأس المال الخاص التوسع فى كل الاتجاهات.

> **وتراخت القيود على التجارة الخارجية، وأعطى للمستوردين السوريين الحق فى استيراد منتجات أجنبية لحسابهم ومن المصدرين مباشرة.. وأنشئت مناطق التجارة الحرة فى مختلف أجزاء سوريا لتعزيز تجارة القطاع الخاص، وقدم الأسد -بأمل سد نقص احتياطى النقد الأجنبى- إغراءات للمهاجرين من أجل إعادة رؤوس أموالهم إلى الوطن ووجه نداء إلى رجال الأعمال المتبقين للعودة إلى الوطن، واعدا إياهم بالحصانة من العقاب بسبب تهريبهم رأسمالهم إلى الخارج، وتقديم تسهيلات خاصة، وفرص استثمار جذابة.[٢٠]**

إن مثل تلك السياسة هى التى قدمت قاعدة مادية لتوسع رأس المال التجارى، وتطور بورجوازية كومبرادورية محلية خلال السبعينيات من القرن العشرين.

ورغم أن سوريا كانت تتطور فى اتجاه رأسمالى خاص عبر العقود العديدة الماضية فإن دور الدولة فى الإشراف على الاقتصاد لم يختف تماما فقد استمرت بعض

ممارسات رأسمالية الدولة تعمل داخل الإطار الأوسع للاقتصادى القومى الذى هو جزء من النظام الرأسمالى العالمى الذى تهيمن عليه الإمبريالية.[٢١]

ورغم صراعات القوى الداخلية بين الأجزاء الراديكالية والوسطية المتنافسة داخل البعث وعلامات عن قلب السياسة الاقتصادية التى توجهها الدولة خلال العقود الأربعة الماضية، كانت سوريا قد عملت على الإبقاء على واجهة دولة قومية مستقلة، ومع ذلك فإن تطورات العقد الماضى تشير إلى عملية تحول تماثل تلك التى حدثت فى تركيا ومصر، حيث أنتج التطور على امتداد طريق رأسمالية الدولة فى مرحلة متقدمة تحول تلك الأنظمة إلى توابع نيوكولونيالية للإمبريالية.

الإمبريالية ودر الفعل القومى
فى العراق

كانت البصرة وبغداد والموصل قبل الحرب العالمية الأولى أقاليم فى الإمبراطورية العثمانية، وبانهيار الإمبراطورية العثمانية فى نهاية الحرب سيطرت بريطانيا على هذه الأراضى لتكسب مدخلا إلى الزيت ومواد أولية أخرى فى الخليج الفارسى، وغدت بريطانيا من خلال امتلاكها لهذه المنطقة الغنية بالبترول قادرة على تشديد قبضتها على الشرق الأوسط.[٢٢]

إن انهيار الأمبراطورية العثمانية وانتصار القوات البريطانية، من فلسطين إلى العراق، سمح لبريطانيا بالبقاء فى المنطقة وتحويل الشرق الأوسط إلى مستعمرة بريطانية واسعة. وحتى تضمن بريطانيا سيطرتها على هذه الأراضى، نصبت فى ظل انتداب الأمم المتحدة لها حكومة ملكية فى العراق اشتملت على ضباط محليين من الجيش العثمانى متعاطفين مع بريطانيا، وتجار أساسيين وبيروقراطيين محليين ذوى روابط بالمشايخ وملاك الأراضى فى المناطق الريفية، ومن ثم قامت الحكومة الملكية التى نصبتها بريطانيا بتنفيذ الأهداف السياسية والاقتصادية للانتداب البريطانى فى العراق، وبحماية المصالح البريطانية فى المنطقة بطريقة جيدة فى القرن العشرين.[٢٣]

إن الهيمنة الإمبريالية على العراق واندماجها فى الاقتصاد العالمى الذى تسيطر عليه بريطانيا قد أدى إلى تحول كبير فى الاقتصاد والمجتمع.

إن العراق الحديث- بجهاز دولته وطبيعته الاجتماعية والاقتصادية - كانت له بداياته فى المرحلة المبكرة للاختراق الأوروبى.. وكان له تكامله المتقلب وإن كان مستمرا فى الاقتصاد العالمى، وقد أثار هذا تحولا ملحوظا فى زراعة سائدة رعوية، ومن أجل البقاء، إلى إنتاج للأسواق الخارجية للهند البريطانية وأوروبا، وحولت عبر عقود عديدة علاقة الشيخ ورجل القبيلة إلى علاقة مالك أرض وفلاح وقن، كما غدت الأرض المزروعة على المشاع عقارات خاصة بكبار المشايخ وتجار الريف ومسئولى الدولة.(٢٤)

كما حول النظام الكولونيالى فى العراق -فى تواز مع هذا التحول- حول الدولة إلى أداة للحكم الإمبريالى، أداة تحقق أوامر الاقتصاد العالمى الذى تسيطر عليه بريطانيا. وبهذا المعنى فإن دولة العراق الحديثة قد فرضتها الملاءمة الأوروبية وأوامر رأس المال الأجنبى (البريطانى) من أجل توطيد حكمه، كان الزيت- احتياطيات الموصل وجوارها حتى الحقول الفارسية- هو حافز السيطرة البريطانية.(٢٥)

إن حلول الكساد الكبير والهبوط الحاد فى الأسعار العالمية لصادرات العراق الأساسية تسبب فى أزمة اقتصادية وسياسية أدت إلى الاستقلال الشكلى عام ١٩٣٢. وجاء توسع النشاط الصناعى والتجارى خلال الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين، جاء إلى الوجود بقوى اجتماعية جديدة، بما فى ذلك طبقة عاملة صغيرة، وطبقة وسطى أكثر عدداً.

كانت البورجوازية المحلية تجارية بصورة طاغية، مرتبطة ارتباطا وثيقا برأس المال الأجنبى وملاك الأراضى، وجاءت إقامة السكة الحديدية والموانىء ونمو النشاط التجارى والمتاجر وتوسع جهاز الدولة، جاء الى الوجود بقوى اجتماعية جديدة ذات قاعدة حضرية، بروليتاريا صغيرة وبورجوازية صغيرة وطبقات وسطية أكثر عدداً إلى حد ما.(٢٦)

كان على تلك القطاعات وقد استثنيت وأبعدت عن مراكز القوة السياسية والاقتصادية وغدت تابعة لأوامر الملكية المسنودة من الإمبريالية البريطانية، كان عليها أن تفصح عن استياء واسع المدى للتحكم الأجنبى وممالأة الطبقة الحاكمة المحلية للإمبرياليين، وقد أدى هذا إلى صدامات عديدة بين الدولة وأجزاء متعددة فى المجتمع العراقى بما فى ذلك تمردات قبلية فى الفترة من ١٩٣٦ إلى ١٩٤١.(٢٧)

وأعطى نشوب الحرب العالمية الثانية لبريطانيا الفرصة للتدخل فى السياسة العراقية، غير أن هذا جعل الأمور أكثر سوءً، حيث أشعل تكثيف المشاعر المعادية لبريطانيا سلسلة من الإضرابات والمظاهرات والصدامات بين العمال والسلطات.

وقع إضراب فى يوليو ١٩٤٦ فى شركة بترول العراق حيث رفض التصريح بتكوين نقابة، وداهمت الشرطة المسلحة فجأة اجتماعا من أجل الإضراب فى كركوك حيث قتل عشرة أشخاص.. وكانت عمليات القتل فى كركوك فى يوليو ١٩٤٦ هى بادرة العنف الرهيب لعام ١٩٤٨، عام الهبة القومية الكبرى المعروفة باسم "الوثبة".(٢٨)

ويكتب ماريون فاروق سلوجليت وبيترسلوجيت «إن الكراهية التى أُفصح عنها فى المشاهد الفظيعة فى بغداد فى ٢٦ ـ ٢٧ يناير ١٩٤٨ كانت إيذانا بالسخط الشديد القادم.. وقد انتشرت المعارضة العنيفة خلال الربيع والصيف من بغداد إلى خارجها.

من الهبات التى غدت معروفة معرفة جيدة فى تلك الفترة الهبة التى توقفت فيها محطة ضخ البترول العراقى قرب « الحديثة» فى إبريل ومايو ١٩٤٨، بسبب إضراب ٣٠٠٠ عاملا وموظفاً كتابيا، إضراب نظمه الحزب الشيوعى وقد قامت الحكومة وشركة بترول العراق بعد أسبوعين ونصف بقطع إمدادات الغذاء والماء عن المضربين، وقرر الأخيرون بعد ثلاثة أسابيع القيام بمسيرة إلى بغداد التى تبعد عنهم ٢٥٠ كليو مترا.(٢٩)

يقول سلوجليت وسلوجيت «إن العمل الذى اتسم بالتحدى والمعروف بـ «المسيرة الكبرى» كان تعبيراً كبيراً عن التصميم الشعبى للوقوف ضد النظام السياسى حتى فى ظل تفاوتات طاغية.(٣٠)

أخمد القمع الجماهيرى الموجه ضد كل أعداء الملكية وأعداء القوات البريطانية، أخمد الجهود المبذولة للإطاحة بالنظام الدمية إلى حين، إلا أن ارتفاع أسعار الزيت فى الخمسينيات أخذ فى تحويل بنية اقتصاد البلاد بصورة جوهرية فى اتجاه زيادة التجارة والبناء والتشييد والصناعات التحويلية، وقد أدى هذا التوسع إلى ظهور ونموطبقة رأسمالية قومية ذات مصالح متميزة عن مصالح كتلة السلطة القديمة للتجار الكومبرادوريين وملاك الأراضى والتى شكلت قاعدة سلطة الملكية.

وقد أدى نمو النشاط الصناعى إلى توسيع حجم الطبقة العاملة وأدى إلى المزيد من تنظيم العمل بواسطة النقابات والأحزاب الراديكالية مثل الحزب الشيوعى العراقى، ونما عدد عمال الزيت من ٣١٣٧عام ١٩٤١ إلى أكثر من ١٥٠٠٠ عاملا فى أواسط الخمسينيات من القرن العشرين، وزاد عدد العمال الصناعيين إلى أكثر من ١٣٠٠٠٠ عام ١٩٥٤ وكان أكثر من ٤٣٪ منهم فى منشآت تزيد عمالتها عن مائة عامل، وكان

عدد أعضاء الاتحاد العام لنقابات العمال حوالى ٢٧٥٠٠٠ عاملاً[٣١] وغدا الحزب الشيوعى بنمو الطبقة العاملة فى هذه المرحلة قوة سياسية مؤثرة بين العمال، منظما تمركزات العمال الصناعيين الأكبر والأكثر أهمية استراتيجيا، وخاصة فى حقول الزيت[٣٢].

وقد أدى نمو رأس المال القومى وطموحات الطبقات الوسطى فى المجتمع إلى القومية والاستقلال، وتطور طبقة عاملة متزايدة التنظيم والوعى الطبقى، والزحزحة الضخمة للفلاحين المجبرين على الهجرة إلى المدن الكبرى، أدى كل ذلك إلى قلق فى الجيش نتج عنه انقلاب عسكرى عام ١٩٥٨ بقيادة الكولونيل عبد الكريم قاسم.[٣٣]

> **أطيح بالملكية فى يوليو عام ١٩٥٨ ويمكن النظر إلى السنوات العشر التالية باعتبارها فترة تبارى فيها هؤلاء الذين تآمروا للإطاحة بالملكية كى يسيطروا على الجمهورية، وقد أنجزت إصلاحات هامة اجتماعية واقتصادية وسن قانون الإصلاح الزراعى ، وبالتالى ضربت قوة ملاك الأراضى الذين أبقوا على الملكية حية، ولعبت الدولة دورا متزايدا فى توجيه القطاع الصناعى والسيطرة عليه ومزقت الصلات التى كانت تربط العراق بالعالم الغربى[٣٤]**

وبدأ نظام قاسم ممثلا للنظرة القومية للبورجوازية القومية الصغيرة الصاعدة، بدأ فى إعادة بناء الاقتصاد على أسس رأسمالية الدولة التى حمت ودفعت إلى الأمام بمصالح الطبقة الرأسمالية القومية البازغة.

إن التحول فى البنية الطبقية فى العراق فيما بعد انقلاب ١٩٥٨ أثر فى كل فى ملاك الأراضى والرأسماليين الأجانب الذين حطمت سلطتهم السياسية، وأعلن رسميا فى خط مواز للسياسة الاقتصادية القومية للدولة عن برنامج إصلاح زراعى، وجرى تأميم الزيت خلال الستينيات فى القرن العشرين، وسرعان ماتأثرت قطاعات فى الاقتصاد بمرسوم التأميم عندما نقلت شركات الصناعات التحويلية الكبرى[٣٥] والتجارة والمال إلى القطاع العام وكما يشير فران هازلتون فإن:

> **قانون برنامج الإصلاح الزراعى الذى جاء بصورة كبيرة نتيجة جهود الحزب الشيوعى العراقى كان واحدا من أهم إنجازات الثورة، وقد حطم هذا القوة السياسية لملاك الأراضى كما تحطمت أيضا، فى هذا الوقت، قوة البورجوازية الكبيرة، وأعيد بناء القوة السياسية والاقتصادية لمصلحة الحضر والبورجوازية الصغيرة، بينما تمت صيانة مبدأ الملكية الخاصة، وقطعت الثورة العراقية، بالإضافة إلى تلك الإنجازات الصلة مع بريطانيا، وأخرجت العراق من حلف بغداد.[٣٦]**

وبينما ساعد قاسم والنظام القومي الذى يرأسه على تطوير أسس اقتصاد رأسمالي قومي، فإن السياسات التي سنتها الدولة خلال هذه الفترة تصادمت بحدة مع مصالح الإمبريالية والطبقات الرجعية المحلية التي سعت لخلعه من السلطة، وقد أثبت الجناح اليميني البعثي أنه أداة في إنجاز هذه الأغراض، ففي ٨ فبراير ١٩٦٣ أطيح بقاسم بواسطة انقلاب عنيف دموي قادته قوى اليمين البعثية، انقلاب جاء بالرعب والموت لآلاف العراقيين.

ويكتب ى. زهار" إن انقلاب ٨ فبراير ١٩٦٣ الفاشستي والذى جاء بحزب البعث إلى السلطة لقي الترحيب من كل القوى الرجعية وكل أعداء ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨.

> **اتسم الانقلاب بوحشيته البالغة نحو القوى الثورية التي لعبت دوراً أساسياً، أولاً في النضال ضد الكولونيالية والملكية، وأخيراً في الدفاع عن ثورة يوليو ١٩٥٨ وتطويرها.[٣٧]**

ويستمر زاهر ليشير إلى أن "الانقلاب لم يكن مجرد انقلاب رجعي، لقد تم القيام به لإيصال حزب فاشستي النمط -حزب البعث- إلى السلطة"[٣٨]، ويكتب:

> **لقد غدت كل مقرات الحزب القومي في كل المدن مراكز تعذيب، لقد نظر الحزب القومي وسادته البعثيون إلى الحزب الشيوعي العراقي كهدف خاص لجرائمهم البربرية على امتداد البلاد..**
>
> **وقام الحرس القومي مزوداً بأسماء الشيوعيين وأماكن وجودهم بتنفيذ اعدامات عاجلة، وسحب الشيوعيون المحتجزون على الأرض إلى خارج السجون حيث أطلقت النيران عليهم دون تحقيق أولي..**
>
> **وبنهاية حكم البعث، كانت حملة الرعب التي قام بها قد انتزعت حياة ما يقدر بـ ٣٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ شيوعياً.[٣٩]**

إن طبيعة النظام البعثي المغالي في يمينيته خلال هذه الفترة، طبيعته المتطرفة العداء للشيوعية، قد بينت الصفة الطبقية لدولة العراق باعتبارها دولة معارضة بعنف لمصالح العمال والفلاحين، وكذلك كل القوى القومية التقدمية الأخرى، تدعمها نخبة عسكرية بيروقراطية فاشستية.

وبلغ الحكم الوحشي البعثي نهايته بعد تسعة أشهر فقط من إمساكه بالسلطة في ١٨ نوفمبر ١٩٦٣- أمسك العسكريون بالسلطة في انقلاب وضع مرة أخرى الجناح اليساري للقوى القومية البورجوازية الصغيرة، وضعها في موقع السيطرة على جهاز

الدولة ولعب النظام العسكرى الجديد بانتهاجه سياسة تأميم مماثلة لتلك التى اتخذتها الدولة الناصرية فى مصر، لعب دوراً أساسيا فى إعداد المسرح لتطور قومى يقوم على رأسمالية الدولة خلال مجرى الأعوام الخمسة تقريبا التى حكم فيها من ١٩٦٣ الى ١٩٦٨.

إن الأزمة الاقتصادية فى منتصف الستينيات من القرن العشرين، والتى كان يكمن وراءها الهبوط فى عائدات الزيت، أجبرت النظام على زيادة الضرائب، بينما ظلت الأجور والمرتبات راكدة. وأعطى السخط المتنامى فى سياسات النظام العسكرى الموجود فى السلطة وحكمه السلطوى المتزايد الفرصة للجناح اليمينى للضباط العسكريين المتحالفين مع البعث لاستغلال الوضع والقيام بانقلاب فى يوليو ١٩٦٨، كى يعيدوا حكم البعث- انقلاب جاء بـ أحمد البكر وصدام حسين إلى السلطة. ورغم تغير النظام واصلت العراق، على أى حال، التطور على طريق رأسمالية الدولة الذى قوى أكثر فأكثر قوة النخبة البيروقراطية فى ظل العين اليقظة للجيش.

وقد حدثت تقدمات أبعد من تلك التى حدثت فى الفترة من ١٩٦٨ فصاعدا على طريق رأسمالية الدولة عندما زاد عدد المزارع التعاونية والجماعية، وتوسعت الصناعات التحويلية، وصعد نصيب الزيت فى إجمالى الناتج القومى وقد تحققت تقدمات أخرى فى التشييد والتجارة والخدمات.

وقد أدى التوسع الصناعى والتجارى فى العراق فى الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين إلى تطوير البورجوازية المحلية المرتبطة بالصناعة القومية، وبدأت البورجوازية القومية الصناعية الناضجة فى منتصف الثمانينيات فى فرض نفسها على الآخرين، مطالبة خصخصة أكثر للاقتصاد، وبالانفتاح على مشروعات مع رأس المال الأجنبى فى كل من العالم العربى والغرب، ومن ثم دمج نفسها أكثر فأكثر فى الاقتصادى العالمى.

ويقول عباس الناصراوى، "لقد فرضت سياسة تشجيع القطاع الخاص بصورة أكثر فأكثر مع إدخال البرنامج الطموح للتحرير والخصخصة الاقتصادية."[٤٠] ويضيف "إن الإجراءات الجديدة تمثل تحولا للأيديولوجية الرسمية المقدمة منذ مجىء البعث إلى السلطة عام ١٩٦٨".[٤١]

ومن بين التغييرات التى تأثرت بتلك الإجراءات الجديدة كان إلغاء تأميم قطاعات أساسية للاقتصاد وإعادة تنظيم المشروعات المملوكة للدولة وتشجيع رأس المال الخاص.

لقد اشتملت السمات الأساسية للإجراءات الجديدة على بيع أراضى الدولة، المزارع والمصانع إلى القطاع الخاص، وتشجيع المشروع الخاص؛ ونقص تنظيم سوق العمل عن طريق إبطال قانون العمل، واتخذت إجراءات أخرى لإفادة المشروع الخاص مشتملة على إعادة تنظيم مشروعات الدولة، وإعادة بناء الوزارات واللجان، وإنشاء شركات كى تدير مشروعات الدولة، وسن قوانين لإغراء تدفق رأس المال العربى، وإدخال منافسة محدودة فى العمليات المصرفية، وتشجيع المبادرات الخاصة فى الزراعة(٤٢).

وقد أدت التغييرات الاقتصادية التى أتخذتها الدولة فى العراق خلال العقد الماضى أو أكثر، إلى قلق اجتماعى وسياسى بين شريحة متنامية من السكان الذين لم يتحسن وضعهم. وقد أدى ذلك إلى حشد سياسى ونشاط بواسطة مجموعات منظمة متعددة موجهة ضد الدولة المتزايدة السلطوية، والتى غدت قمعية أكثر فأكثر.

إن قهر القوى الشعبية والهجوم على الشيوعين وممارسة حكم ديكتاتورى على الشعب خلال العقدين الماضيين قد تطابق مع أزمة نظام رأسمالية الدولة فى العراق وهو ينتقل إلى مرحلة جديدة من التطور الرأسمالى فى الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين. إن هذه التطورات قد وطدت أكثر فأكثر قبضة الدولة القوية على الشعب، وجرجرت الأمة إلى اتجاه وحشى فاشستى بصورة متزايدة.

خاتمـــــة

إن تجربة سوريا والعراق فى التطور القومى فى مرحلة ما بعد الاستقلال قد شكلتها كل من القوى الداخلية والخارجية التى لعبت دوراً حاسماً فى رسم خريطة مصير هاتين الدولتين فى فترة ما بعد الحرب، إذ بينما حددت السيطرة الإمبريالية على العراق وسوريا خلال فترة الانتداب البريطانى والفرنسى معايير الحياة القومية فى ظل الأوضاع الكولونيالية، فإن البنية الطبيعية الداخلية الموروثة من الفترة العثمانية المبكرة والتى رعتها وقوتها الدول الإمبريالية لما بعد الاستقلال فى هذين البلدين من وقتها حتى الآن.

إن صعود الحركة القومية القائمة على الطبقات الوسطى من المجتمع، والتى وصلت إلى السلطة عبر انقلابات مضادة متتالية لا نهاية لها فى مختلف نقاط تطور دولتى سوريا والعراق عبر العقود العديدة الماضية، إن هذا الصعود قد حدث فى سياق

مجتمع ما بعد الكولونيالية مع علاقات طبقية تقليدية (إقطاعية وشبه إقطاعية) وحديثه (رأسمالية) كان على الدولة في كل من البلدين مواجهتها. وبينما حارب تحالف من القوى الطبيعية الشعبية، عند نقاط مختلفة من النضال القومي، حارب ضد الطبقات المهيمنة المدعومة بالإمبريالية، فإن الدولة التى تسيطر عليها البورجوازية الصغيرة فى كل من البلدين لم تستطع (أو حتى لم ترغب فى) أن تناصر وتدافع عن القضية القومية من أجل إفادة الجماهير العاملة.

وحيث إن الجناحين اليمينى واليسارى لأجزاء البورجوازية الصغيرة داخل قيادة البعث قد فشلا فى بناء مجتمع يقول بالمساواة بين البشر فى فترة ما بعد الاستقلال، فإنهما قد فشلا بالمثل فى محاربة قوى الرجعية الداخلية التى كانت مدعومة من الإمبريالية حتى يروا نجاح مشروع رأسمالية الدولة. إن فشل رأسمالية الدولة فى سوريا والعراق وتبنى هاتين الدولتين لوضع نيوكولونيالى متزايد داخل الاقتصاد العالمى إنما هو ناتج منطقى للمشروع الطبقى الذى خططته قيادة البورجوازية الصغيرة التى اختارت أن تظل فى إطار حدود وتخوم العلاقات الطبقية الرأسمالية الموجودة.

الهوامش

[1] A. Hourani, Syria and Lebanon: A Political Essay (London: RIIa,1946).

[١] أ-هـ. حوراني، "سوريا ولبنان: نبذة سياسية" (لندن: آر أى آى ايه، ١٩٤٦).

[2] Derek Hopwood, Syria, 1945- 1986: Politics and Society (London: Unwin Hyman, 1988) PP. 22-24.

[٢] ديريك هويوود، "سوريا، ١٩٤٥- ١٩٨٦: السياسة والمجتمع" (لندن: أونوين هايمان، ١٩٨٨)، ص. ص. ٢٢- ٢٤.

[3] Nikolaos Van Dam, The Struggle For power in Syria (new York: St. Martin's Press, 1979), p. 18.

[٣] نيكولاوس فان دام، "النضال من أجل السلطة فى سوريا " لـ نيويورك. مطبعة القديس مارتين، ١٩٧٩)، ص. ١٨.

[4] philip S. Khoury, Syria and The French Mandate: The Politics of Arab Nationalism, 1920- 1945 (Princeton: Princeton University Press, 1987), PP. 615- 18.

[٤] فيليب س. خورى، "سوريا والانتداب الفرنسى: سياسات القومية العربية"، ١٩٢٠- ١٩٤٥ (برينسيتون. مطبعة جامعة برينسيتون، ١٩٨٧)، ص.ص. ٦١٥-١٨.

[5] Tabitha Petran, Syria (New York: Praeger, 1972), p. 96.

[٥] تابيثابيتران، "سوريا" (نيويورك: برايجر، ١٩٧٢)، ص. ٩٦.

[٦] المصدر السابق،

[٧] المصدر السابق.

[٨] المصدر السابق، ص. ١٠١.

[٩] المصدر السابق.

[١٠] المصدر السابق، ص. ١٠٢.

[١١] المصدر السابق.

[١٢] هويوود، "سوريا، ١٦٤٥- ١٩٨٦"، ص. ٤٠.

[١٣] المصدر السابق، ص. ٤١.

[١٤] المصدر السابق.

[١٥] المصدر السابق.

[١٦] المصدر السابق.

[17] David Roberts, The Ba'th and the and Creation of Modern Syria (New York. St Martin's Press, 1987), PP. 54- 58.

[١٧] دافيد روبرتس، "البعث وخلق سوريا حديثة" (نيويورك مطبعة القديس مارتين، ١٩٨٧) ص. ص. ٥٤-٥٨.

[18] Fred H. Lawson, "Class politics and State Power in Ba' the Syria," in Power and Stabilety in the Middle East, ed. Berberoglu, PP.. 20- 21.

[١٨] فريد هـ. لاوسون، "السياسة الطبقية وسلطة الدولة فى سوريا البعثية"، فى "القوة والاستقرار فى الشرق الأوسط، تحرير بيربيروجلو، ص.ص. ٢٠-٢١.

[١٩] ووجه انقلاب أولى بقيادة الجنرال الأسد عام ١٩٦٩ بمعارضة شديدة من السياسيين والمجموعات المنظمة وقد حفز ذلك الأسد كى يقوم بحركة أقوى فى انقلاب ثان عام ١٩٧٠، أمن له بفاعلية السيطرة على جهاز الدولة.

[٢٠] بيتران، "سوريا" ص. ص. ٢٥١ . ٥٢.

[21] Elizabeth Longuenesse, "The Class Nature of the State in Syria" Merip Reports 9, no. 4 (May 1979).

[٢١] اليزابيث لونجينيس، "الطبيعة الطبقية للدولة فى سوريا"، تقارير ميريب رقم ٤ (مايو ١٩٧٩).

[22] William Stivers, Supremacy and Oil: Iraq, Turkey, and the Anglo- American World Order, 1918- 1930 (Ithaca: Cornell University Press, 1982).

[٢٢] ويليام ستيفرز، "السيطرة والزيت العراق، تركيا والنظام العالمى الانجلو أمريكى، ١٩١٨. ١٩٣٠" (ويليام مطبعة جامعة كورنيل، ١٩٨٢)

[23] Kedourie, "Great Britain, the Other Powers, and the Middle East Before and After World War I," in Great Powers in the Middle East, 1919-1939, ed. Uriel Dann (New York: Holmes & Meier, 1988), pp. 8-9.

[٢٣] كيدورى، بريطانيا العظمى، والقوى الأخرى، والشرق الأوسط قبل وبعد الحرب العالمية الأولى"، فى "القوى العظمى فى الشرق الأوسط، ١٩١٩- ١٩٣٩"، تحرير يوريل دان (نيويورك هولمز وميير، ١٩٨٨) ص. ص. ٨-٩.

[24] Joe Stork, "Class, State and Politics in Iraq," in Power and Stability in the Middle East, ed. Berberoglu, p. 31.

[٢٤] جوستورك، "الطبقة، الدولة والسياسة فى العراق."فى "السلطة- والاستقرار فى الشرق الأوسط"، تحرير بيربيروجلو، ص. ٣١.

[٢٥] المصدر السابق، ص. ص. ٣١- ٣٢.

[٢٦] المصدر السابق، ص. ٣٢.

[27] Hanna Batatu, The Old Social Classes and the Revolutionary Movements in Iraq (Princeton: Princeton University Press, 1978).

[٢٧] هانا باتاتو، "الطبقات الاجتماعية القديمة والحركات الثورية فى العراق" (برينسيتون: مطبعة جامعة برينسيتون، ١٩٧٨).

[28] Marion Farouk-Sluglett and Peter Sluglett, "The Social Classes and the Origins of the Revolution," in The Iragi Revolution of 1958, ed.

Robert A. Fernea and Wm. Roger Louis (New York: I.B. Tauris, 1991), pp. 126-27.

[٢٨] ماريون فاروق سلوجليت وبيتر سلوجليت، "الطبقات الاجتماعية وأصول الثورة" فى "الثورة العراقية عام ١٩٥٨، "تحرير، روبرت أ. فرنيا و وم. روجر لويس (نيويورك: أ.ب. تاوريس، ١٩٩١) ص.ص. ١٢٦-٢٧.

[٢٩] المرجع السابق، ص. ١٢٧.

[٣٠] المرجع السابق.

[31] Fahim Qubain, The Reconstruction of Iraq, 1950- 57 (New York: Praeger, 1958): E.A. Finch,"Social Effects Of the Oil Industry in Iraq," International Labour Review, March 1957. and Kathleen Langley, The Industrialization of Iraq (Cambridge: Harvard University Press, 1961).

[٣١] فهيم كوباين. "إعادة بناء العراق، ١٩٥٠- ١٩٥٧" (نيويورك. برايجر. ١٩٥٨): أ.أ فينش، "التأثيرات الاجتماعية لصناعة الزيت في العراق". انترناشيونال لابور ريفيو، مارس ١٩٥٧؛ وكاثلين لانجلي، "تصنيع العراق (كمبريدج. مطبعة جامعة هارفارد، ١٩٦١).

[٣٢] باتاتو. "الطبقات الاجتماعية القديمة والحركات الثورية فى العراق".

[33] Marion Farouk-Sluglett and Peter Sluglett, "Iraq Since 1958: From Revolution to Dictatorship" (London: KPI, 1987), 47-55.

[٣٣] ماريون فاروق سلوجليت وبيترسلوجليت، "العراق منذ ١٩٥٨. من الثورة إلي الديكتاتورية" (لندن بى أى ١٩٨٧)، ص.ص. ٤٧-٥٥.

[34] Tim Niblock, introduction to Iraq: "Contemporary State,ed." Tim Niblock (New York: St. Martin's Press, 1982), P.4.

[٣٤] تيم نيبلوك، مقدمة ل، "العراق: الدولة المعاصرة" تحرير تيم نيبلوك (نيويورك. مطبعة القديس مارتين، ١٩٨٢، ص. ٤.

[35] Majid Khadduri, Republican Iraq (London: Oxford University Press, 1969).

[٣٥] ماجد خادُورى، "العراق الجمهورية" (لندن: مطبعة جامعة أوكسفورد، ١٩٦٩)

[36] Fran Hazelton, "Iraq to 1963," in "Saddam's Iraq: Revolution or Reaction?" ed. Committee Against Repression and for Democratic Rights in Iraq (CARDRI) (London: Zed Books, 1989), pp. 26-27.

[٣٦] فران هازلتون، العراق حتى عام ١٩٦٣"، في "عراق صدام: ثورة أم رجعة؟" تحرير اللجنة ضد القهر ومن أجل الحقوق الديمقراطية في العراق (لندن: كتب زد، ١٩٨٩)، ص.ص. ٢٦- ٢٧.

[37] U. Zaher, "Political Developments in Iraq 1980,"in Saddam's Iraq:" Revolution or Reaction?, ed. CARDRI, P. 30.

[٣٧] ى. زاهر، "التطورات السياسية في العراق- ١٩٦٣- ١٩٨٠"، في "عراق صدام: ثورة أم رجعة"؟ تحرير اللجنة ضد القهر...، ص. ٣٠.

[٣٨] المرجع السابق، ص. ٣١.

[٣٩] المرجع السابق، ص. ص. ٣١ – ٣٢.

[40] Abbas Alnasrawi,"Economic Devastation, Underdevelopment and Outlook,"in "Iraq Since the Gulf War," ed. Fran Hazelton Hazelton (London: Zed Book, Zed Books, 1994),P.74.

[٤٠] عباس الناصراوي" التخريب الاقتصادي، التخلف والترقب،" في "العراق منذ حرب الخليج"، تحرير فران هازلتون (لندن: كتب زد، ١٩٩٤)، ص. ٧٤.

[٤١] المرجع السابق.

[٤٢] المرجع السابق.

الفصل الخامس

المسألة القومية فى الشرق الأوسط
النضالات الفلسطينية والكردية من أجل تقرير المصير القومي

كانت المسألة القومية هى الميراث الذى ظل باقيا منذ تحلل الإمبراطورية العثمانية وانهيارها فى بداية القرن العشرين. إن تقسيم الإمبراطورية بواسطة القوى الغربية فى نهاية الحرب العالمية الأولى قد أدى إلى تشظى شعوب الشرق الأوسط، مما أوجد المشكلة القومية لكل من الفلسطينيين والأكراد.

إن تقسيم الأراضى العثمانية على الجناح الجنوبى من "آسيا الصغرى" فى قلب "الهلال الخصيب" إلى سلسلة من المراكز الأمامية التى تضع فى المقدمة المصالح الجيوبوليتيكية الغربية فى الشرق الأوسط، قد أوجد فيما بين الدول نظاما مصطنعًا أنكر على الشعبين الفلسطينى والكردى حقهما فى تقرير المصير القومى، إن هذا الإنكار التاريخى لحق الوطن القومى للفسطينيين والأكراد قد حفز بزوغ حركات قومية فلسطينية وكردية.

فلسطين والفلسطينيون

وقع إقليم ساحلى موسر من الإمبراطورية العثمانية -هو فلسطين- وقع تحت الحكم البريطانى بعد الانهيار العثمانى فى نهاية الحرب العالمية الأولى. إن الانتداب البريطانى الذى سيطر على الأراضى الممتدة من العراق إلى الأردن إلى فلسطين أجبر السكان المحليين (العرب) لفلسطين على الحياة فى ظل ما تمليه بريطانيا حتى منتصف القرن العشرين، ومع وصول أعداد متزايدة من المهاجرين اليهود من أوروبا، خلال الانتداب البريطانى، بلغت المزاحمة الاثنية بين العرب واليهود قمما جديدة فى فلسطين، وقد غذت الأهداف الصهيونية هذه المزاحمة بغرض تأمين وطن قومى لليهود فى فلسطين بعد رحيل البريطانيين من هذه الأراضى، وغادر البريطانيون بالفعل، ونجحت الصهيونية فى إقامة دولة يهودية بعد الحرب العالمية بفترة قصيرة، إلا أن ذلك كان علامة أيضا على بداية النزاع العربى- الإسرائيلى المتمركز حول القضية الفلسطينية، نزاع نشأ من سلب وطرد الشعب العربى المحلى فى فلسطين.[١]

لقد كان الفلسطينيون إلى حد كبير فى ظل الحكم العثمانى جزءًا من سكان ريفيين فلاحين. ويكتب جوردون ويلتى: "كانت غالبية الفلسطينيين فى القرن التاسع عشر من الفلاحين إلى حد كبير جداً، ربما أكثر من ٨٠٪ منهم، وكانت بعض الزراعة تقوم على المشاركة فى المحصول، مع اقتسام المحصول الزراعى بين الفلاح ومالك أرض مملوكة

للدولة (الميرى). كان الكثير يقوم على الحيازة الصغيرة للأراضى الأميرية[٢]. ومع زيادة تحويل الزراعة الى سلعية بدأت المحاصيل النقدية في الحلول محل الإنتاج المعيشى، وكانت نتيجة ذلك أن البنية الاقتصادية- الاجتماعية الريفية بدأت تمر بعملية تحول. لم يكن كل الفلسطينيين على أي حال مرتبطين بالقطاع الزراعي، كان جزء صغير من المحظوظين القلائل يعيش في المدن: "كانت المدن هي موطن النخبة الفلسطينية (الأفندية) ملاك الأراضي المختلفة، وكذلك بالمثل الإنتليجنسيا، فى نهاية القرن التاسع عشر".[٣]

وجاء مع تطور الصناعة تغيير فى بنية قوة العمل عندما سعى عدد متزايد من الفلاحين الى التوظف بالعمل المأجور فى المناطق الحضرية التى كانت تتسع على الدوام، ولذا فإن السكان الفلسطينيين فى منتصف القرن، غدوا أكثر تنوعا بصورة متزايدة على امتداد خطوط مهنية حضرية.[٤]

ودُفع -فى الفترة التى تلت تأسيس دولة إسرائيل- دُفع ملايين الفلسطينين إلى المنفى كلاجئين فى الدول العربية المجاورة. وتكتب باميلا آن سميث، "رغم أن بعض الميسورين الفلسطينين الذى يتمتعون بعلاقات عائلية أو علاقات عمل فى أجزاء أخرى من العالم العربى، كانوا قد بدأوا فى ترك فلسطين بعد فترة قصيرة من مطالبة الجمعية العامة للأمم المتحدة بتقسيم البلد فى نوفمبر ١٩٤٧. وكانت الغالبية الساحقة من اللاجئين قد غادرت بعد نشوب القتال بين الهاجاناه- الجيش اليهودى السرى- والفلسطينيين غير النظامين، وفيما بعد، بعد ١٤ مايو ١٩٤٨ خلال المعارك بين الهاجاناه والفيلق العربى (شرق الأردن) وجيوش مصر وسوريا والعراق.[٥]

> **بحث الكثيرون عن السلامة بداءة فى لبنان وسوريا أو أجزاء اخرى من فلسطين، وخاصة أثناء القتال العنيف فى الجليل فى ربيع ١٩٤٨، وبعد المذابح التى قتل فيها ٢٥٤ قرويا فى دير ياسين فى إبريل من ذلك العام، وقد هرب آخرون إلى الضفة الغربية وشرق الأردن بعد دخول الفيلق العربى، يبحثون عن مأوى فى الأراضى التى فى يد القوات الأردنية وقد بحث آخرون كان منهم العديدون فى يافا، ومناطق الساحل الجنوبى، بحثوا عن حماية الجيش المصرى وهربوا إلى قطاع غزة أو إلى مصر ذاتها.[٦]**

إن أكثر من مليون فلسطينى قد لجأوا، خلال هذه الفترة، إلى الأردن، بينما دفع بنصف مليون إلى لبنان، وأكثر من ثلاثمائة ألف إلى الكويت، وربع مليون تقريبا الى سوريا، وتشتت نصف مليون آخر فى باقى أنحاء العالم، بما فى ذلك عدد من الدول العربية الأخرى، وأوروبا والولايات المتحدة. هنالك الآن حوالى خمسة ملايين فلسطينى

عبر العالم، مع وجود أكثر من نصف مليون فى غزة، وأكثر من مليون فى الضفة الغربية، وأكثر من ثلاثة أرباع المليون داخل إسرائيل ذاتها.[٧]

ويلاحظ سميث أن الغالبية العظمى من اللاجئين الفلسطينيين، كانوا إما فلاحين أو يمتلكون منازلهم وأرضهم فى فلسطين، أو مزارعين مستأجرين ومشاركين فى المحصول يفلحون قطع أرض فى أو قرب قراهم الأصلية".

> **كان الفلاحون على غير مثال هؤلاء الذين مارسوا حياة حضرية وتلقوا تعليما وكان لديهم عقود عمل بالخارج: كانوا محرومين بصورة متفردة لأن مصدر معاشهم -الأرض- كانت قد فقدت. وبينما استطاع قليلون الهرب بماشيتهم وحاجيات أسرهم وبعض الأدوات الزراعية، فإن افتقاد الأرض الزراعية المناسبة فى البلدان المجاورة التى لجئوا اليها، مع وجود معدلات عالية نسبيا من البطالة الموجودة بالفعل فى القطاع الزراعى فى الدول المضيفة، كان يعنى أن غالبية الفلاحين اللاجئين، كانوا عاجزين عن تفادى الفقر وفقدان المهارات الذى تسبب فيه الحجز فى المعسكرات عبر السنوات أو ربما العقود[٨].**

ويكمل سميث "إن هؤلاء الفلسطينيين الذين تشكلت أرصدتهم من ملكية متحركة أو مهارات يمكن نقلها، كانوا، فى تناقض مع الفلاحين، قادرين على صنع حياة جديدة فى المنفى، والتى تفوقت مع الوقت والجهد على معايير الحياة التى كانوا يتمتعون بها فى فلسطين.

> **وكانت نتيجة الرخاء الاقتصادى زمن الحرب والذى جاء من عائد العقود الحكومية الضخمة مع البريطانين وبداية تصدير الزيت من حيفا، كانت النتيجة ارتفاعا هاما فى الصادرات الزراعية إلى أوروبا، وقيام أشكال مشتركة من الأعمال، وجَمّعَ عدد كبير من التجار الفلسطينيين ثروة كبير فى شكل حصص وأسهم وايداعات مصرفية، نقدا، واستثمارات مالية فى الخارج.[٩]**

كان إجمالى رأس المال المملوك فى فلسطين عام ١٩٤٥، طبقا لمسح أعدته حكومة فلسطين عام ١٩٤٦، كان حوالى ٢٨١ مليون جنيها فلسطينيا، وكانت ١٣٢,٦ مليون جنيها فلسطينيا منها مملوكة للسكان من اليهود، كانت ٧٤,٨ مليون جنيها فلسطينيا مستثمرة فى الأرض، و ١٣,١ مليون جنيها فلسطينيا مستثمرة فى الأبنية الزراعية والأدوات والمواشى و ٤٤,٧ مليون جنيها فلسطينيا مستثمرة فى الصناعة والأسهم والسلع أو مستثمرة فى الخارج.[١٠] ولذا، كما يشير سميث، فإن "حوالى ٤٤,٧ مليون جنيها فلسطينيا (١٧٩ مليون دولار أمريكى بسعر صرف عام ١٩٤٥) كانت فى صورة

رأس مال أو حوالى ١٦٪ من إجمالى رأس المال المملوكة فى البلد، كانت بيد السكان غير اليهود فى شكل أصول يمكن تحويلها إلى الخارج.(١١)

> **كانت الأرصدة المودعة فى حسابات استرلينية فى لندن سهلة المنال لهؤلاء الذين أُجبروا على المنفى المفاجئ، وكان الإفراج عن الحسابات المجمدة فى الفروع الفلسطينية لبنك باركليز والبنك العثمانى، إثر مفاوضات دولية، فى أوائل الخمسينيات قد قدم مبالغ إضافية لإعادة بناء حيوات فى الشتات، وقد قدر نقل حوالى ١٠ مليون جنيه إسترلينى إلى الأردن، فى شكل إيداعات بنوك ونقدية خلال ذات الفترة (إن حجم مثل ذلك المبلغ يمكن قياسه بحقيقة أن ذلك الرقم ساوى الكمية الإجمالية للنقود المتداولة فى مملكة الهاشميين فى ذلك الوقت).**
>
> **إن هذه المقادير مكنت العديد من الفلسطينيين من الاستثمار فى أعمال جديدة، أو أن يعيدوا شركاتهم فى البلاد العربية المجاورة.(١٢)**

وبذا، فانه بينما وفر الفلاحون المنفيون وسكان المعسكرات المهمشين الجنود المشاه لمنظمة التحرير الفلسطينية في النضال التحريرى، فان بورجوازية الشتات لعبت دوراً أساسياً فى تمويل منظمة التحرير الفلسطينة حتى تؤدى مقاومتها المسلحة. وبينما حافظت القاعدة الجماهيرية المجردة من الملكية لمنظمة التحرير الفلسطينية على الوضع الثورى، فإن القطاعات المنفية الموسرة من الحركة نجحت من خلال عضلاتها المالية فى إيجاد تأثير محافظ على منظمة التحرير الفلسطينية للإبقاء عليها داخل حدود علاقات اجتماعية اقتصادية مقررة. إن هذه الاتجاهات المتناقضة داخل المنظمة حددت الطبيعة الطبقية للحركة كما هى معلنة فى أعلى مستويات القيادة التنظيمية، وأرست السياق الجارى للاتجاه المستقبلى لمنظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها منظمة معبرة عن حركة قومية تناضل من أجل التحرير.

أصول الحركة القومية الفلسطينية

لقد ظهرت الحركة القومية الفلسطينية فى أوائل القرن العشرين بعد انهيار الدولة العمثانية خلال الحرب العالمية الأولى. ورغم أن الاضطراب فى فلسطين والموجه ضد الدولة العثمانية الاستبدادية والتعدى الصهيونى على حقوق الغير فى المنطقة، قد بدأ مبكرا فى القرن الماضى، فإنه غدا أكثر تكثيفا خلال الاحتلال العسكرى البريطانى

لفلسطين فيما بعد الحرب العالمية الأولى، ثم غذاه خلق القوى الغربية لدولة اسرائيل، بعد النصر على ألمانيا النازية عند نهاية الحرب العالمية الثانية، غذاه بالمزيد والمزيد.

وقد ظهر رد الفعل الأساسى ضد الاحتلال البريطاني من سخط الكتل الفلسطينية ضد بنية السيطرة فى ظل الحكم البريطانى، وقد أدى هذا، مقترنا بصعود أعمال التحرش الصهيونى المسلح ضد الفلسطينيين خلال الحكم البريطانى، أدى إلى تقوية الحركة القومية الفلسطينية.

ويكتب جوردون ويلتى، "أما وقد غدت المعارضة الفلسطينية كثيفة بصورة متزايدة فقد اتبعت بريطانيا بنجاح سياسة فرق- تسد.(١٤)

> **كانت مصالح بريطانيا فى فلسطين مصالح جيوبوليتكية تقوم بحماية الجناح الشمالى الشرقى لقناة السويس، والتى كانت لندن تنظر إليها باعتبارها شريان حياة الأمبراطورية البريطانية وقد بين الجنرال العثمانى جمال باشا للبريطانيين فى يناير ١٩١٥، أن فلسطين فى ظل حكم معادى يمكن أن تكون قاعدة هجوم على القناة. إن ما يخدم المصالح البريطانية أفضل خدمة هو أرض غير موحدة اثنيا الى حد كبير حتى يكون التهديد بتقرير المصير حقيقيا.(١٥)**

ومن ثم، عززت بريطانيا من خلال وعد بلفور إقامة دولة يهودية مستقلة فى فلسطين، سوف تقسم الأرض بشكل مؤثر على امتداد خطوط اثنية، وتخلق بهذه الطريقة منافسة ونزاعا بين المجتمعات العربية واليهودية من أجل المزيد من السيطرة على المنطقة. ويشير ويلتى إلى أن سياسات فرق تسد البريطانية "لم تكن قاصرة على تحريك التوترات ما بين المجتمعات، لقد حركت المنافسة أيضا بين "الأفندية الفلسطينيين بالمثل".

> **لقد كانت سياسة العثمانيين تقوم على موازنة مصالح المجموعات الفلسطينية المختلفة ضد بعضها البعض، وكثفت السياسة البريطانية هذه المنافسة بإيقاع الواحدة منهم بالأخرى، وخاصة أنهم قاموا بتحريض عائلة الحسينى ضد عائلة النشاشيبى بما لا يفيد البتة أيا منهما.(١٦)**

إن التقسيمات التى أثيرت بين النخب العربية الفلسطينية، وكذا بالمثل بين النخب والكتل أمدت السيطرة البريطانية بالمزيد من التكثيف، إلا أن ذلك أدى أيضا إلى مقاومة واسعة الانتشار للحكم الكولونيالى.

وقد زادت المقاومة الفلسطينية ضد سلطة الانتداب البريطانى كثيرا فى أوائل الثلاثينيات، مع تكوين أول حزب سياسى فلسطينى خالص عام ١٩٣٢" حزب الاستقلال". وقد قادت الدعوة إلى إضراب عام أواخر ١٩٣٢ إلى مواجهة مباشرة وإراقة للدماء وتبع ذلك تكوين حشد من الأحزاب السياسية الفلسطينية، اشتمل على الحزب العربى، وحزب الدفاع الوطنى وحزب الإصلاح الوطنى. وكان الاضطراب الذى جاء فى أعقاب ذلك، خلال السنوات التالية التى تم فيها التجذير السياسى للسكان، والذى أدى إلى إضراب عام فى إبريل ١٩٣٦، ثم كان التمرد الفلسطينى الكبير ١٩٣٦- ٣٩[١٧] وكما يشير باروك كيمر لينج وجويل س. ميجدال فإن:

> **التمرد العربى الكبير فى فلسطين -كما أسماه العرب- كان الهبة العنيفة المستمرة الأولى للحركة القومية الفلسطينية، والحدث الكبير الأول من هذا النوع منذ عام ١٩٣٤.. لقد حشدت الهبة آلاف العرب من كل طبقات المجتمع، من كل البلد، مبشرة بظهور حركة قومية بطرق لا يمكن أن تحققها ببساطة أحداث معزولة ومندوبون رسميون.[١٨]**

ويواصل كيمرلينج وميجدال على أى حال، "لقد آثار هذا أيضًا حشدا مضادا غير مسبوق".

> **وصب البريطانيون -وقد ادهشتهم صلابة هذا الحشد وتماسكه- عشرات الآلاف من القوات في فلسطين عشية الحرب العالمية الثانية، وشرع الصهاينة فى عسكرة حركتهم القومية إذ بلغ عدد اليهود تحت السلاح عند نهاية التمرد حوالى ١٥٠٠٠ فرداً ودشنت ثقافة لسياسة يهودية عسكرية متزايدة ساهمت فى الأربعينيات فى إصدار قرار بن جوريون، وقادة صهاينة آخرين بالاستعداد لصراع عسكرى ضد العرب، فضلا عن ذلك الذى ضد البريطانيين.[١٩]**

واشتمل رد الفعل البريطانى على المد الصاعد للقومية الفلسطينية على المزيد من القبض على القادة الفلسطينيين، والقهر المتزايد للسكان العرب الفلسطينيين ويشير ويلتى إلى تصاعد الإرهاب الصهيونى، فى تلك الأثناء:

> **بدأت الأرجون (المنظمة العسكرية القومية ذات النسق الخاص والتى خرجت من الهاجاناه عام ١٩٣٥) فى قذف الأهداف المدنية الفلسطينية عام ١٩٣٨ وعندما خمد التمرد الكبير فى أواخر ١٩٣٩ نزعت سلطة الانتداب سلاح الفلسطينيين بعناية ودقة أما الصهاينة فلم تنزع سلاحهم.[٢٠]**

وأعطى هذا قوة دافعة للصهيونية للمزيد من تسليح أنفسهم والاستعداد للإمساك بسلطة الدولة، وقد أدى هذا العمل كما يقول ويلتى، إلى "الطرد الواسع للفلسطينيين من منازلهم وتدمير قراهم وإخلاء الأرض أمام المساعى الصهيونية وأجبرت أعمال العنف قرى بكاملها على الإذعان والتسليم، وفى إبريل ١٩٤٨ قبل نهاية الانتداب البريطانى مباشرة:

ذبحت الأرجون تحت قيادة مناحم بيجن ٢٥٤ فلسطينيا رجلا وامرأة وطفلا فى قرية دير ياسين "المسالمة" قرب أورشليم، ثم حشوا آبار القرية بالأجساد المشوهة فى ممارسة لطقوس التلوث، وقام الصهاينة، تاليا لذلك، بنشر هذا الإثم الفظيع ووعدوا بالمزيد؛ وبدأ الفلسطينيون فى الفرار جملة من دورهم.(٢١)

وسرعان ما نشبت الحرب بعد هذا الجرم الوحشى بين الصهاينة والقوات العربية، مما أدى إلى المزيد من الإزاحة، إزاحة أكثر من ٧٠٠ ألف فلسطينى. إن العدد الإجمالى للفلسطينيين المزاحين والذى تشتتوا فى الدول العربية المجاورة شكل ٦٠ ٪ من ١.٣ مليون مسلم ومسيحى كانوا يقيمون فى فلسطين قبل ١٩٤٨.(٢٢)

يطلق الفلسطينيون على حرب ١٩٤٨ "النكبة" وهو توصيف يطابق المقتضى. تمزق مجتمعهم، ووضع الذين أفلتوا من الرعب الصهيونى فى معسكرات لاجئين فى لبنان والأردن وغزة، وأزيلت مئات القرى الفلسطينية- سويت بالأرض- وأخضع هؤلاء الفلسطينيون الذين سمح لهم بالبقاء فى اسرائيل بعد عام ١٩٤٨ لاحتلال عكسرى.(٢٣)

ومن ثم، أجبر الفلسطينيون عبر عملية الإزاحة وحكم دولة المستوطنين الكولونيالية، إلى التخلى عن هويتهم القومية والتحول إلى أقلية فى وطنهم الأصلى.

القومية الفلسطينية والنضال من أجل التحرر القومى

عبرت القومية الفلسطينية عن نفسها خلال الخمسينيات والستينيات من هذا القرن عبر أعمال منظمات عديدة، عملت فى الشتات. وقد اشتملت تلك على حركة القوميين العرب والتى أسسها جورج حبش فى أوائل الخمسينيات، و"فتح" التى أسسها ياسر عرفات فى أواخر الخمسينيات وظهرت فيما بعد فى منتصف الستينيات منظمة التحرير

الفلسطينية كمنظمة مظلة، وحدت معا مختلف الاتجاهات السياسية فى الشتات، وحددت طبيعة النضال التحررى خلال الستينيات.

إن ظهور منظمة التحرير والوجود المتواصل لفتح كانا سببا فى صعود "الجبهة الوطنية لتحرير فلسطين"، والتى قامت بعمليات عسكرية ضد إسرائيل ابتداء من منتصف الستينيات وقد قام عدد من منظمات أخرى بعمليات مسلحة لفدائيين فلسطينيين ضد اسرائيل خلال الستينيات، وكانت فتح من بين هؤلاء هى المعروفة بصورة جيدة.

> **أخذت فتح المبادرة فى تجاهل آلية منظمة التحرير الفلسطينية التى تفتقد خفة الحركة وشرعت فى صدام مسلح باعتبارها حركة فلسطينية قومية معترف بها، مستقلة عن الدول العربية.. كانت الدول العربية معارضة لمثل هذا العمل إلى الحد الذى تحس فيه بأنها غير مستعدة لمواجهة مسلحة مع إسرائل أو أنها لا تريد مثل هذه المواجهة.[٢٧]**

ويكتب ويلتى، "حيث إن التوترات بين البلدان العربية وإسرائيل صعدت، على أى حال، خلال منتصف الستينيات، فإن حركة التحرير الفلسطينية فى الشتات عكست التباسات سوف تحل فقط بعد حرب ١٩٦٧.[٢٨]

إن هزيمة الدول العربية فى حرب الأيام الستة، والتى قللت من مصداقية رابطة المتحدثين بالعربية داخل الحركة الفلسطينية، والطبيعة الوطنية والعسكرية الخالصة لفتح، والتى كانت تفتقد إلى القاعدة الجماهيرية، قد أدت إلى تأسيس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين فى أواخر عام ١٩٦٧.

> **وقد تمتعت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين برؤية أكثر تطورا للنضال التحررى، وهنالك الآن أربع قوى تعارض تقرير المصير الفلسطينى هى دولة إسرائيل، الحركة الصهيونية العالمية، الإمبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة والرجعية العربية.[٢٩]**

وغدت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والمجموعة التى خرجت منها، فيما بعد، الجبهة الديمقراطية الشعبية لتحرير فلسطين هما المناظر المباشر لفتح، يتنافسان على الدعم بين الكتل الفلسطينية. إن البؤرة السياسية الحادة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وللجبهة الديمقراطية الشعبية لتحرير فلسطين بتوجهها الأيديولوجى الماركسى- اللينينى، خدم فى تميزهما عن المنظمات الأخرى داخل المقاومة الفلسطينية وقد لعبا فى غضون فترة قصيرة دورا بارزا داخل حركة الكتل.[٣٠]

وغدت منظمة التحرير الفلسطينية على المستوى العريض فى أوائل السبعينيات الممثل لغالبية المنظمات الفلسطينية النشطة فى الحركة القومية. وكانت هذه أيضا فترة نمو للحركة الفلسطينية، فترة شهدت مناقشات متصاعدة وحوارا بين مختلف منظمات الحركة حول المجرى المستقبلى للمقاومة. وبينما قوت تلك من قبضة منظمة التحرير الفلسطينية والقضية الفلسطينية، فإنها طرحت تحديا أمام الدول العربية التى رغبت فى تعزيز مصالحها القومية، وكان ذلك تطورا أدى إلى نزاع مفتوح وحشى بين منظمة التحرير الفلسطينية وبعض الدول العربية، نزاع بلغ ذروته فى مذبحة ١٩٧٠ الأردنية، والتى عرفت باسم أيلول الأسود، عندما شن جيش الملك حسين هجوما عنيفا على الفلسطينيين لتدمير قوتهم ونفوذهم المتنامیین فی البلاد.[٣١]

إن انتقال قاعدة منظمة التحرير الفلسطينية من الأردن إلى لبنان بعد تلك المذبحة وعمليات الطرد فى الأردن لم تنه كوارث منظمة التحرير، على أى حال، حيث انغمست فى الحرب الأهلية اللبنانية فى منتصف السبعينيات إذ بينما دعم الجناح اليسارى فى الحركة القوى التقدمية بقيادة كمال جنبلاط والجبهة الوطنية اللبنانية، فإن آخرين اختاروا أن يظلو خارج النزاع تجنبا لأردن أخرى، ومع ذلك فإن منظمة التحرير الفلسطينية لم تستطع فصل نفسها عن الحرب الجارية فى لبنان والتى استهلكت جهودها لما يقرب من عقد وأعاقت الحركة للعديد من السنوات.

إن تشابك منظمة التحرير الفلسطينية بالحرب الأهلية اللبنانية ووضعها الاستراتيجى فى لبنان كقاعدة لعملياتها السياسية العسكرية ضد إسرائيل كلف منظمة التحرير الفلسطينية هزيمة أخرى، عندما غزت إسرائيل لبنان عام ١٩٨٢.[٣٢] إن طرد قيادة منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان، الذى تلى كثف قهر الفلسطينيين فى "الأراضى المحتلة" وأدى إلى ذبح الآلاف من الفلسطينيين فى صابرا وشاتيلا، فى معسكر اللاجئين فى لبنان، وهى مذبحة صممت لاستئصال آخر آثار نفوذ منظمة التحرير الفلسطينية فى البلاد.

ورغم كل المعوقات والهزائم التى عانتها منظمة التحرير الفلسطينية خلال السبعينيات وأوائل الثمانينيات، فإن الحركة القومية حافظت على زخمها فى مواصلة نضالها من أجل تقرير المصير القومى. إن قهر الشعب الفلسطينى وقيادته فى كل من لبنان والأراضى المحتلة بعد غزو لبنان لم يمنعه من النضال من أجل حقوقه المشروعة[٣٣]. إن مثل ذلك القهر قد زاد فى الحقيقة من عزمه على النهوض فى احتجاجات جماهيرية ضد هذا القهر. ففى الهبة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٨٧

(الانتفاضة) ثار عشرات الآلاف من الفلسطينيين فى غزة والضفة الغربية ضد حكم القهر الإسرائيلى فى الأراضى المحتلة[٣٤]. إن هذه الهبة الشعبية داخل حدود إسرائيل، فيما بعد حرب ١٩٦٧، قد قوت قضية الحركة الفلسطينية فى المطالبة بحل دائم للاحتلال عبر الحكم الذاتى المحلى.

إن مثل هذه الاتفاقية قد تم التوصل إليها فى منتصف التسعينيات تقريبا، عندما انتقل حكم الأراضى المحتلة إلى السلطة الفلسطينية، غير أن الطبيعة المحدودة للتنازلات الإسرائيلية فى الاعتراف بالحكم الذاتى المحلى فى غزة والضفة الغربية، وبالمثل البناء المستمر لمستوطنات إسرائيلية جديدة هناك قد عقدت احتمالات حل سلمى طويل الأمد للقضية الفلسطينية.

إن القومية الفلسطينية والحركة القومية قد مرتا عبر طريق طويل خلال العقود القليلة الماضية، ورغم عمليات الطرد والمذابح والتدمير التى عاشها الفلسطينيون عبر مجرى نضالهم من أجل وطن قومى فإنهم مصممون على القتال من أجل حقوقهم لتحقيق تقرير المصير القومى مهما اقتضاهم الأمر لإنجاز هذا الهدف.

كردستان والأكراد

استوطن الشعب الكردى منذ قرون سابقة على الهجمة العنيفة للإمبراطورية العثمانية ما أصبح الآن ركنا حيويا فى الشرق الاوسط، ممتدا من جبال وتلال الأناضول الشرقية حتى الطرف الشمالى لوادى ما بين النهرين. إن الغزو العثمانى لهذه الأراضى فى القرن السادس عشر جاء معه بتحول اجتماعى، عبر مجرى القرون الأربعة التالية، غير بعمق بنية العلاقات الاجتماعية للمجتمع الكردى.[٣٥]

> **بعد أن هزم العثمانيون الأكراد فى القرن السادس عشر أقاموا نظاما إقطاعيا على امتداد الأراضى الكردية، وقد ظل هذا النظام سائدا فيما بعد رغم تعديله بواسطة الأحوال التاريخية المتغيرة، لقد نافس الأغوات القبليون (ملاك الأراضى) الواحد منهم الآخر من أجل السلطة والنفوذ. وكان هؤلاء المتنافسون ينظرون إلى نزاع أحدهم ضد الدولة المركزية باعتباره فرصة لإضعافه، إن هذه المنافسات التقليدية حدثت فيما بعد انحيازات سياسية فى كل من العراق وكردستان التركية، ولذا فإن الأحوال التاريخية المواتية للتماسك الاثنى بين الشعب الكردى كانت موجودة فقط فى شكل أولى فى كردستان قبل تكوين دول الشرق الاوسط الحديثة.[٣٦]**

وغدت الأراضى التى يقطنها الأكراد -فيما بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية- خاضعة لولاية القوى الغربية أولا، ثم أخيراً للدول التى تكونت فيما بعد الاحتلال الأوروبى وغدت كردستان، بهذه الطريقة، تحت الحكم النهائى للدول القومية البازغة حديثاً، دول تركيا والعراق وسوريا، وكذا إيران بالمثل.

> **إن الوضع بعد الاستسلام العثمانى كان أى شىء غير أن يكون مواتيا للأكراد، حيث ظل الجزء الأساسى من كردستان فى إيران بالفعل تحت حكم الفرس منذ عام ١٩٢٩، وغدا جنوب كردستان والذى كان مطابقا تمام المطابقة لإقليم الموصل العثمانى السابق، غدا تحت الحكم البريطانى، وغدت كردستان التركية وجنوب كردستان هى مسرح المحاولات الكردية الفاشلة لتحقيق الاستقلال.[٣٧]**

إن الأرض التى تغطى كتلة مساحتها ٤١٠٠٠٠ كيلو مترا مربعا تقريبا -أرض كردستان- يسكنها (فى منتصف التسعينيات من القرن العشرين) من ٢٢ إلى ٢٥ مليون كردياً يدعونها وطنهم. إن لدى تركيا، داخل حدودها، حوالى نصف إجمالى السكان الأكراد (أى ١٩٤٠٠٠ كيلو مترا مربعا)، لديها أكبر تركيز من الأكراد فى الشرق الأوسط، إنهم حوالى ١٢ مليونا، مما يقترب من ربع إجمالى سكان تركيا. ويصل الجزء من كردستان فى إيران إلى حوالى ١٢٥٠٠٠ كيلو مترا مربعا حيث يعيش منها ما بين حوالى ٤ مليون كرديا (أو أكثر من ١٦ ٪ من إجمالى سكان إيران). ويوجد فى العراق حوالى ٤ مليون كرديا (أو ٢٨ ٪ من إجمالى سكان العراق) يعيشون على ٧٢٠٠٠ كيلو مترا مربعا من الأرض، وهنالك فى سوريا حوالى ١٨٠٠٠ كيلو مترا مربعا يسكنها حوالى مليون كردياً (أى ٩ ٪ من إجمالى سكان سوريا) يضاف إلى ذلك أكثر قليلا من مليون كردى يعيشون فى الدول المجاورة، بما فيها الاتحاد السوفيتى السابق وبلدان عربية عديدة بينما يعيش فى الخارج أكثر من نصف مليون كردى (أساسا فى أوروبا، وخاصة فى ألمانيا) حيث استقروا كعمال مهاجرين.[٣٨]

لقد لعبت القبيلة، تقليديا، دوراً أساسيًا فى المجتمع الكردى وفى البنية الاجتماعية:

> **إن القبلية الكردية وحدة اجتماعية سياسية، وبصورة عامة أرضية أيضا (ومن ثم اقتصادية) تقوم على نسب وقرابة حقيقية أو مزعومة مع بنية داخلية متميزة، إنها مقسمة بصورة طبيعية إلى عدد من العميرات(*)، تنقسم كل واحدة منها بدورها إلى وحدات أصغر: عشائر وزرارى.. الخ**

(*) تقسيم قبلى ثانوى - ربما بطون (المترجم)

وكما يشير بروينسن، على أى حال، "فليس كل الأكراد قبليين، ففى بعض المناطق بشكل الأكراد غير القبليين، فى الحقيقة، الأغلبية الساحقة من السكان"[٤٠] ومع ذلك يكتب جيرارد شالياند، "إن الإنقسام القبلى يهيمن على كل المجتمع [الكردى] إذ حتى هؤلاء الذين ليسوا بقبليين يخضعون لقواعد القبيلة[٤١]. ويوافق بروينسن على "أنهم" فى الحقيقة فى جميع الحالات تقريبا (أو أنهم كانوا كذلك حتى وقت قريب للغاية) خاضعين سياسيا و/ أو اقتصاديا لأكراد منظمين قبليا، حتى إن البنية القبلية، كانت تعلو فوق العلاقات شبه الاجتماعية المهيمنة.[٤٢]

"إن صورة الأكراد الأحرار باعتبارهم أناسا على الفطرة محبين للحرب والتى يشيعها الرحالة والتجار والمبشرون الأوروبيون والأمريكيون،"كما يكتب فرهاد إبراهيم" لا تتطابق البتة والحقيقة، لكنها على الأصح جزء من ظاهرة الاستشراق.[٤٣] ويشير شاليانه إلى "ان جزءًا صغيرا فقط من السكان الاكراد هم بدو رحل، على عكس الاعتقاد الشائع".

> **إن غالبيتهم مزارعون، ومربو ماشية إلى حد أقل بكثير، إن الجبال لا تقدم أكثر من اقتصاد يقف عند حد مستوى ضرورات العيش، بينما تقدم سهول سوريا والعراق محاصيل جيدة من الحبوب.. إن الفلاحين كقاعدة عامة، فى المناطق الجبلية حيث مازالت تستخدم الأساليب التقليدية للزراعة يمتلكون أرضهم، بينما يعتمد ملاك الأراضى فى الوديان على المزارعين المستأجرين، وبصورة متزايدة على العمال الزراعيين.[٤٤]**

لقد مر المجتمع الكردى بتغيرات اجتماعية كبرى خلال العقود العديدة الماضية، إن صفته كانت تتغير من مجتمع مقيد إلى نظام زراعى معزول شبه إقطاعى إلى مجتمع مقيد إلى بنية رأسمالية صناعية حضرية تقوم على العمل المأجور:

> **لقد مر المجتمع الكردى خلال العشرين سنة الأخيرة بتغيرات عميقة بدلت إلى حد كبير أبنيته التقليدية، لقد تحطم الإقطاع، واختفت البداوة، بل إن شبه البداوة لا يمارسها الآن غير آلاف قليلة من الناس ويفرغ الريف من سكانه مع الميكنة التدريجية للزراعة؛ وقد تدفق مئات الآلاف من الفلاحين إلى المدن الكردية والمدن الصناعية التركية الكبرى.. إن التماس بعالم البروليتاريا والمثقفين التقدميين يسيسهم بصورة سريعة للغاية.[٤٥]**

إن الغالبية العظمى من الأكراد مسلمون سنيون يتبعون مذهب الشافعي، ويعارضون المذهب الحنفي الذى يتبعه الأتراك والعرب. وهنالك على أى حال أكراد يتبعون التعاليم الشيعية (وخاصة هؤلاء الذين يعيشون فى إيران وبعض من يعيشون فى العراق) بينما يتبع آخرون المذهب الأليفى واليزيدى.

إن للأكراد لغتهم المتميزة فى شكليها المنطوق والمكتوب، غير أن استخدامها قد منع فى كثير من البلدان التى يسكنها الأكراد، وكانت تركيا -من بين هذه البلدان- هى التى تتمتع بالسمعة الأكثر سوءاً، حيث إن استخدام الكردية للاتصال بأى شكل من الأشكال كان حتى وقت قريب غير قانونى ويعاقب فاعله بشدة. لقد نبع حظر استخدام اللغة الكردية فى سياسة تعمل على الحد من الاتصال بين الأكراد أو منعه، وكذا بالمثل من أجل تآكل هويتهم الثقافية من أجل استيعابهم فى الثقافة والمجتمع السائدين ويكون ذلك هو الأفضل.[٤٦]

لقد كانت الاختلافات فى اللهجات واللغة المكتوبة كما يمارسها الأكراد فى إيران وتركيا والبلدان العربية عقبة للاتصال عبر الحدود القومية:

> **هنالك عدد كبير من اللهجات المختلفة يمكن تصنيفها فى عدد يزيد أو يقل من المجموعات التى لا يمكن، أو يمكن بصورة جزئية للغاية، فهمها بطريقة مشتركة.**
>
> **١- إن اللهجة الشمالية واللهجة الشمالية الغربية عادة ما تسمى "الكورمانى" (وهنالك مصدر محتمل للإرباك هو حقيقة أن بعض القبائل الجنوبية تطلق على نفسها أيضًا "الكورمان" وبالتالى يطلقون على لغتهم "الكورمانى" رغم أنها تنتمى إلى المجموعة الجنوبية).**
>
> **٢- يطلق على اللهجات الجنوبية فى الغالب "السورانى" رغم أن "السورانى" منطوقة على الوجه الصحيح، ليست إلا لهجة واحدة فقط تنتمى إلى هذه المجموعة التى تشمل ايضا على الموكرى السُليمانى ولهجات أخرى عديدة.**
>
> **٣- اللهجات الجنوبية الشرقية مثل السينى (السانانادای)، والكير ما نشاهى، والليكى. وتلك اللهجات أقرب للفارسية الحديثة من تلك التى فى المجموعتين الأخريين.**
>
> **إن مجموعات اللهجات تلك تبين وجود ليس فقط اختلافات لغوية وصوتية منطوقة كبيرة، لكنها تبين أيضًا اختلافات كبيرة فى بعض السمات النحوية.... وإلى جوار تلك المجموعات الثلاثة فى اللهجات الكردية الخالصة،**

نجد مجموعتين أخريين من اللهجات يجرى الحديث بهما فى كردستان، وهما تنتميان إلى نوع آخر من العائلة الإيرانية.. الزازا والجوراني.. ويجب على أى حال ملاحظة عدم وجود أى حدود صارمة. اللهجات تندمج تدريجيا، ومجموعات تتكلم لهجة واحدة يمكن أن تعيش بين أغلبية ممن يتحدثون لهجة أخرى.(٤٧)

هنالك بالإضافة إلى الاختلافات فى اللهجات على أساس المناطق اختلافات فى اللغة المكتوبة، كما هو واضح فى استخدام أبجديات مختلفة.

لقد استخدم كل الأكراد الذين يعرفون القراءة والكتابة الأبجدية الفارسية – العربية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ثم أدخل الأخوة بديرخان فى العشرينيات من القرن العشرين الأبجدية اللاتينية، والتى غدت نموذجية فى كردستان التركية والسورية. وتم فى كردستان الايرانية والعراقية ملائمة الأبجدية العربية مع خصوصيات اللغة الكردية، وكُتبت اللغة الكردية فى الاتحاد السوفيتى السابق بحروف "سيريلية"(*) إن تنوع الأبجديات وافتقاد لغة كردية متناسقة جعل اتصال المثقفين فيما بين الأكراد عملية صعبة.(٤٨)

ورغم تلك الفروق والقيود الثقافية المختلفة المفروضة عليهم فقد قاوم الأكراد القهر الذى يعانونه على أيدى الأنظمة السلطوية العقيمة التى حكمت الأراضى الكردية، ووجدوا طرقا يمكن أن تحقق رباطا عاما بين الأكراد فى نضالهم من أجل الحكم الذاتى القومى.

أصول الحركة القومية الكردية

تعود المسألة الكردية، وأصول الحركة القومية الكردية، إلى انهيار الإمبراطورية العثمانية عند نهاية الحرب العالمية الأولى والتى أدت إلى تقسيم كردستان بين الدول الإمبريالية الغربية ثم قسمت بالتالى الأراضى التى يقطنها الأكراد بين العديد من الأمم حديثة النشأة، مما شتت السكان الأكراد بصورة فاعلة عبر أجزاء الشرق الأوسط.

(*) منسوبة إلى المبشر السلافى سيريل الملقب بمخترع الأبجدية السيريلية (المترجم)

ورغم أن الخطوة الأولى فى تكوين الحركة الكردية كان نشر صحيفة "كردستان" عام ١٨٩٨ فإن النضال التحررى القومى الذى شنه الأكراد لم يظهر إلى الوجود بصورة كلية إلا بعد تقسيم كردستان عند نهاية الحرب العالمية الأولى.

إن التحرك الكردى الأول من الاحتلال البريطانى لكردستان فى العراق قد حدث عام ١٩١٩- ١٩٢٠. لقد هدفت الحركة التى قادها الشيخ محمود إلى خلق دولة كردية تتمتع بالحكم الذاتى غير أنه فشل فى تحقيق ذلك.

> **فى عام ١٩١٨ فى جنوب كردستان أعلن رأس نظام الأسرة الحاكمة القادرية في كردستان، الشيخ محمد بارازاني، أعلن نفسه حكمدارا (حاكما) لكردستان، وقامت الإدارة البريطانية فيما بين النهرين بدامة بالتسامح مع محاولة القادة الأكراد كسب الاستقلال، ولم تكن قد قررت بعد الوضع فيما بين النهرين وجنوب كردستان غير أن البريطانيين قاموا عام ١٩١٩ بتجريد "الحكمدار" من سلطته، خشية أن يضعهم الشيخ محمود أمام الأمر الواقع غير القابل للنقض، قبل أن يكونوا قادرين على تحديد مصير المنطقة المحتلة.(٤٩)**

ورغم أن "اتفاقية سيفريس" تضمنت شرطا (فى المواد ٦٢- ٦٤) بإيجاد دولة مستقلة على الأرض الكردية إلا أن هذا لم يتحقق فى أرض الواقع أبداً.(٥٠) وقد أدت مناورات القوى الغربية وخاصة بريطانيا وفرنسا إلى المزيد من نقل الأرض الكردية إلى أيد أجنبية، ومهدت الأرض لتمرد ثان بقيادة الشيخ محمود عام ١٩٢٣ وسحق الجيش الإنجليزى، على أى حال، هذه الهبة ونفى الشيخ إلى الهند.

وقد أُلحق جزء كبير من الأراضى الكردية بالدولة التركية الحديثة، وأدخلت شريحة كبيرة من السكان الأكراد تحت سيطرتها بعد توقيع اتفاقية لوزان فى يونيو ١٩٢٣، وهى الاتفاقية التى فسخت اتفاقية سيفريس، وصدر فى أوائل عام ١٩٢٤ مرسوم تركى يحظر كل المدارس والمنظمات والمطبوعات الكردية بما فى ذلك الجمعيات والمدارس الدينية مع الحد من حرية الفكر والجمعيات إلى حد كبير.(٥١) وكان رد الفعل هو "تشكيل حركة مقاومة عريضة القاعدة بعد أن غدا واضحا للأكراد أن الدولة الكمالية الجديدة كانت دولة تركية لن تسمح بالتعددية الانثية".(٥٢) وقد حفز ذلك هبة أخرى واسعة الانتشار عبر كردستان التركية بدأت فى أوائل ١٩٢٥، وسحقت الهبة بوحشية كما حدث فى حالات سابقة.

وفى النصف الأخير من العشرينيات وخلال الثلاثينيات من القرن العشرين وضعت هبات جديدة عبر كردستان أساس الفورة التالية فى النشاط القومى والمقاومة.

> **استثارات الأعمال البربرية للقوات العسكرية التركية فى كردستان من ١٩٢٥ حتى ١٩٣٩ تمردات وهبات فلاحية دائمة. وفى عام ١٩٢٥ كان هنالك التمرد الكبير الذى قاده "الشيخ سعيد"، ثم التمردات فى "رامان" و"رسشكولتان"، الواقعتين فى منتصف الطريق الى "دياربكر" و"سيرت". ومنذ ١٩٢٦ إلى ١٩٢٧ كان الدور علي سكان "هينيس" و"فورتو" و"سولهان" و"بينجول" و"جند"، كي يهبوا ضد الأتراك. وشهد عام ١٩٢٨ هبات فى "ساسون" "وبيردارى" وكوزلوك"، وانفجر عصيان منظم من ١٩٢٨ إلى ١٩٣٢ فى منطقة "أرارات"، وفى النهاية قاتل سكان الجبال فى "درسيم" من ١٩٣٦ حتى ١٩٣٩، ضد القوات التركية، وكانت هنالك تمردات محلية تلقائية، فضلا عن تمرد أرارات والتمرد الذى قاده الشيخ سعيد.(٥٣)**

وانتشرت الهبات فى أوائل الثلاثينيات فى القرن العشرين فى تركيا إلى الشرق عبر الحدود مع إيران إذ تفجر تمرد جديد عام ١٩٣١، فى كردستان الإيرانية بقيادة جعفر سلطان، وهبة مماثلة فى العراق فى ذاك العام قادها فى البداية الشيخ محمود (والذى كان قد عاد من المنفى فى الهند) وقادها فيما بعد الشيخ أحمد بارازانى.. وهى التى أعدت المسرح للمواجهة الشعبية مع البريطانيين الذين أرسلوا القوة الجوية الملكية لمهاجمة قرى الأكراد وإنهاء العصيان. وقد سحقت هبات تالية فى العراق عام ١٩٣٣ وفى تركيا من ١٩٣٦ الى ١٩٣٨، غير أن النشاط القومى المتزايد فى العراق في أوائل الأربعينيات من القرن العشرين أدى إلى المزيد من أعمال التمرد فى الفترة من ١٩٤٣ الى ١٩٤٥.(٥٤)

إن هزيمة أعمال التمرد تلك وتراجع القيادة الكردية إلى كردستان الإيرانية أدى إلى تأسيس الحزب الكردى الديمقراطى (كى دى بيه) فى إيران عام ١٩٤٥ وتشكل تنظيم مماثل بواسطة الأكراد فى العراق (الحزب الكردى الديمقراطي للعراق) والذى لعب دوراً موازيا فى تنسيق الجهود ضد الدولة القمعية فى العراق.

وقد فتح النشاط القومى المتصاعد وسلسلة الهبات فى المنطقة, خلال هذه الفترة، فتح الطريق أمام إعلان جمهورية ماهاباد الكردية الأولى فى إيران فى أوائل عام ١٩٤٦. وقد دمرت الجمهورية الجديدة التى قادها كوازى محمد، علي أى حال، بعد عام واحد فقط من بدايتها.(٥٥)

إن هزيمة مـاهاباد- تحدد بداية انحدار الحركة القـومـية الكردية خلال العقدين التاليين وبدأ نضال الحركة القومية الكردية المتجدد فى منتصف الستينيات من القرن العشرين فى طرح تحد جديد للأنظمة القمعية التى تسيطر على الأراضى الكردية فى المنطقة.

القومية الكردية والنضال من أجل تقرير المصير

عـاشت الحركة الكردية بداية من منتصف الستينيات وحلول السبعينيات بعثا جديدا، إذ بدأت منظمات يسارية متعددة فى احتضان القضية الكردية كجزء من استراتيچيتها السياسية الكلية.

ففى تركيا اشتملت الأحزاب التى أدرجت المسألة الكردية فى برامجها على حزب العمال التركى والحزب الشيوعى التركى،[٥٦] يضاف إلى ذلك أن أحزابا ومجموعات كردية متعددة ونشطة فى كردستان التركية، لعبت دورا هاما فى تصعيد المسألة الكردية خلال هذه الفترة.

ويكتب مـارتين فان بروينسن "تبارت المنظمات الكردية فى السبعينيات من القرن العشرين فى تقديم مطالب أكثر راديكالية.. ونمت السياسات الراديكالية إلى عنف متطرف، ليس فقط فى الشرق ولكن فى كل أنحاء تركيا."[٥٧] وكان حزب العمال الكردستانى (بارتيا كاركير كردستان، بى كى كى) هو الأكثر فاعلية فى كل المنظمات اليسارية فى كردستان التركية.

لقد أسس عبد الله أوجالان الـ بى كى كى عام ١٩٧٨، وكان نشطابين العمال والفلاحين عبر المناطق الكردية من شرق تركيا خلال السنوات التى أدت إلى الانقلاب العسكرى عام ١٩٨٠.

> **إن إيديولوجية ونشاطات الـ بى كى كى المجاهدة فى السنتين الأولتين لتأسيسه أدت الى اضطهاد شديد القسوة فى ظل النظام العسكرى، ولم يستطع غالبية أعضاء اللجنة المركزية لـ بى كى كى من الهرب من تركيا بعد انقلاب ١٩٨٠. وكان القبض على جزء من القيادة ضربة ثقيلة وجهت إلى الحزب.. ولم يصبح الحزب قادراً على النشاط مرة أخرى عبر كردستان التركية إلا فى منتصف الثمانينيات من القرن العشرين.[٥٨]**

لقد كان الانقلاب العسكرى عام ١٩٨٠ عقبة كبرى أمام النضال الكردى فى تركيا، حيث شن الجيش التركى عملية ضخمة فى الأقاليم الشرقية لتحطيم ظهر الـ بى كى كى ولتحييد حركة المقاومة عبر كردستان التركية[٥٩]. وقد سعى النظام العسكرى إلى سحق الحركة الكردية فى كل المدن الكردية الكبرى والقرى، فارضا عليها الحكم العرفى وسيطرة عسكرية/ شرطية جازمة كما يشير دافيد مك دووال:

> لجأت السلطات -حتى يمكن احتواء هذا التحدى الجديد الخطير- إلى عدد من الاجراءات شديدة القسوة من أجل ردع تمرد الـ بى كى كى. لقد اعتمدت السلطات على عمليات القبض الواسعة إثر كل حادثة من حوادث حرب العصابات. لقد كان شعب جنوب شرق الأناضول مخيفا بالنسبة للقوات التركية المسلحة منذ تأسيس الجمهورية، غير أن مرحلة أخرى من الرعب بدأت الآن، بدأت فى عمليات قبض واسعة، وغدا الضرب والتعذيب ممارسة عادية بين السكان والأكراد.[٦٠]

وقد أدت الحالة الناجمة عن القمع الواسع للسكان الأكراد إلى شلل الحركة القومية الكردية فى أوائل الثمانينيات من القرن العشرين، غير أن ذلك لم يدم طويلا، وشن الـ بى كى كى حرب العصابات، في مواجهة الرعب الذى أطلقت عنانه، حتى يحقق نضالا مسلحا ممتدا ضد الجيش التركي، وقد أكسب هذا العمل الحزب أقوى دعم من الكتل الكردية عبر كردستان التركية.[٦١] واحتل الـ بى كى كى فى منتصف الثمانينيات من القرن العشرين موقعا مركزيا فى النضال القومى بتأسيس "القوات المسلحة لتحرير كردستان" و"جبهة كردستان القومية التحريرية" ودعا كل المنظمات الكردية للانخراط فى القوات دعما للنضال من أجل التحرر القومى.[٦٢]

وفى أواخر الثمانينيات من القرن العشرين كان هنالك توسع لعمليات حرب العصابات عبر كردستان التركية والتى ساهمت فى تزايد التعاطف مع الـ بى كى كى ودعمه فى القرى والمدن الكردية.. وقامت مظاهرات جماهيرية مساندة للـ بى كى كى فى العديد من المدن خاصة فى مدينتى "سيزر" و"نصيبين"- فى ربيع ١٩٩٠، وفى مدن عبر الأناضول الشرقية فى مارس ١٩٩١، وقد كشفت المظاهرات عن طبيعة القاعدة العريضة للمساندة السياسية التى يحظى بها الـ بى كى كى.

> كان هنالك، فى عام ١٩٩٠، عدد من الصدامات بين المتظاهرين المدنيين وقوات الأمن فى سيرنك، ايريل، سيزر، ميديات، وفى أماكن أخرى فى أوائل مارس ١٩٩١، والمزيد من المظاهرات فى النيروز (العام الجديد) فى ٢١

> مارس، ليس فقط في كردستان ولكن أيضاً في أضنة وأزمير واسطنبول. وفي يوليو ١٩٩١، [كان هنالك] من قدّروا بعشرين ألف محتج في شوارع ديار بكر.(٦٣)

إن دور الـ بي كي كي -في تلك الأعمال الجماهيرية وغيرها- ضد الوجود المرئي للجيش التركي في المدن الكردية كان أساسيا. إن حشده لقطاع كبير من السكان الأكراد كي يقاتلوا قمع الدولة قد أكسب الحزب الاعتراف به واحترامه عبر كدرستان التركية. إن الـ بي كي كي هو في الحقيقة -كما يشير مارتين فان بروينسن- "المنظمة الكردية الوحيدة التي تحدت بنجاح هيمنة الجيش التركي على كردستان.(٦٤)

ويكتب فرهارد إبراهيم أن الـ بي كي كي يعتبر أن العنف في ظل الاوضاع السائدة اليوم هو الشكل الوحيد للمقاومة الممكنة ضد الأعمال القمعية للدولة التركية، والعنف الذي يرتكبه عملاؤها من الأكراد المحليين من الأغوات والشيوخ.(٦٥) إن الأعمال المسلحة لـ بي كي كي ضد الدولة التركية- والتي استخدمت فريقا كبيراً من جيشها لإخماد المقاومة في كردستان- قد أدت إلي مشاركة أكبر من الأكراد في الـ بي كي كي، غير أن قبض السلطات التركية على قائد الـ بي كي كي عبد الله أوجالان عام ١٩٩٩ قد عقد الوضع، وألقي بالـ بي كي كي والحركة الكردية في اضطراب عظيم.

وقد تمتعت الحركة الكردية في العراق بفترة قصيرة من التجديد تالية لسقوط الملكية عام ١٩٥٨، وكان مرجع ذلك إلي جد كبير هو الدعم الواسع الانتشار والمساندة التي تلقتها الحركة من الأحزاب اليسارية الراديكالية بما فيها الحزب الشيوعي العراقي، كوسيلة للحصول على تنازلات من الحكومة الجديدة. وسرعان ما وقعت القوى الكردية، على أي حال، ضحية للسياسات القومية للجناح اليميني لمختلف حكومات البعث التي وصلت إلى السلطة خلال الستينيات، وخاصة بعد الانقلاب الفاشستي عام ١٩٦٣، ولم يتحسن الوضع، بأي حال، بعد تبوء صدام حسين السلطة عام ١٩٦٨ وعاشت الحركة انحداراً ثابتاً خلال السبعينيات والثمانينيات.

إن كل من الـ بي يوكي والـ دي بي كي قد قادا لفترة قصيرة في منتصف السبعينيات عمليات حرب عصابات ضد دولة العراق، غير أن الخلافات حول الأيديولوجية والمسائل الاستراتيجية أدت في أواخر السبعينيات في القرن العشرين إلى صدام كبير أنهى التحالف وفتح الطريق أمام كل علاقة خارجة عن السيطرة دُمرت فيها القرى الكردية، أو أخليت من سكانها في محاولة لعزل حرب العصابات عن قاعدتها الجماهيرية في المناطق الريفية.

ويكتب ابراهيم أدت أربعة أحداث بدءاً من أواخر سبعينيات القرن العشرين إلى إحداث تغيرات أساسية فى الحركة القومية الكردية عبر كردستان: انهيار الحركة فى العراق؛ ثورة إيران عام ١٩٧٩؛ الإنقلاب العسكرى فى تركيا عام ١٩٨٠، والحرب الايرانية- العراقية والتى امتدت لعقد تقريباً.[٦٦]

وواجهت الحركة الكردية خلال الثمانينيات من القرن العشرين حكومات مركزية مخيفة فى تركيا والعراق وإيران، فقد وضع انقلاب سبتمبر فى تركيا المناطق الكردية فى شرق الأناضول تحت الحكم العرفى، واجبرت الثورة الإسلامية فى إيران عام ١٩٧٩ والحرب الإيرانية- العراقية التى بدأت عام ١٩٨٠، أجبرت الحركة على التراجع خلال الثمانينيات من القرن العشرين.

"كانت هنالك" خلال الأشهر التى تلت الثورة الاسلامية، "صدامات عنيفة بين القوميين الأكراد ومساندى النظام الإسلامى".

> **لقد احتل الجيش و"الحرس الثورى"المدن والبلدات وقتلوا المئات فى المعارك الأولى، بينما أعدم العديون غيرهم بعد "عدالة" ثورية عاجلة واتجه آلاف الأكراد المسلمين إلى الجبال والتحقوا بنجاح بالجيش والحرس فى حرب العصابات.[٦٧]**

ولذا لم يكن مأزق الشعب الكردى فى إيران أفضل من المأزق الذى عاشه أقرانهم فى تركيا والعراق. ووضعت الحرب الإيرانية- العراقية أكراد أحد البلدين فى مواجهة أكراد البلد الآخر. ولذا فانه عندما شنت إيران هجماتها العنيفة على الأقلية الكردية فى كردستان الإيرانية فإن الحزب الكردى الديمقراطى (كى دى بى)- إيران انحاز مع العراق من أجل الدعم المالي والاستراتيجي، وعلى عكس ذلك عندما قمع نظام صدام حسين الأكراد العراقيين قدمت إيران للحزب الكردى الديمقراطى (دى بى كى)- العراق فى محاولة للإطاحة بالنظام العراقى.[٦٨]

وبينما الحرب الإيرانية العراقية تتجه إلى الخمود كان الحدث الذى جذب الانتباه الدولى لقهر الأكراد العراقيين هو مذبحة "حالابا". ان القذف الكيميائى الذى قامت به الحكومة العراقية لمدينة حالابا أدى إلى موت آلاف المدنيين الأكراد، ويكتب برونيسن، "فيما بعد بأقل من نصف عام":

> **استخدمت العراق مرة أخرى الأسلحة الكيميائية ضد مواطنيها الأكراد، وقد استخدمت بفاعلية منذ ذلك الحين التهديد بأسلحة الرعب تلك، لم يكن قد مضى وقت طويل على توقيع وقف إطلاق النار مع إيران حتى وقع الهجوم الثالث والأكثر وحشية، هجوم "الأنفال" (فى أغسطس ١٩٨٨) لقد**

وجه هذا الهجوم إلى المناطق التى يسيطر عليها الحزب الكردى الديمقراطى فى أقصى جزء من شمال العراق، وقد استخدم الغاز السام فى الهجوم، فقتل الآلاف ودفع من تبقى حيا إلى الفرار رعبا[٦٩].

كانت الحركة الكردية بعد نهاية الحرب مقهورة فى البلدان الثلاثة، وكان على الحركة وهى مشلولة وفى أسوأ شكل لها على الإطلاق، خلال عقودها الطويلة من النضال من أجل الاستقلال، كان عليها أن تواجه عائقا آخر مع بداية حرب الخليج عام ١٩٩١، لقد تشجع الأكراد العراقيون بعد غزو العراق للكويت، وهزيمتها التالية بعد تدخل ضخم للولايات المتحدة، تشجعوا على أن يهبوا ضد نظام صدام حسين، إن قوى المعارضة التى هبت تراوحت من الأكراد القوميين إلى الأصوليين الشيعة إلى البورجوازيين الليبراللين، وعلى أى حال، فإن الهبة المخططة -كما يقول برونيسن- أخفقت كلية وأدت إلى أكبر كارثة فى التاريخ الكردى حتى ذلك الوقت:

هب الأكراد العراقيون فى مارس ١٩٩١ فى أضخم تمرد قاموا به على الإطلاق.. وساد لأسابيع قليلة شعور بالحرية، عطل الأكراد جهاز الحكومة الموجود فى الشمال واستسلم الجنود العراقيون للأكراد، أو عادوا فى بساطة إلى دورهم، غير أنه أتضح فجأة، وبصورة مؤلمة أن القوة العسكرية لصدام لم تحطم فى الحرب، كما كانت الآمال، وهاجمت الدبابات العراقية والطائرات المروحية المسلحة المدن المتمردة، وسرعان ما ثبط عزم العديد من الأكراد بسبب القذف بحمضى الفوسفوريك والكبريتيك، والخوف من ترسانة العراق الكيميائية المرعبة، مما دفع بمئات الآلاف مذعورين إلى الجبال نحو الحدود التركية والإيرانية وهرب أكثر من مليونى شخص هم نصف الأكراد العراقيين أو أكثر من منازلهم.[٧٠]

إن خروج اللاجئين الأكراد الواسع عبر الحدود من العراق إلى تركيا وإيران دوَّل بصورة فاعلة المسألة الكردية مرة أخرى، مجبرا الحكومات الثلاث على تناول أثر هذه الأزمة على سياساتهم الداخلية فيما يتعلق بأقلياتهم الكردية.

وأعادت الأحزاب الكردية والمنظمات الجماهيرية فى السنوات التالية لحرب الخليج، خلال أواخر التسعينيات من القرن العشرين، أعادوا تنظيم أنفسهم كما أعادوا تقييم دورهم فى النضال القومى. وبينما واصلت الاختلافات فى الأوضاع الأيديولوجية فرز المجموعات الكردية العديدة فى كردستان فإن هدفا عاما واحدا بزغ على الدوام باعتباره المبدأ الرابط الذى يحدد الهوية الكردية، إنه النضال الجماعى من أجل التحرر القومى من أجل كردستان حرة مستقلة.

خاتمـــة

إن إزاحة القوى الإمبريالية الغربية للشعبين الفلسطيني والكردى عبر تقسيم الأراضى التى كانوا يعيشون عليها، بعد انهيار الأمبراطورية العثمانية، كان جذر المسألتين القوميتين الفلسطينية والكردية. إن قهر الفلسطينيين والأكراد، فى الأراضى المحتلة، حيث اختزلوا الى أقلية اثنية إنما هو ناتج مباشر لسياسة إمبراطورية أدت إلى الحرب والتمرد والاضطراب السياسى فى الشرق الأوسط خلال جزء كبير من القرن العشرين.

إن تقسيم فلسطين وكردستان وبالمثل باقى الشرق الأوسط الذى سقط تحت الحكم البريطانى أو الفرنسى شتت أو قسم بفاعلية هذين الشعبين فى أوطانهما التاريخية، فارضا عليهما الخضوع لأهواء دول حديثة البزوغ فيما بعد الكولونيالية، دول جاءت إلى السلطة بعد الحرب العالمية الأولى، أو تالية للانتداب البريطانى والفرنسى: تركيا، العراق، سوريا، لبنان، الأردن، وإسرائيل. لقد قامت كلها فى ظل اتفاقيات استعمارية قسمت الأراضى العثمانية المحتلة حصصا فيما بين القوى الغربية التى جاءت لتحكم شعوب الشرق الأوسط بما فيها الفلسطينيين والأكراد، وفى تلك الدول الشرق أوسطية المستقلة يواجه الفلسطينيون والأكراد الآن أشد قهر وحشى، ويقاتلون من أجل تحررهم القومى.

إن التشابه بين النضالات القومية الفلسطينية والكردية، عبر مجرى القرن العشرين، يلقى الضوء على تماثل تجربة الاثنيين والقوميين فى ظل حكم القوى التى هيمنت سياسيا لأزمان طويلة، إن هذه الخبرات قد أدت إلى تطوير هوية قومية وحركة قومية، غدت التعبير عن الإرادة المجتمعية للمجتمعين الخاصين والمناضلين من أجل التحرر. ولذا فإن الحركتين القوميتين الفلسطينية والكردية قد بزغتا فى رد فعل مباشر للقوى التى حطت منهما، وأنزلت من قدرهما، إلى مواطنة من الدرجة الثانية فى دول معادية لنضالهما من أجل الحكم القومى الذاتى والاستقلال.

ومن ثم، فإن الحركتين القوميتين للشعبين الفلسطينى والكردى غدت تمثل طموحاتهما من أجل الأمة، والتطور الحر للغاتهما وثقافتهما، ولذات الوجود فى ظرف يعزز كل ما طالبوا به كشعب. غير أن التقسيمات الداخلية- على امتداد خطوط طبقية وأيديولوجية- كانت للحال تعبيرا انقساميا وتوحيديا لحركة ناضجة تركز على القوى الاجتماعية والسياسية التى سوف تقود شعوبها إلى النصر فى المرحلة التالية من النضال القومى.

إن النضال المتواصل للشعبين الفلسطيني والكردى فى مواجهة كثير من الشدة والضرر.. إنما هو شهادة للطموحات القومية لهذين الشعبين، وشعوب أخرى مقهورة عبر الشرق الأوسط، شعوب مصممة على القتال من أجل حقها فى أمتها، وحق تقرير المصير القومى حتى النصر النهائى.

الهوامش

[1] Edward W. Said. The Politics of Dispossession: The Struggle For Palestininan Self- Determination, 1969- 1994 (New York: Pantheon, 1994).

[١] أدوارد و. سعيد. "سياسات الاغتصاب: النضال من أجل تقرير المصير الفلسطيني، ١٩٦٩-١٩٩٤ (نيويورك. بانثيون، ١٩٩٤).

[2] Gordon Welty, "Palestinian Nationalism and the Struggle for National Self-Determination," in "The National Question: Nationalism, Ethnic Conflict and Self-Determination in the Twentieth Century," ed. Berch Berberoglu (Philadelphia: Temple University Press, 1995), p. 16.

[٢] جوردون ويلتي، القومية الفلسطينية والنضال من أجل تقرير المصير القومي"، في "المسألة القومية- القومية، النزاع الإثني وتقرير المصير في القرن العشرين، تحرير، بيرش بيربيروجلو (فلادلفيا. مطبعة جامعة تمبل، ١٩٩٥)، ص - ١٦.

[٣] المصدر السابق، ص ١٧.

[4] Baruch Kimmerling and Joel S. Migdal, "Palestinians: The Making of a People" (New York: The Free *Press, 1993*), PP. *1300 31*.

[٤] باروك كيمرلنج وجويل س. ميجدال،"الفلسطينيون. صناعة شعب"

(نيبورك المطبعة *الحرة*، ١٩٩٣) ص. ص. ١٣٠- ٣١.

[5] Pamela Ann Smith, "Palestine and the Palestinians, *in Power* and Stability in the Middle East," ed. Berberoglu, P. 157.

[٥] باميلا أند سميث، "فلسطين *والفلسطينيون*"، في "القوة والاستقرار في الشرق الأوسط" تحرير بيربيروجلو، ص. ١٥٧.

[٦] المصدر السابق، حد. حد. ١٥٧، ١٥٩.

[٧] يختلف تقدير العدد الكلي للفلسطينيين في *الشتات*، غير أن هنالك إجماع عام بين المؤلفين على أنه يقع في مكان ما بين ٤٫٥ ، ٥ مليون.

[٨] سميث. "فلسطين والفلسطينيون"، ص. ١٥٩.

[٩] المصدر السابق، ص. ١٦٠

[10] Government of Palestine, "A survey of Palestine," 2 Vols. *(Jerusa- lem: Goverment* of Palestine, 1946), 2:569, cited in Smith, "Palestine and the Palestinians," p. 171.

[١٠] حكومة فلسطين، "مسح فلسطين" جزآن (أورشليم: حكومة فلسطين، ١٩٤٦)، ٢: ٥٦٩، مذكور في سميث، "فلسطين والفلسطينيون"، ص . ١٧٠،

[١١] سميث، "فلسطين والفلسطينيون"، ص. ١٦٠.

[١٢] المصدر السابق. أنظر أيضًا ج.س. هيورويتز، "النضال من أجل فلسطين" (نيويورك: مطبعة جرينوود، ١٩٥٨).

J. C. Hurewitz, "The Struggle for Palestine" (New York: Greenwood Press, 1968).

[13] David McDowall, "The Palestinians: The Road to Nationhood" (London: Minority Rights Group, 1995).

١٣] دافيد مك دووال، "الفلسطينيون: الطريق إلى الأمة" (لندن: مجموعة حقوق الأقليات، ١٩٩٥).

[١٤] ويلتي، "القومية الفلسطينية"، ص. ١٨.

[١٥] المصدر السابق.

[١٦] المصدر السابق، ص.١٩٠ وانظر أيضا سالم تماري "الروح الحزبية والتكوين الطبقي في التاريخ الفلسطيني الحديث" في "دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لفلسطين في القرنين التاسع عشر والعشرين" تحرير- روجر أوين (لندن: ماكميلان، ١٩٨٢)، الفصل الثالث.

Salim Tamari, "Favtionalism and Class Formation in Recent palestinian Histoty," in "Studies in the Economic and Social History of Palestine in the Nineteenth and Twentieth Centuries," ed. Roger Owen (London: Mannilan, 1982), chap. 3.

[١٧] انظر كيمرلينج وميجدال "الفلسطينيون" ص.ص. ٩٦- ١٢٣.

[١٨] المصدر السابق ، ص . ٩٦.

[١٩] المصدر السابق، ص. ص. ٩٦- ٩٧.

[٢٠] ويلتي، "القومية الفلسطينية"، ص . ٢١.

[٢١] المصدر السابق، ص. ٢٢.

[٢٢] المصدر السابق أنظر أيضا نور مصالحه، "طرد الفلسطينيين" (واشنطن دي سي: معهد الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٢.

Nur Masalha, "Expulsion the Of the Palestinians" (Washington, D.C.: Institute for Paletine Studies, 1992).

[٢٣] ويلتي، "القومية الفلسطينية"، ص. ٢٢.

[٢٤] سعيد، "سياسات الاغتصاب".

[25] Helena Cobban, "the Palestinian Liberation Organization" (Cambridge: Cambridge University Press, 1984). See also Alain Gresh, "The PLO: The Struggle Within" (London: Zed Books, 1985).

[٢٥] هيلينا كوبان، "منظمة التحرير الفلسطينية" (كمبريدج: مطبعة جامعة كمبريدج، ١٩٨٤) أنظر أيضا الين جريش، "منظمة التحرير الفلسطينية: النضال من الداخل" (لندن: كتب زد، ١٩٨٥).

[26] Rosemary Sayigh, Palestinians: From Peasants To Reuolutionaries (London: Zed Preoo, 1979), PP. 152- 54.

[٢٦] روزماری صايغ، "الفلسطينيون: من فلاحين إلى ثوار" لندن: كتب زد، ١٩٧٩)، ص. ص. ١٥٢- ٥٤.

[27] Gerard Chaliand, "The Palestinian Resistance" (Baltimore, Md.: Penguin, 1972), PP. 60 - 61.

[٢٧] جيرارد شالياند، "المقاومة الفلسطينية" (بليتمور، مريلاند: بنجوين، ١٩٧٢)، ص. ص. ٦٠- ٦١.

[٢٨] ويلتي، "القومية الفلسطينية"، ص. ٢٤.

[٢٩] المصدر السابق، ص. ٢٥.

[٣٠] شاليانډ، "المقاومة الفلسطينية"، ص.ص. ٨٤- ١٢٩.

[31] See John Cooley, "Green March, Black September" (London: Frank Cass, 1973), PP. 109- 22.

[٣١] أنظر جون كولي "المسيرة الخضراء، أيلول الأسود" (لندن: فرانك كاس، ١٩٧٣)، ص.ص. ١٠٩- ٢٢.

[32] James Reilly, "Israel in Lebanon, 1975-82," MERIP Reports 12, nos. 6-7 (September- October 1982).

[٣٢] جيمس ريلي، "إسرائيل في لبنان، ١٩٧٥- ٨٢"، تقارير ميريب ٩٢، أرقام ٦-٧ (سبتمبر - أكتوبر ١٩٨٢)

[33] See Samih Farsoun, "Israels Goal Of Destroying the Plo is Not Achievable,." Journal of Palestinian Studies 11, no. 4 (1982).

[٣٣] أنظر سميح فارسون، "هدف إسرائيل تحطيم منظمة التحرير الفلسطينية غير قابل للتحقق"، جريدة دراسات فلسطينية ١١، رقم ٤ (١٩٨٢)

[34] Zachary Lockman and Joel Beinin, "Intifada: The Palestinian Uprising Against. Isradi Occupation" (Boston: South End Press, 1989).

[٣٤] زاكاری لوكمان وجويل بينين، "الانتفاضة الهبة الفلسطينية ضد الاحتلال الإسرائيلي" (بوسطن: مطبعة سوت إند، ١٩٨٩)

[35] Martin Van Bruinessen, "Agha, Shaikh and State: The Social and Political Structure Of Kurdistan" (London: Zed Books, 1992), PP. 133-95.

See also Abdul Rahman - Ghassemlou, "Kurdistan and the Kurds" (London: Collets Holdings, 1965).

[٣٥] مارتين فان بروينسن، "الأغا، الشيخ والدولة. الأبنية الاجتماعية والسياسية لكردستان" (لندن زد، ١٩٩٢، مصر ١٣٣ - ٩٥. أنظر أيضا عبد الرحمن غاسيملو. "كردستان والأكراد" (لندن: كولتس هولدينجز، ١٩٦٥).

[36] Ferhad Ibrahim, The Kurdish National Movement and the Struggle For National Autonomy in National Question, ed Berberoglu, PP.38- 39.

[٣٦] فرهاد إبراهيم، "الحركة القومية الكردية والنضال من أجل الحكم الذاتي القومي"، في "المسألة القومية"، تحرير بيربيروجلو ص. ص. ٣٨ - ٣٩.

[٣٧] المصدر السابق، ص. ٣٩.

[٣٨] المصدر السابق ص ٣٦. من أجل تقديرات مختلفة بعض الشيء لإجمالي السكان الأكراد وللأكراد في مختلف البلدان الموجودين بها. أنظر دافين مك دووال، "تاريخ حديث للأكراد" (لندن آي بي- تاوريس، ١٩٩٦)، ص. ص. ٣-٤.

David Mcdowall, "A Modern Hostory Of the Kurds" (London: I. B. Tauoris, 1996), pp.3-4.

[٣٩] بروينسن، "الآغا، الشيخ والدولة"، ص . ٥١

[٤٠] المصدر السابق، ص. ٥٠

[41] Gerard Chaliand, "The kurdish Tragedy" (London: Zed Books, 1994), P. 19.

[٤١] جيرارد شالياند، "مأساة الأكراد" (لندن: كتب زد، ١٩٩٤)، ص. ١٩.

[٤٢] بروينسن، الأغا، الشيخ والدولة"، ص. ٥٠.

[٤٣] إبراهيم، "الحركة القومية الكردية"، ص. ٣٧.

[٤٤] شالياند، "مأساة الأكراد، ص. ص. ١٤- ١٥.

[45] Kendal, "Kurdistan in Tukey," in "People Without a Country," ed. Gerard Chaliand (London: Zed Press, 1980), P. 89.

[٤٥] كيندال، "كردستان في تركيا"، في "شعب بلا بلد" تحرير جيرارد شالياند (لندن، مطبعة زد، ١٩٨٠)، ص. ٨٩.

[٤٦] المصدر السابق، ص.ص. ٨٣-٨٧.

[٤٧] بروينسن، "الأغا الشيخ والدولة"، ص.ص. ٢١-٢٢.

[٤٨] المصدر السابق، ص. ٢٧.

[٥٠] انظر متن الأقسام المختصة في اتفاقية سيفرس (البنود ٦٢- ٦٤) في مك دووال، "التاريخ الحديث للأكراد"، ص. ص. ٤٥- ٥١.

[51] See Ismet Sheriff Vanly, Suruey, "Suruey Of the National Question Of Turkish Kurdistan with Historical Background" (Zurich: Hevra, 1971).

[٥١] أنظر عصمت شريف فانلي، "مسح للمسألة القومية لكردستان التركية مع خلفية تاريخية" (زيوريخ: هيفرا، ١٩٧١).

[٥٢] إبراهيم، الحركة القومية الكردية" ص. ٤٠.

[٥٣] كيندال، "كردستان في تركيا"، ص . ٦١.

[54] See Edmund Ghareeb, "The Kurdish Question in Iraq (Syracuse, N.Y. Syracuse University Press, 1981). See also the essays by Ghassem- lou, Kendal, Nazdar, and Vanly in Chaliand, "People Without a Country."

[٥٤] أنظر أدموند غريب، "المسألة الكردية في العراق" (سيراكوس، نيويورك" مطبعة جامعة سيراكوس، ١٩٨١). أنظر أيضا الموضوعات بقلم غاسيملو، كيندال، نازدار وفانلي في شاليامد، "شعب بلا بلد".

[55] William Eagleton Jr., "The kurdish Republic Of 1946" (London: Oxford university Perss, 1963).

[٥٥] ويليام إيجلتون الصغير، "الجمهورية الكردية عام ١٩٤٦" (لندن: مطبعة جامعة أوكسفورد، ١٩٦٣).

[٥٦] إبراهيم، "الحركة القومية الكردية"، ص. ٤١.

[٥٧] بروينسن، "الأغا" الشيخ والدولة، ص. ٣٣.

[٥٨] المصدر السابق، ص. ٤٢.

[59] David McDowall, "The Kurds: A NationDenied (London: Minority Rights Group, 1992), PP. 44- 47.

[٥٩] دافيد مك دووال، "الاكراد: أمة غير معترف بها" (لندن: مجموعة حقوق الاقليات، ١٩٩٢)، ص.ص. ٤٤-٤٧.

[٦٠] المصدر السابق، ص. ٤٥.

[٦١] إبراهيم، "الحركة القومية الكردية" ص. ص. ٥٣ - ٥٤.

[٦٢] المصدر السابق، ص. ٥١.

[٦٣] مك دووال، "الأكراد"، ص. ٥٢.

[64] Martin van Bruinessen, "Kurdish Society, Ethnicity, Nationalism and Refugee Problems," in "The Kurds: A Contemporary Overview," ed. Philip G. Kreyenbroek and Stefan Sperl (London: Routledge, 1992), p. 59.

[٦٤] مارتين فان بروينسن، "المجتمع الكردى، الاثنية، القومية ومشاكل اللاجئين"، فى "الأكراد موجز معاصر"، تحرير فيليب كريينبروك وستيفان سبيرل (لندن روتليدج، ١٩٩٢)، ص. ٥٩.

[٦٥] إبراهيم،"الحركة القومية الكردية"، ص. ٥٢.

[٦٦] المصدر السابق، ص. ٤٤.

[٦٧] بروينسن، "الاغا، الشيخ والدولة"، ص. ص. ٣٦-٣٧.

[٦٨] يكتب بروينسن، "يظل المدى الذى أجبر عليه الـ كى دى بى العراقى، كى يلحق بالحرب ضد الأكراد الإيرانيين غير واضح، أو أنه قد فعل ذلك طواعية، ومن الواضح أن الـ كى دى بى العراقى كان مرتابا إلى حد كبير فى علاقات شقيقه الحزب الأخر مع بغداد". المصدر السابق، ص. ٣٩.

[٦٩] المصدر السابق، ص. ٤٣.

[٧٠] المصدر السابق، ص. ٤٤.

الفصل السادس

الصراع العربى - الإسرائيلى
الحرب والاضطراب السياسى فى الشرق الأوسط

غدا مرتع المتنافسين الإمبرياليين -ساحة الحرب والاحتلال والاضطراب السياسى فى القرن العشرين- الأرض الممتدة من آسيا الصغرى إلى دلتا النيل، ومن الهلال الخصيب إلى شطآن شرقى البحر المتوسط، غدا هذا المرتع ساحة للدول الإمبريالية الغربية لسلب هذه الأرض ونهبها، وكان الميراث الذى تركوه بعد الحرب العالمية الثانية هو النزاع العربى- الإسرائيلى، والذى ابتلى المنطقة بالأزمات والاضطراب مدة تزيدة عن نصف قرن.

أصول الصراع العربى- الإسرائيلى

لقد احتاجت الدول الإمبرياية إلى تأسيس مخفر إمبراطورى أمامى قادر على الإستجابة للحاجات المتغيرة للإمبراطورية الرأسمالية الكونية المعتمدة على الزيت لتغذية قدرتها الصناعية فى المراكز الرأسمالية المتقدمة فى أوروبا والولايات المتحدة. لقد غدا إيجاد دولة إسرائيل استراتيجية جيوبوليتيكية مريحة للدول الاستعمارية لتهيمن على كل منطقة الشرق الأوسط فى مرحلة ما بعد الكولونيالية التالية للحرب العالمية الثانية.[١] إن تطابق اضطهاد النازى لليهود الأوروبيين وإقامة دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ خدم بصورة جيدة احتياجات الدول الإمبريالية للحفاظ على موطىء قدمهم فى هذا الجزء من العالم فى جوار وثيق لمنابع الزيت فى الشرق الأوسط.[٢]

إن المشروع الإمبريالى لإقامة هذا المخفر الأمامى الأوروبى فى قلب أرض الثقافة والمجتمع العربى قد أدى على أى حال إلى إزاحة السكان المحليين الفلسطينيين، الأمر الذى جاء فى أعقاب تأسيس دولة إسرائيل، والحرب العربية- الإسرائيلية الأولى التى نتجت عن ذلك. إن النقل الجزافى للأرض الفلسطينية إلى أيدى المستوطنين اليهود، أوجد اختلالا هائلا، وآثار توترات اجتماعية بين الفلسطينيين واليهود الذين وجدوا أنفسهم فى منافسة حول الأراضى والموارد والتحكم فى تلك الأراضى[٣]. لقد أصبح العرب الفلسطينيون -وقد حرموا من سلطتهم السياسية، وحقوقهم الاجتماعية، ووجدوا أنفسهم فى قلب لعبة شطرنج كونية- مستخدمين لحماية وتقدم المصالح الاقتصادية والجيوبوليتيكية للدول الإمبريالية من خلال مندوبتهم إسرائيل، أصبحوا أقليات فى أرضهم هم، ودفع بهم إلى المنفى كلاجئين فى الدول العربية المجاورة.[٤]

إن الحلم الصهيوني بإفراغ البلد من العرب وتحقيق أغلبية يهودية واضحة قد حدث خلال حرب ١٩٤٨، عندما اتخذ ٧٥٠٠٠٠ فلسطينيا أو أكثر من ٨٠ ٪ من السكان العرب لما أصبح إسرائيل، اتخذوا طريق المنفى، وقد علق حاييم وايزمان -الذى كان فى ذلك الوقت أول رئيس لدولة إسرائيل- علق على هذا الخروج معلناً إن هذا الجلاء العربى كان "إخلاء معجزا للأرض. كان التنشيط المعجز لمهمة إسرائيل" لم يكن ذلك فى الحقيقة معجزة، بقدر ما كان ذروة جهد وتخطيط مدة نصف قرن والقوة الوحشية (فى النهاية).(٥)

وبالإشارة إلى أعمال مؤرخين إسرائيليين فإن هنالك ميير بائيل مؤرخ الهاجاناه وحرب ١٩٤٨، وبينى موريس الذى كتب حول أصول مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، وكذا بالمثل "مفكرة حرب" بن جوريون متعددة الأجزاء، كما يقدم مصالحه إدراكا إضافيا للخطط الصهيونية لتفريغ فلسطين من سكانها العرب.

يقدر ميير بائيل أنه من إجمالي اللاجئين الذين خرجوا، "فر ثلثهم خوفا، وأجبر الإسرائيليون ثلثهم على الهرب.." ويقدم بينى موريس ستة أسباب كبرى لهجر حوالى ٣٦٩ قرية عربية:"الطرد بواسطة القوات الإسرائيلية،" "*الهجر*" بناء على أوامر عربيه "*الخوف من هجوم اليهود*"، "الغارات العسكرية للقوات اليهودية على المستعمرات، حملات الشائعات (أى الحرب النفسية)،"تأثير سقوط مدينة مجاورة أو الخروج منها".(٦)

ويضيف مصالحه "غير أن ما لم يعترف به (موريس) وبائيل ومؤرخون إسرائيليون آخرون هو نمط تلك الهجمات والأوامر، لقد إدعوا أن طرد العرب وتدمير القرى كانت تحكمه اعتبارات عسكرية استراتيجية أكثر منه خطة أو تصميم من قبل.(٧) لقد كان طرد العرب الفلسطينيين فى الحقيقة وتوسع المستوطنات اليهودية جزءاً لا ينفصل من الخطة (خطة دالت) لتوسيع الأرض التى سوف تحتلها دولة إسرائيل الجديدة بمجرد إنشائها، وهى خطة جرى تصورها قبل حرب ١٩٤٨، خطة كانت جزءاً من تفكير بن جوريون وقادة إسرائيليين آخرين، كانوا يرون فى تفريغ القرى العربية الفلسطينية من السكان وامتلاك الأراضى العربية السبيل الوحيد لضمان النصر، وتأكيد انتصار الدولة الصهيونية، وقد أعلن بن جوريون فى لجنة الأعمال الصهيونية فى ٦ أبريل ١٩٤٨:

لن نكون قادرين على كسب الحرب إن لم نعمر خلال الحرب الجليل الأعلى والأسفل، الشرقى والغربى، النقب ومنطقة أورشليم.. وإننى أؤمن أن الحرب سوف تجىء أيضا، فى أعقابها بتغيير كبير فى توزيع السكان العرب.(٨)

وقد لخص إسحق رابين الرئيس السابق لأركان الحرب ورئيس وزراء إسرائيل، لخص الأمر بصورة مباشرة عندما قال، "إننا سوف نضمن، بدك القرى حتى الأرض وطرد السكان، أنه لم تعد هناك قرى متروكة للعرب كي يعودوا اليها"(٩) وقد وضعت الدولة الإسرائيلية الجديدة، وجهات النظر هذه في التطبيق بطريقة واقعية تماما:

> **هاجم الجيش الإسرائيلي بعد ١٥ مايو ١٩٤٨ عددا لا حصر له من القرى العربية التي كانت بلا دفاع، ونسف المنازل وقرى بكاملها، وقتل بدون تمييز الرجال والنساء والأطفال، وطرد من تبقى حيا من القرى، وانتشرت أخبار تلك المذابح الفظيعة مثل النار في الهشيم، وهؤلاء الذين لم يصدقوا تلك التقارير غدوا الضحايا التالين المحتملين.**
>
> **لقد قامت الحرب النفسية الإسرائيلية على تكتيكات صارمة، كانت الإذاعة الإسرائيلية تطالب الفلسطينيين دوما بالفرار، حتى يتجنبوا سفك الدماء، كانت سيارات الجيش الإسرائيلي تسير بمكبرات الصوت عبر شوارع المدن والقرى تحدد لهم طرق الهرب.(١٠)**

إن إزاحة السكان الفلسطينيين والتشتت في الأردن ومصر وسوريا ولبنان وبلدان عربية أخرى، وإنكار حقهم في وطن قومي وتقرير مصيرهم لإدارة شئونهم بأنفسهم، أدى إلى تآكل المجتمع الفلسطيني، رغم إعادة دمجه بصورة اسمية في النسيج الاجتماعي للدول التي بنوا فيها لأنفسهم هوية فلسطينية جديدة.(١١) لقد غدا الشتات نقطة بؤرية للمقاومة السياسية في تلك البلدان، وبالمثل نقطة استجماع قوى وحشد شتات لحركة المقاومة الفلسطينية التي وجدت وانتشرت في كل ركن من أركان العالم العربي.(١٢)

إن ظهور منظمات سياسية راديكالية مثل منظمة التحرير الفلسطينية (بي إل أو) خلال الفترة التالية غمر الدول العربية في السياسات الفلسطينية. لقد أجبرت جميعها على اتخاذ موقف رسمي ضد إسرائيل ودورها كوكيلة للإمبريالية الغربية. ولذا حددت المسألة الفلسطينية منطق العلاقات بين إسرائيل والدول العربية، وكانت النتيجة أن القضية الفلسطينية غدت معروفة بصورة أكثر فأكثر باعتبارها قضية العرب، وغدا تحرير فلسطين هو النقطة الوحيدة الأكثر أهمية لاستجماع قوى القومية العربية.(١٣)

من حرب الأيام الستة إلى حرب أكتوبر
تعميق النزاع العربى- الإسرائيلى

إن النزاع العربى- الاسرائيلى الذى نشأ مع حرب ١٩٤٨ مع تقسيم فلسطين وتأسيس دولة إسرائيل على تراب فلسطين، والذى عززته ودعمته عدوانات إمبريالية تالية (تعاونها إسرائيل) فى المنطقة، عدوانات أدت إلى حرب السويس عام ١٩٥٦، إن تقوية السلطة الصهيونية بحثا عن أرض جديدة وموارد جديدة لإسرائيل الكبرى أدت إلى حرب الأيام الستة فى يونيو ١٩٦٧ الحرب العربية- الإسرائيلية فى أقل من عقدين.

لقد شنت الحرب على جبهات عديدة فى سيناء والضفة الغربية ومرتفعات الجولان- ولم تدم الحرب أكثر من ستة أيام، وانتهت بالاحتلال الإسرائيلى لأراض عربية أصلية. إن السرعة التى حققت إسرائيل بها نصرا أرضيا وجويا على جيرانها العرب الأكثر عددا بكثير وعلى جيوشهم الأكثر كبرا بكثير صدم العالم العربى حتى أعمق أعماقه.

لقد دمرت القوات الدفاعية الإسرائيلية القوة الجوية العربية فى اليوم الأول لنشوب الحرب.

> **فى صبيحة يوم الأثنين ٥ يونيو ١٩٦٧ أصدر موشى ديان أوامر الهجوم واتجهت الطائرات الإسرائيلية منخفضة الطيران -تجنبا للرادار المصرى- إلى المطارات، ودمر الإسرائيليون القوة الجوية المصرية كلها بينما كانت ما تزال على الأرض، الطائرات التى كانت رابضة جناحا إلى جناح لم يتم حتى تمويهها.** [١٤]

ما إن أنجز هذا حتى كانت القوات الإسرائيلية قادرة على احتلال سيناء المصرية والضفة الغربية الأردنية ومرتفعات الجولان السورية خلال أيام قليلة تالية.

> **لقد غدت القوات المصرية فى صحراء سيناء، دون غطاء جوى أهدافا بلا مناعة، وقتل أو جرح آلاف الجنود المصريين، واندفعت لواءات الدبابات الإسرائيلية تحت ردع من النفثات الميراج، اندفعت عبر الصحراء فى سرعة البرق، رغم بعض القتال العنيف فى قطاع غزة، قام به الفلسطينيون المرتبطون بالجيش المصرى..**

وحتى بينما كان الجيش المصرى يواجه الهزيمة، احتشد عشرات الآلاف من الناس عبر البلاد العربية من أجل القتال ضد إسرائيل.

واستعد الكثيرون لمعركة طويلة واثقين من انتصار العرب لقد صعقوا عندما انتهت الحرب بعد ستة أيام فقط بهزيمة مهينة.[١٥]

انتهت الحرب فى ١٠ يونيو، وأدى الانتصار الإسرائيلى إلى احتلال شرق أورشليم والضفة الغربية وقطاع غزة ومرتفعات الجولان وسيناء ومن ثم فإن إسرائيل ضاعفت، فى موقف قصير للغاية أراضيها أربعة مرات.[١٦]

وبحثت الدولة العربية –وقد أذلتها الهزيمة– عن سبل تفسر بها هزيمتها التاريخية، وغدت أكثر تصميما فى ربط طالعها وصورتها القومية بسياسة رسمية، عرفت إسرائيل باعتبارها العدو الرئيسى للأمة العربية والقضية الفلسطينية، وحلفاء إسرائيل الغربيين– وخاصة الولايات المتحدة– باعتبارهم المتكفلين الرئيسيين بالعدوان الصهيونى فى الشرق الأوسط.

وساهمت هزيمة الدول العربية فى حرب الأيام الستة فى تكثيف النزاع العربى– الاسرائيلى وتحفيز رد فعل جهادى معاد لإسرائيل لدى المقاومة الوطنية الفلسطينية فى أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات.[١٧] ورأت بعض الأجزاء المجاهدة، فى منظمة التحرير الفلسطينية أن النضال المسلح هو الاختيار الوحيد القابل للحياة لمواصلة المقاومة[١٨]. إن نشاط حرب العصابات الخفية (مشتملة على قذف القنابل، وقرصنة الطائرات، وأعمال الاختطاف السياسى والعمليات العسكرية السرية) تقودها مجموعات منشقة من منظمة التحرير الفلسطينية ومنظمات فلسطينية راديكالية أخرى حددت طبيعة ومجال المقاومة المسلحة الفلسطينية فى الفترة التالية لحرب الأيام الستة.

واحتضنت الدول العربية بيسر أكثر فى السنوات التالية مباشرة لهزيمة العرب عام ١٩٦٧، احتضنت القضية الفلسطينية وسمحت بنشاط جهادى فلسطينى، موجه ضد إسرائيل، على تربتها، وهى حركة أدت إلى نمو هائل فى قوة الحركة الفلسطينية فى كثير من الدول العربية فى الفترة التالية لحرب الأيام الستة. إن هذه القوة الجديدة للحركة الفلسطينية بلغت ذروتها فى بعض البلدان فى مواجهة مباشرة مع السلطات كما حدث فى الأردن حيث قام الجيش الأردنى فى سبتمبر ١٩٧٠ بسحق منظمة التحرير الفلسطينية،[١٩] وبينما ميزت حالة الحرب القائمة بين إسرائيل والمعارضة المسلحة الفلسطينية أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات، باعتبارها فترة مشحونة بالتوترات والأزمات، فإن الحرب العربية– الإسرائيلية التالية، حرب أكتوبر ١٩٧٣، وما

تلاها من حظر للزيت بقيادة الأوبك العربية ضد الغرب، ألقت بالمنظمة كلها فى حركة دوارة. إن التدعيم الذى سببته الحرب وغبارها السياسى هو الذى حدد طابع العلاقات العربية- الإسرائيلية لغالبية بقية العقد.

إن حرب أكتوبر هى ناتج فشل حل المسألة الفلسطينية ومصير الأراضى العربية التى استولت عليها اسرائيل فى حرب الأيام الستة. إن تحويل القضية الفلسطينية إلى قضية عربية، والنظر إلى إسرائيل باعتبارها منبوذ حَرَم المواطنين المحليين من حقوقهم فى تقرير مصيرهم القومى وأمتهم، هو الذى حدد الإرادة العربية الجديدة للدفاع عن رسالة شعبية، أن يتحد العالم العربى ضد عدو مستهدف. ولذا فإن حرب أكتوبر كانت مخرجا لهدف أكبر كان يمكن -إن كان ناجحا- أن يغير من ديناميكيات السياسات العربية عبر المنطقة، ويعيد بهذه الطريقة بناء شروط الارتباط بين الأطراف المتعارضة، غير أن ناتج الحرب كان قليلا للغاية قياسا بما أملت فيه الدول العربية.

لقد بدأت حرب أكتوبر بالدبابات المصرية تعبر قناة السويس وتقتحم سيناء، بينما تقدم الجيش السورى فى مرتفعات الجولان، وتلا هذا مواجهة قوات الدفاع المصرية والإسرائيلية لبعضها البعض فى معركة كبرى للدبابات.

> **فى السادس من أكتوبر ١٩٧٣ شنت القوات المصرية هجوما ضخما مفاجئا عبر قناة السويس، وشنت الدبابات السورية والجنود هجوما عاصفا فى مرتفعات الجولان. لقد دفع الجنود العرب المدربون تدريبا جيدا، والمسلحون تسليحا جيدا بالمحتلين الإسرائيليين فى قتال أولى، وقد غمرت الفرحة، التى اكتسحت العواصم العربية، حتى أشد منتقدى السادات لأيام قليلة، إن مصر وسوريا تحاربان أخيرا من أجل أرضهما وتكسبان!(٢٠)**

حسنا، لم تكونا هكذا تماما، إذ إن رد الفعل الإسرائيلى الذى تلا الهجوم العربى، كان سريعا، وبدأ فى إدارة الأمور لصالح إسرائيل، غير أن ذلك لم يحدث، إلا بعد إسالة الكثير من الدماء:

> **حشدت إسرائيل سريعا للهجمة المضادة متوقعة نصرا سريعا غير أن القتال كان كثيفا على كل من الجبهتين، وعانت إسرائيل من آلاف الإصابات، كما فقدت أعدادا كبيرة من الطائرات والدبابات، ومع استمرار القتال هاجمت إسرائيل دمشق العاصمة السورية، وقرر قادة الصهيونية معاقبة السوريين بتحويل الكثير من الاقتصاد السورى إلى أنقاض، وقذفت القوة الجوية الإسرائيلية الموانىء والمصانع، ومشروعات الطاقة، ومعامل**

تكرير الزيت عبر البلاد والمباني الحكومية في العاصمة، وقد قتلت تلك الهجمات الكثير من المدنيين، وعندما بدأت اسرائيل دفع السوريين إلى الوراء نحو دمشق شكلت الحكومة الميليشيات الشعبية للدفاع عن المدينة.(٢١)

كان الوضع فى مصر مختلفا للغاية، إذ إن دخول مصر الحرب، عبر فعلها المباشر وضد إسرائيل كان مناورة سياسية أكثر منه عملا عسكريا. إن قرار المصريين بالذهاب إلى الحرب لتحرير سيناء كان حركة محسوبة للضغط على القوى العظمى لإجبار إسرائيل على الإذعان لقرار الأمم المتحدة ٢٤٢، والذى طالب بإعادة كل الأراضى التى احتلتها إسرائيل خلال حرب الأيام الستة، ولم ينته العدوان بين البلدين، حتى فيما بعد حظر الزيت الذى اتخذته الأويك، واقتضى الأمر أن تضع القوتان العظميان- الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى- إتفاقية لوقف إطلاق النيران، غير أن الإستراتيجية نجحت فى فتح الباب لإحضار إسرائيل إلى مائدة المفاوضات لتسوية الموضوعات الأساسية المختلفة المحيطة بالنزاع العربى- الإسرائيلى منذ حرب الأيام الستة.

ومن ثم، قامت حرب أكتوبر -ويا للعجب- بدور موصل يجيء بالأطراف معا من أجل حل سلمى لأزمة الشرق الأوسط. ومع ذلك لم تكن الأطراف المتحاربة مستعدة لمناقشة القضايا الجوهرية التى فصلتهما حتى نهاية السبعينيات من القرن العشرين، وقد بلغت تلك المناقشات ذروتها فى النهاية فى توقيع اتفاقية سلام بين مصر وإسرائيل عبر اتفاقيات كامب ديفيد فى ١٩٧٨- ١٩٧٩ باعتبارها الخطوة الأولى نحو سلام شامل فى الشرق الأوسط(٢٢).

وبينما أدت عودة سيناء إلى مصر بعد أربع سنوات عام ١٩٨٢ إلى تقوية تطبيع العلاقات بين مصر وإسرائيل، ووضعت نهاية لحالة الحرب بينهما، فإن استمرار الاحتلال الإسرائيلى للضفة الغربية وغزة وشرق أورشليم، وقمع السكان الفلسطينيين فى الأراضى المحتلة فشل فى حل التناقضات الأساسية التى تسببت فى النزاع العربى- الإسرائيلى(٢٣). ولذا فإن فشل اتفاقيات كامب ديفيد فى تقديم حل قابل للحياة للمسألة الفلسطينية، واستبعاد الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية من المحادثات قد سد الطريق بفاعلية أمام الوصول إلى خطة للسلام الشامل فى الشرق الأوسط.

الغزو الإسرائيلى للبنان
ونزع سلاح القيادة الفلسطينية

إن الفشل فى حل المسألة الفلسطينية ومعالجة نتائج حرب الأيام الستة وعودة الأراضى المحتلة والتى كانت فى قبضة إسرائيل أثناء الحرب، والتى لم تتم تسويتها بواسطة حرب أكتوبر ١٩٧٣ أدى إلى حشد أكبر للقوات الفلسطينية فى أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات من القرن العشرين وخاصة فى جنوب لبنان.

وصعدت عام ١٩٨١ سلسلة من الأزمات والتوترات فى العالم العربى وخاصة فى سوريا والعراق ولبنان: أزمة الصواريخ مع سوريا، الغارة ضد المركز النووى العراقى، إلحاق مرتفعات الجولان وتبادل القذائف عبر الحدود بين منظمة التحرير الفلسطينية وقوات الدفاع الإسرائيلية فى جنوب لبنان.[٢٤] ورغم أنه تم التفاوض لوقف إطلاق النار مؤخراً فى ذات العام غير أن إسرائيل حركت قواتها عبر الحدود إلى داخل لبنان لتأمين شريط قدره أربعين كليومترا لمنع منظمة التحرير الفلسطينية من قذف القرى الإسرائيلية، غير أن التحرك فى الجنوب اللبنانى لم يقف عند حد منطقة الأمان التى ادعت إسرائيل أنها سوف تقيمها، إذ واصلت القوات الإسرائيلية تقدمها داخل لبنان، وأصبحت فى أواخر يونيو ١٩٨٢ على بوابات بيروت[٢٥].

وقد رافق حصار بيروت هجوم عسكرى إسرائيلى ضخم اشتمل على قذف ثقيل واسع بالقنابل والنابالم والقنابل المتناثرة التى سببت تدميرا وموتا جسيما عبر العاصمة اللبنانية، وكجزء لعملية "مسحها" لإبادة منظمة التحرير الفلسطينية أعطت إسرائيل الضوء الأخضر لحلفائها "الكتائبيين" لتحطيم المقاومة الفلسطينية.

وفى ١٦-١٧ سبتمبر شنت ميليشيات الجناح اليمينى "المسيحى" الكتائبية بالتعاون مع الجيش الإسرائيلى مذبحة لأكثر من ألف فلسطينى فى مخيم صابرا وشاتيلا، مخيم للاجئين فى بيروت[٢٦].

> **مبكرا، فيما بعد ظهر ١٥ سبتمبر ١٩٨٢ استخدم الجيش الإسرائيلى الدبابات ومدافع الهاون ليطوق مخيمى صابرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين فى جنوب لبنان.. ولم يعد فى وسع أحد مغادرة المعسكرين بدون إذن الإسرائيليين.**

وفي مساء ١٥ سبتمبر امتلأت مستشفيات عكا وغزة بالمصابين وواصل الجيش الإسرائيلي إطلاق النار بصورة متفرقة على المعسكرين المحاصرين، وفي الصباح التالي أيقظت قاذفات القنابل الإسرائيلية منخفضة الطيران الناس المحليين بزعيقها فوق المخيمين، كان اليوم ١٦ سبتمبر ولم يكن لدى أحد أية فكرة عن البربرية والوحشية التي سوف تحدث في الأكواخ والخرائب الواقعة في ضواحي بيروت خلال الـ ٤٨ ساعة القادمة.[٢٧]

ويكتب أ. فراني: "طبقا للحكايات الإجماعية لمن بقي حيا، فقد دخلت الميليشيات -حوالي ٢٥٠ رجلا في البداية- دخلت المخيم من الجنوب والجنوب الغربي حوالي الساعة الخامسة بعد ظهر ١٦ سبتمبر وبدأت المذبحة الدموية في حي "الارسال" المقابل لمقر القيادة الاسرائيلية[٢٨]. وتكشف عمليات وصف القتل القاسي بلا شفقة للمقيمين الفلسطينيين في المخيمين عن الطبيعة التي تقشعر لها الأبدان للقتل بالجملة للمدنيين الأبرياء خلال يومين طويلين رهيبين. كان يوم الجمعة يوم رعب غاية في الشناعة، لا يمكن وصف مدى الهمجية والوحشية في كلمات، لقد صعق هذا الجحيم حتى من بقوا أحياء، بصدمة صمت، ومع ذلك استمرت المذبحة بشراسة فائضة حتى أواخر ما بعد ظهر يوم السبت"[٢٩].

إن الوحشية التي قتل بها قاطنوا مخيمي صابرا وشاتيلا خلال هذين اليومين أرسلت بموجات الصدمة عبر العالم، ونشرت بتفصيلات كبرى في الصحافة:

أطلقوا النار على كل شيء كان يتحرك في الشوارع الصغيرة، حطموا الأبواب، وأبادوا أسرا بكاملها كانت تتناول وجبة العشاء، كان الناس يقتلون وهم في السرر، في مناماتهم أو ملفوفين في الملاءات، وغالبا مالم يكتف القتلة بالقتل، فقد حطموا رؤوس الأطفال الصغار والرضع على الحوائط، واغتصبت النساء بل وحتى الفتيات الصغيرات قبل أن يسقن إلى الموت، كان الناس يسحبون أحيانا من ديارهم ويقتلون، للعجلة، في مجموعات في الشوارع، لقد نشرت الميليشيات الرعب بالفؤوس والسكاكين، كانوا يذبحون الرجال والنساء والأطفال وكبار السن بلا تمييز.

قتلت في حي هورش ثابت في مخيم شاتيلا أسرة مقداد كاملة عند بداية المذبحة، ٣٩ شخصا، رجالا ونساء وأطفالا، ذبحوا جميعا. هذه العائلة اللبنانية التي هي في الأصل من قصروين، كانت تمتلك جراجا في شاتيلا مدة ٣٠ عاما، قطعت حلوق بعضهم، وشقت أجساد آخرين كانت بينهم امرأة في التاسعة والعشرين من عمرها تدعى زينب بقرت بطنها ووضع الجنين في ذراعي الأم الميتة[٣٠].

وتكتب روز مارى صايغ توثيقا للتدمير والتخريب الذى عاناه المقيمون الفلسطينيون فى المعسكرين، أى طريق تختار فى منطقة صابرا وشاتيلا، متابعة للمذبحة، فإنك لابد وأن تصطدم مباشرة بتركيز التدمير. بدا وكأن المكان ومن فيه من بشر كانوا هدفا لمحاولة تدمير شاملة(٣١).

بعد القصف الصيفى بالقنابل، جوا وأرضا وبحرا، جاءت الوحدات اللبنانية الخاصة المبرمجة على الذبح والنهب والسلب، وجاءت معهم البلدوزرات التى كانت قد قطعت أجزاء عريضة عبر المساكن تطيح بالجوانط مثل الكرتون، كانت النساء هن من يفتشن عبر الأنقاض عن الأجساد أو بقايا الممتلكات.. كانت غالبية الأجساد قد أخذت بعيدا حتى ٢٠ سبتمبر غير أن عفن الموت كان ما يزال فى كل مكان، وارتدى الأغراب أقنعة من الشاش.(٣٢)

ما إن انتهت المجزرة حتى لم يعد هنالك غير الدمار الكلى فى المخيمين، لقد أنجزت ميليشات الكتائبيين الفاشست وحلفاؤهم الإسرائيليون ما شرعوا فى عمله. وتكتب صايغ: لم يكن فقط قدر الوحشية والتدمير هو الذى جعل المشهد فاجعاً إلى هذا الحد، لكنها أيضا رسالته السياسية، الآن ذهبت حركة المقاومة كان الفلسطينيون فى لبنان واللبنانيون الذين ساندوهم تحت رحمة القوى السياسية التى كانت صفتها ونواياها تحمل شارة المذبحة ذاتها(٣٣).

ورغم نجاح قوات الدفاع الإسرائيلية فى نزع سلاح منظمة التحرير الفلسطينية وطردها من غرب بيروت ومن مخيماتها العسكرية فى جنوب لبنان غير أن مشاركة إسرائيل فى الجريمة، والإشراف على مذبحة المدنيين الفلسطينيين والذى كان العديدون منهم من النساء والأطفال فى مخيمى صابرا وشاتيلا للاجئين، أوجد حالة جديدة لحركة المقاومة الفلسطينية فى لبنان، حالة سهلت لسوريا -الجار العربى للبنان- الدخول فى المشهد المحلى.

إن التدخل الأكثر مباشرة لسوريا فى الشئون اللبنانية فى الفترة التالية للغزو الإسرائيلى أدى إلى توسيع دور سوريا فى البلاد، وأدى إلى الحد النهائى من وجود الولايات المتحدة وإسرائيل فى لبنان فى الثمانينيات من القرن العشرين. ورغم الغارات المتواصلة داخل الأراضي اللبنانية فى الجنوب فإن إسرائيل لم تعد بقادرة على رؤية نفسها، وقد تدخلت مباشرة فى المزيج المركب للأحداث السياسية والعسكرية، فى الاضطراب الذى أصبح يسم الحياة فى لبنان بعد الغزو الإسرائيلى.

وقد رأى عقد الثمانينيات من القرن العشرين تطور وانتشار الأصولية الإسلامية فى لبنان وأماكن أخرى من الشرق الأوسط، وهذا تطور جاء نتاجا للثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ وقد انتشرت خلال هذا العقد المجموعات المجاهدة الإسلامية مثل حزب الله الذى انتشر فى لبنان ودول عربية أخرى، بما فى ذلك الأراضى المحتلة فى غزة والضفة الغربية. وبينما ساعد وجودهم المتزايد فى جنوب لبنان، فى توفير تسهيلات للمقاومة الفلسطينية فى مواجهة الغارات الإسرائيلية فى الأراضى اللبنانية، فإن منظمات الجناح اليمينى الأصولية مثل حركة المقاومة الإسلامية (حماس) غدت قاعدة فاعلة فى نقل المعركة إلى التربة الإسرائيلية.

ورغم أن أهدافهم كانت مختلفة كلية عن تلك التى كانت للقيادة الفلسطينية المتحدة تحت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية، فإن النشاطات المتنامية لمجموعات الأصوليين فى الأراضى المحتلة طابقت النضال الفلسطينى المتجدد خلال هذه الفترة، وساعدت على انتشار المقاومة المضادة لإسرائيل، والتى جعلت الهبة الفلسطينية الكبرى (الإنتفاضة) تتوهج فى غزة والضفة الغربية.

الانتفاضة والنزاع المتجدد فى الأراضى المحتلة

لقد كان للانتفاضة التى حدثت فى الأراضى التى تحتلها إسرائيل منذ حرب الأيام الستة أثر نفسى أكبر -على المجتمع الإسرائيلى- وعلى مستقبل المسألة الفلسطينية، من أى حدث سابق. لقد غيرت بعمق بؤرة النزاع العربى- الإسرائيلى وأعادت تحديد معايير عملية السلام فى الشرق الأوسط.

> **انفجرت الاضطرابات فى أوائل ديسمبر ١٩٨٧ فى قطاع غزة مصحوبة بمواجهات عنيفة بين الفلسطينيين وقوات الاحتلال الإسرائيلية، كانت هذه هى بداية ما أصبح معروفا بالانتفاضة الفلسطينية أو الهبة، محاولة متصلة من سكان الأراضى المحتلة فى الضفة الغربية وقطاع غزة لخلع نير الاحتلال الإسرائيلى بواسطة الاحتجاج الشعبى وعدم التعاون بعد أكثر من عشرين عاما من الإخضاع[٣٥].**

ويكتب ف. روبرت هنتر، "تحرك آلاف الفلسطينيين في شوارع مخيمات اللاجئين الزاخرة المزدحمة ليقابلوا جنود إسرائيل بهدف السيطرة على مناطقهم"(٣٦).

> **الجماهير في موجات، وأعلام منظمة التحرير الفلسطينية ترفرف فوق قمم الأسطح وخطوط الهاتف، مسيرات ومظاهرات، كانت تلك المشاهد تتكرر في أماكن عديدة.**
>
> **اضرابات تجارية برزت عاليا في الأيام والأسابيع الأولى للتمرد، إن ذلك لم يقع فقط في غزة ولكن أيضا في كل الضفة الغربية، في جنين ورام الله والبيرة ونابلس وطولكرم وبيت لحم وشرق أورشليم، كان هنالك بحث عن كل السبل التي تبقى الانتفاضة سائرة، كذا الحفاظ على زخمها(٣٧).**

كانت الانتفاضة تعبيرا عن الاستياء بين الكتل الفلسطينية التي لم تعد تحتمل القمع والإذلال الذي تعانيه في ظل حكم جيش الاحتلال. ويكتب زئيف شيف وايهود يائري، "أمسك آلاف اللاجئين، ينتابهم إحساس أنه ليس هنالك ما يمكن خسرانه أكثر من ذلك، أمسكوا بالجواريف والفؤوس والعصي والحجارة وأي شيء آخر تصل إليه أياديهم، لكي يخرجوا ويعلنوا أنهم لن يقبلوا أكثر من ذلك، معاملتهم معاملة الحثالة البشرية(٣٨). ومن ثم كانت الانتفاضة رد فعل للشعب الفلسطيني الذي كان يتوق للحرية.

> **إن الهبة الفلسطينية ضد الاحتلال الاسرائيلي [وقعت] تقريبا بعد أربعين عاما من تقسيم فلسطين، وانشاء دولة إسرائيل، وعشرين عاما بعد حرب الأيام الستة والاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية وغزة، وبينما قاوم الفلسطينيون دوما الحكم الإسرائيلي طوال هذا الوقت، فإن الانتفاضة تمثل تمردهم الأول المتواصل ذا القاعدة الشعبية العريضة. إن دوام ومدى الانتفاضة وتكتيكاتها المستخدمة جعلها حركة تاريخية نظمت وحدة الفلسطينيين السياسية حول هدف واضح وبسيط، إنهاء الاحتلال وتمهيد الطريق من أجل تقرير المصير.(٣٩)**

ومن ثم فإن العملية التي بدأتها الحركة عبر الهبة الشعبية الجماهيرة أوضحت أن الحل الوحيد الحقيقي للاحتلال الإسرائيلي هو تأسيس دولة فلسطينية مستقلة في الأراضي المحتلة.

> **إن الانتفاضة والحشد الجماهيري للفلسطينيين الذي أوجدته كانت أكثر أهمية من هبة منظمة التحرير الفلسطينية ذاتها منذ عشرين سنة مضت،**

وأكثر أهمية أيضا من تمرد ١٩٣٦- ١٩٣٩ خلال النضال من أجل الاستقلال، لقد وحدت الانتفاضة الشعب إلى مدى غير مسبوق. وقد امتدت جذور اتجاهها وسندها وزخمها إلى خبرة عامة الناس. كان هذا إحساسا جديدا بالقومية الفلسطينية، إن العصيان المدنى واسع الانتشار كان هو حرب الشعب بوسيلة لم يكتها الصراع المسلح أبدا، وقد استحوذت على دعم عالمى بطريقة لم ينجح التمرد العربى عام ١٩٣٧ فى تحقيقها.(٤٠)

ولذا يكتب بهذا المعنى فارسون وجين لانديس،"إن الانتفاضة ناتج تاريخى لكل الجهود السابقة لمقاومة تجريد وقهر الهوية القومية الفلسطينية.. إن الانتفاضة تمثل أخر تعبير مناخى للإرادة الفلسطينية الجماعية، تعبير يؤكد وعيا قوميا مقاوما للتجريد معلنا للحقوق السياسية الفلسطينية".(٤١)

إن المشاركة الجماهيرية للسكان الفلسطينيين فى الانتفاضة قد أوضحت النقمة العميقة التى أحسها الشعب ضد الاحتلال وقوة إرادته فى الكفاح المضاد.(٤٢) ويكتب هنتر"، إن قرار إسرائيل تطبيق أساليب عقاب جماعية على كل السكان الفلسطينيين قد نبع، على أى حال، من الفشل فى الإجراءات الفظة التى أخذت فى ديسمبر الماضى والتى وصفت فى حينها بأنها أكبر عمليات اكتساح منذ سيطرت إسرائيل على الاراضى المحتلة(٤٣).

أعمال القبض بالجملة، ومنع التجول، وتفتيش المنازل منزلا منزلا، سد الطرق ومحاصرة مداخل مخيمات اللاجئين بالبراميل والأسلاك الشائكة، والوجود العسكرى الضخم (ضوعفت قوة القوات ثلاث مرات) والهليكوبترات كل خمس فوق منطقة واحدة فى ذات الوقت، ونشر الغاز المثير للدموع وقنابل الدخان اليدوية فوق المتظاهرين لم تؤد فقط إلا إلى انفجارات أكبر(٤٤).

إن إصرار المتظاهرين على القيام بقتال بطولى ضد الجنود الإسرائيليين كان فعلا سياسيا، كان جزءًا من استراتيجية أعرض لتحقيق تقرير المصير القومى.

إن المتظاهرين -وهم يواجهون الصُلب الساخن لطلقات م- ١٦، والاختناق بسبب التأثيرات الكاتمة لغاز الدموع الذى تسقطه الهليكوبترات أو يطلقه الجنود- قاتلوا جنود إسرائيل بالدقشوم والهراوات والأحجار وقنابل البترول، كان الشباب يستخدمون طلقات المقاليع، يقذفون بها طائرات الهليكوبتر منخفضة الطيران، كان المحتجون يعيدون إلقاء القنابل اليدوية لغاز الدموع على الجنود(٤٥).

وكان رد الفعل الإسرائيلى على الحالة السياسية المتردية التى تبعت الانتفاضة الفلسطينية الكبرى، ولمقاومة هذا النضال الجماهيرى للشعب الفلسطينى، هو تجديد توسيع المستوطنات الإسرائيلية فى الضفة الغربية. وغدت المستوطنات الجديدة سمة دائمة لسياسات التوسع الإسرائيلى فى حقبة ما بعد الحرب الباردة من أجل استيعاب هجرة اليهود الروس الواسعة فى أوائل التسعينيات من القرن العشرين.

وبينما غدا بناء المستوطنات سبيلا سهلا لحل مشاكل نقص الإسكان فى إسرائيل، فإنه خدم أيضًا فى تبرير تصميماتها الكولونيالية لتأمين كل توسعات حدودية، غير أن مثل هذا الحل لم يمر مروراً هيناً مع السكان المحليين لتلك الأراضى -الفلسطينيين- ولا مع بعض الدول العربية الأكثر راديكالية، إن التوترات الناجمة عن مثل تلك الحالة قد أدت إلى دورات فى النزاع وانفجارات دورية صعدت من اهتمام القوى التقدمية فى إسرائيل وفى الدول العربية المجاورة عبر العقد الماضى .

إن حقيقة القرار الإسرائيلى بمواصلة بناء مستوطنات جديدة فى أورشليم الشرقية قد ألقى بستار قاتم فوق الأمل فى حل سلمى للمسألة القومية. حقا، إن مثل تلك السياسة، لو كانت أى شىء، من جانب الحكومة الإسرائيلية فإنها تزيد من احتمالات الأزمات السياسية وتخوض مخاطرة نزاع عسكرى ممتد.

الهوامش

[1] F. Trabsusi, "The Palestine Problem: Zionism and Imperialism in the Middle East," New Left Review, no. 57 (1969).

[١] ف. ترابلوسى، "المشكلة الفلسطينية: الصهيونية والإمبريالية فى الشرق الأوسط"، نيولفت ريفيو، رقم (١٩٦٩).

[٢] المصدر السابق.

[٣] ويلتى، "القومية الفلسطينية والنضال من أجل تقرير المصير القومى"، ص. ص. ١٨- ٢٤.

[٤] روزمارى صايغ،"الفلسطينيون: من فلاحين إلى ثوار" (لندن: مطبعة زد، ١٩٧٩)،. ص.ص.٩٨- ١٤٣.

[٥] نور مصالحه، "طرد الفلسطينين" (واشنطن، دى.سى" معهد الدراسات الفلسطينية ١٩٩٢) ص. ١٣٥. ويشير مصالحه إلى أن" أسباب هذا الخروج الكبير قد صنفها فرع مخابرات قوات الدفاع الإسرائيلى كالتالى الهاجاناه/ عمليات قوات الدفاع الإسرائيلى (٥٥ ٪): عمليات آرجون تزفاى ليومى وليهى [لوهاهى هيروت يسرائيل] (١٥/٪) حملة إشاعات الحرب النفسية، الجلاء بأمر قوات الدفاع الإسرائيلية، والخوف العام (١٤ ٪) (ص. ١٧٩).

[٦] المصدر السابق.

[٧] المصدر السابق، ص. ١٨٠.

[8] Ben- Gurion, "Behilahem Yisrael" (As Israel Fought) (Tviv: Mapai Press, 1952) PP. 86- 87, quoted in Masalhe, Expulsion Of the Palestinians, P. 181.

[٨] بن جوريون"، بهيلاهم يسرائيل" (كما حاربت إسرائيل) تل أبيب: مطبعة الماباى، ١٩٥٢)، ص. ص. ٨٦- ٨٧، أمتياس فى مصالحه، "طرد الفلسطينيين". ص. ١٨١.

[9] Quoted in Abdallah Frangi, "The PLO and Palestine" (London: Zed Books, 1983), P.90.

[٩] اقتباس فى عبدالله فرانجى، "منظمة التحرير الفلسطينية وفلسطين" (لندن كتب زد، ١٩٨٣)، ص. ٩٠.

[١٠] المصدر السابق، ص . ٨٩.

[١١] المصدر السابق.

[١٢] شاليناد، "المقاومة الفلسطينية"، ص. ص. ٥٥- ٥٦.

[١٣] سمير أمين، "الأمة العربية" (لندن. مطبعة زد، ١٩٧٨). أنظر أيضا روجر أوين، "القومية العربية، الوحدة والتضامن" فى الميدل إيست، تحرير أسد وأوين، ص. ص. ١٨ - ١٩.

[14] Joy Bonds et al, "Our Roots Are Still Alive" (San Francisco: Peoples Press, 1977) P.111.

[١٤] جوى بوندس وآخرون، "مازالت جذورنا حية" (سان فرنسيسكو: مطبعة الشعب، ١٩٧٧)، ص. ١١١.

[١٥] المصدر السابق، ص. ص. ١١١- ١٢.

[١٦] جريش وفيدال، محرران، "من ألف إلى ياء الشرق الأوسط"، ص. ص. ٢٠٧ ٠٨.

[١٧] صايغ، "الفلسطينيون"، ص.ص. ١٤٤ ٤٥.

[١٨] المصدر السابق، ص. ص. ١٥٢ -٥٤.

[١٩] جريش وفيدال، محرران، "من ألف إلى ياء الشرق الأوسط"، ص.ص. ٢٥، ٢٦.

[٢٠] بوندس وآخرون، "ما تزال جذورنا حية"، ص. ١٤٢.

[٢١] المصدر السابق.

[٢٢] المصدر السابق، ص. ص. ٢٦ - ٢٨.

[٢٣] ويلتى، "القومية الفلسطينية والنضال من أجل تقرير المصير القومي"، ص.ص. ٢٥- ٣٢.

[٢٤] جريش وفدال، محرران، "من ألف إلى ياء الشرق الأوسط"، ص. ٢١٢.

[٢٥] المصدر السابق، ص. ٢١٣. أنظر أيضا ب.ج عودة. "لبنان: ديناميكات النزاع" (لندن: مطبعة زد، ١٩٨٥)، ص.ص. ١٩٧- ٢٠٢).

B.J. Odeh, "Lebanon: Dynamics Of Confict" (Lonkdon: Zed Press, 1985) PP.197-202.

[٢٦] يتراوح تقدير عدد الفلسطينيين الذين ذبحوا فى المخيمين من ٧٠٠ إلى ٣٥٠٠ شخصا، مع تسجيل غالبية المصادر أن من ذبحوا لم يكونوا أقل من ١٣٠٠ شخصا، وأن أكثر من ٢٠٠ مفقودين، يفترض أنهم ماتوا أو دفنوا فى مقابر جماعية لم تكتشف. انظر أ. فرانجى، "منظمة التحرير الفلسطينية وفلسطين" (لندن: كتب زد، ١٩٨٣)، ص.ص. ٢٢٢- ٢٩: روزماري صايغ، "أعداء كثيرون للغاية: التجربة الفلسطينية فى لبنان" (لندن: كتب زد، ١٩٩٤). أنظر أيضًا أ. كابيليوك، "صابرا وشاتيلا: تحقيق فى المذبحة" (بلمونت، ماسوشيتس: إيه إيه يوجى، ١٩٨٤).

Rosemary Sayigh, "Too Many Enemies: The Palestinian Experience in Lebanon (London: Zed Books,1994) P. 122 See also A. Kapeliouk," Sabra Shatila: Inquiry into a Massacre" (Belmont, (Belmont, Mass: AAUG, 1984).

[٢٧] فرانجى، "منظمة التحرير الفلسطينية وفلسطين"، ص.ص. ٢٢٤ ، ٢٥، تأكيد فى الأصل.

[٢٨] المصدر السابق ص. ٢٢٥ إن التورط المباشر فى القيادة الإسرائيلية العليا فى تخطيط وتنفيذ المذبحة واضح من الاجتماع عالى المستوى الذى عقد بين القادة الإسرائيليين واللبنانيين والكتائيبين لتنسيق جهودهم إنجازا لمهمتهم: "فى الساعة الثالثة من بعد ذاك الظهر، كان هنالك اجتماع بين افوس بارون، قائد القوات الإسرائيلية فى بيروت، وفادى إفرام القائد الأعلى للقوات المسلحة اللبنانية، والياس حبيقة، رئيس البوليس السرى لإفرام. وقرروا القيام بعملية تطهير فى المخيم"، وهى حركة كانت مخططة منذ بعض الوقت، كانت بداية العملية مع حلول الظلام وبارك شارون العملية عبر الهاتف: "تهانيّ". لقد ووفق على عملية أصدقائنا". المصدر السابق.

[٢٩] المصدر السابق، ص. ٢٣٠.

[٣٠] مقتبسة من فرانجى، "منظمة التحرير الفلسطينية وفلسطين"، ص.ص ٢٢٦- ٢٧.

[٣١] صايغ، "أعداء كثيرون للغاية"، ص. ١٢١.

[٣٢] المصدر السابق.

[٣٤] أنظر فريده فارحى، "النضالات الطبيعية، الدولة، الثورة فى إيران"، فى "السلطة والاستقرار فى الشرق الأوسط" تحرير بيربيروجلو، ص.ص ٩٠- ١١٣.

[35] Andrew Rigby, “Living the Intifada” (London: Zed Books, 1991. P.!.

[٣٥] أندرو ريجبى، "أن يحيا المرء الانتفاضة" (لندن: كتب زد، ١٩٩١)، ص. ١

[36] F.Robert Hunter, “The Palestinian Uprising: A war by other Means” (Berkeley: University of California Press, 1991)P. 58.

[٣٦] ف. روبرت هنتر، "الانتفاضة الفلسطينية- حرب بوسائل أخرى" (بيركلى مطبعة جامعة كاليفورنيا، ١٩٩١)، ص. ٥٨.

[٣٧] المصدر السابق، ص. ص. ٥٩ - ٦٠.

[38] Zéev Schiff and Ehud Yáari, “Intifada: The Palestinian Uprising- Israel,s Third Front (New York: Simon and Schuster, 1990), p. 80.

[٣٨] زئيف شيف واهود يائرى، "الانتفاضة، الهبة الفلسطينية- جبهة إسرائيل الثالثة" (نيويورك. سيمون وشوستر، ١٩٩٠، ص. ٨.

[39] Samih K.Farsoun and Jean M. Landis, “The Sociology of an Uprising: The Roots of the Intifada”, in “Intifada: Palestine at the Cross- roads: ed Jamal R. Nassar and Roger Heacock (New York: Praeger, 1990), p.15

[٣٩] سميح ك. فارسون وجين م. لانديس، "سيكولوجية هبة: جذور الانتفاضة" فى "الانتفاضة. فلسطين ومفترق الطرق". تحرير جمال ر. نصار وروجر هيكوك (نيويورك: برايجر، ١٩٩٠)، ص. ١٥.

[40] David McDowall, “Palestine and Israel: The Uprising and Beyond” (Berkeley: University of California Press, 1989), p. 14.

[٤٠] دافيدمك دووال، "فلسطين وإسرائيل: الانتفاضة وما بعدها" (بيركلى مطبعة جامعة كاليفورنيا، ١٩٨٩)، ص. ١٤.

[٤١] فارسون ولانديس، "سيكولوجية هبة"، ص. ١٦.

[٤٢] زخارى لوكمان وجويل بينين، "الانتفاضة: الهبة الفلسطينية ضد الاحتلال الاسرائيلى" (بوسطن- مطبعة سوت اند).

[٤٣] ف. روبرت هنتر، "الانتفاضة الفلسطينية"، ص.ص. ٨٩- ٩٠.

[٤٤] المصدر السابق، ص. ٩٠.

[٤٥] المصدر السابق، ص. ٦١.

الفصل السابع

حرب الخليج :

المنافسة الإمبريالية من أجل السيطرة على الزيت فى الشرق الأوسط

حاولت القوى الإمبريالية الكبرى (الولايات المتحدة وألمانيا واليابان) خلال مجرى العقدين الماضيين استخدام واحدة أو أخرى من القوى الإقليمية الأساسية فى الشرق الأوسط (إيران والعراق) كى تضع مصالحها السياسية والاقتصادية فى المنطقة، فى المقدمة، فوق كل المصالح، وأن تضمن مدخلا إلى مصادر الزيت لتغذية الماكينات الصناعية لاقتصاداتها، ومن ثم دعم الاحتفاظ بالسيادة الكونية فوق منافسيها الاقتصاديين الرئيسيين. لقد حاولت الدولتان الرأسماليتان الصاعدتان (ألمانيا واليابان) خلال العقدين الماضيين، وفى هذه المنافسة بين القوى الرأسمالية الكبرى، حاولتا أن تؤسسا مدخلا مستقلاً إلى مصادر زيت الشرق الأوسط بتحاشى قبضة الولايات على المنطقة، فيما بعد الحرب، عن طريق سيطرتها على مجموعة من الأمم الخاضعة لنفوذها من إيران إلى السعودية إلى دول الخليج الفارسى.

إن التحدى الأكثر حداثة لألمانيا، واليابان، لهيمنة الولايات المتحدة على زيت الخليج، استنفر رد فعل سريع عن طريق تدخل عسكرى ضخم للولايات المتحدة فى العربية السعودية وغزو العراق مع الشن التالى لحرب الخليج عام ١٩٩١. لقد شنت الحرب كما هو ظاهر لدفع الجيش العراقى خارج الكويت، لكنها صممت فى الحقيقة لمعاقبة العراق على دوره فى إنشاء روابط اقتصادية وجيوبوليتيكية وثيقة مع المنافسين الاقتصاديين الكونيين عبر مدخل إلى زيت الشرق الأوسط والسيطرة عليه[١].

إيران والعراق والمنافسة بين الإمبرياليين فى الشرق الأوسط

فى الفترة من أوائل الخمسينيات إلى أواخر السبعينيات من القرن العشرين، فترة سيادة لانزاع فيها للولايات المتحدة، رسخت الولايات المتحدة نفسها بقوة فى إيران وفى بلدان أخرى من الخليج الفارسى للسيطرة على تدفق الزيت من الشرق الأوسط، وغدت الولايات المتحدة فى السبعينيات المستورد الرئيسى للزيت الإيرانى. لقد ارتفعت الصادرات الإيرانية إلى الولايات المتحدة والتى تتكون أساسا من الزيت الخام -بطريقة درامية- من ٦٠ مليون دولار عام ١٩٧٠ إلى ٢,١ مليار دولار عام ١٩٧٤ إلى ٤,٣

مليار دولار عام ١٩٨٧. وكان ذلك العام هو آخر عام في نظام الشاه وارتفعت الواردات من الولايات المتحدة بدورها ارتفاعا حاداً من ٣٥٩ مليون دولار عام ١٩٧٠ إلى ٩٧٤ مليون دولار عام ١٩٧٤ إلى ٤,١ مليار دولار عام ١٩٧٨.[٢] وبدأت المنافسات، على أي حال، تعود في النصف الأخير من السبعينيات- تعود إلى الظهور بين الإمبرياليين، بين القوى الرأسمالية العظمى- عندما بدأت قوى استعمارية كبرى مثل اليابان وألمانيا وبريطانيا وقوى إمبريالية أخرى في توسيع علاقاتها التجارية مع إيران.

ورغم أن قبضة الولايات المتحدة على إيران في فترة ما بعد الحرب قوت حكم الشاه السلطوي وأبقته في السلطة خمسة وعشرين عاما، إلا أنها استنفرت أيضا الانفتاح على القوى الرأسمالية الأخرى وترسيخ إيران كقوة إقليمية شبه استعمارية في المنطقة[٣] ولذا ارتفعت الصادرات الإيرانية (أساسا الزيت) إلى اليابان وألمانيا وبلدان أوروبية أخرى بطريقة درامية، بينما ازدادت وارداتها من السلع الاستهلاكية بالمثل من تلك البلدان في النصف الأخير من السبعينيات.[٤]

ولمواجهة تلك التطورات قامت العراق المنافس الرئيسي لإيران في المنطقة بجذب اليابان وعدد من البلدان الأوروبية مثل فرنسا وإيطاليا كي يحصلوا على احتياجاتهم من الطاقة مقابل واردات من سلع مصنعة، وهي علاقة سعت العراق إليها لتفيدها في بناء نفسها كمركز قوة إقليمية بديلة في الشرق الأوسط. وارتفعت نتيجة ذلك صادرات العراق إلى اليابان والتي تتكون أساسا من الزيت، إرتفعت من ٥ مليون دولار عام ١٩٧٢ إلى ٥٢٧ مليون دولار عام ١٩٧٦، إلى ١,٥ مليار دولار عام ١٩٧٦ إلى٥,١ مليار دولار عام ١٩٨٠، وارتفعت إلى إيطاليا من ٢٥٠ مليون دولار عام ١٩٧٢ إلى ١,٢ مليار دولار عام ١٩٧٦، إلى ٢,٦ مليار دولار عام ١٩٨٠[٥].

إن الإطاحة بنظام الشاه عام ١٩٧٩ وتولي النظام الإسلامي الجديد السلطة في إيران متبوعا بحرب العراق قد أدت بتجارة الوارد- الصادر بين إيران والولايات المتحدة إلى وقفة، لكن تجارة إيران مع اليابان وبالمثل مع ألمانيا وبلدان أوروبية أخرى استمرت لتقف على أرض قوية خلال الثمانينيات من القرن العشرين، ولذا فإنه بينما انخفضت صادرات إيران إلى الولايات المتحدة من ٤,٣ مليار دولار عام ١٩٧٨ إلى ٥٥٦ مليون دولار عام ١٩٨٢ إلى مجرد ٢ مليون دولار عام ١٩٩٠ فقد بلغت الصادرات إلى اليابان ٣,٩ مليار دولار من إجمالي صادرات إيران ٢,٣ مليار دولار عام ١٩٨٢ و ٣,٢ مليار دولار عام ١٩٩٠[٦].

وبالمثل، بينما انخفضت الواردات من الولايات المتحدة من ٤,١ مليار دولار عام ١٩٧٨ إلى ٢٠٩ مليون دولار عام ١٩٨٣، إلى ١٤٠ مليون دولار عام ١٩٩٠ فإن

الواردات من اليابان بلغت إجمالي ٣.٠٠ مليار دولار عام ١٩٧٨، ٣,١ مليار دولار عام ١٩٨٣، مليار دولار عام ١٩٩٠ وكانت الواردات من ألمانيا جزءًا هامًا من إجمالي الواردات الإيرانية، إذ بلغت إجمالي ٣.٧ مليار دولار عام ١٩٧٨، ٣.٣ مليار عام ١٩٨٣ دولار عام ١٩٩٠[٧].

لقد حدث بوضوح تحول كبير خلال العقدين الماضيين في صادرات إيران من الزيت، بعيدا عن الولايات المتحدة ونحو اليابان وبلدان أوروبية أخرى. وهذا واضح أيضًا في مصدر الواردات الإيرانية. كان هنالك هبوط حاد في الواردات من الولايات المتحدة، غير أن الواردات من اليابان وألمانيا وبلدان أوروبية أخرى زادت بصورة متواصلة عبر ذات الفترة مشيرة إلى تحول ظاهر في أنماط التحالفات السياسية التي أعلن عنها في تجارة الوارد - الصادر.

ونرى في العراق خلال أوائل الثمانينيات من القرن العشرين نمطا مماثلا من العلاقات التجارية مع بلدان رأسمالية متقدمة منافسة، لقد كانت اليابان وفرنسا وإيطاليا هي المتسلم الأساسي لصادرات زيت العراق، وكانت بالإضافة إلى ألمانيا أيضا هي المصادر الكبرى للواردات العراقية من السلع المصنعة. وبدأت الولايات المتحدة في أواخر الثمانينيات من القرن العشرين تميل بعيدا عن إيران نحو العراق، غدت المشتري الأساسي للزيت العراقي والمورد الأكبر للسلع المصنعة المنتهية، وزادت صادرات العراق إلى الولايات المتحدة من ٤٧٨ مليون دولار عام ١٩٨٧ إلى ١,٥ مليار دولار عام ١٩٨٨ إلى ٢,٣ مليار دولار عام ١٩٨٩، إلى ٣,٠٠ مليار دولار عام ١٩٩٠؛ وارتفعت واردات السلع بالمثل من الولايات المتحدة من ٧٣٢ مليون دولار عام ١٩٨٧ إلى ١,٣ مليار دولار عام ١٩٨٩ قبل أن تهبط إلى ٧٠٤ مليون دولار عام ١٩٩٠[٨].

إن المنافسة وجها لوجه بين القوى الإمبريالية الأساسية سعيًا إلى مدخل إلى إيران والعراق والمصالح التجارية قد غدت خلال الثمانينيات من القرن العشرين مكثفة عند نهاية العقد، وأدت إلى صراع قوى إقليمية بين المركزين المحليين. لقد تطلعا إلى السيطرة على الخليج الفارسي، ولأفضل وضع تساومي في مواجهة القوى الإمبريالية المتنافسة. إن غزو العراق للكويت في أغسطس ١٩٩٠ كما يشير برنارد هيدلي، "كان يحمل في طياته احتمال قلب موازين القوى الاقتصادية في الشرق الأوسط وتهديد قدرة القوى الغربية (وخاصة الولايات المتحدة وبريطانيا) على أن يكون لها نفوذ حاسم على شروط سياسة البترول وعلاقاتها"[٩]. ولاتخاذ موقف مضاد لمثل ذلك التطور

المحتمل يكتب هيدلى إن الولايات المتحدة، "أرادت استخدام قوتها العسكرية حتى تعيد تأكيد السيطرة الغربية على موراد العالم الأساسية، ولإعادة تقوية قوة الولايات المتحدة فيما يتعلق بمنافسيها الاقتصادية"(١٠). ويختتم، "إن غزو العراق للكويت قدم فرصة لتطبيق تلك الاستراتيجية العسكرية لتأكيد أن الولايات المتحدة سوف تكون القوة العظمى دون منازع"(١١).

حرب الخليج عام ١٩٩١

لقد ذهبت الولايات المتحدة إلى الحرب ضد العراق من أجل تحرير الكويت ودعم الحرية وحكم القانون ومن أجل اتخاذ موقف ضد العدوان الدولى، هذا ما قالته إدارة الولايات المتحدة لحلفائها الغربيين، والذين حكموا المنطقة بقسوة لعقود، وكذا للأنظمة العربية المعاونة معها. وقد أعلن الرئيس بوش فى خطابه فى ولايته الاتحادية، "إن نظامًا عالميًا جديداً يتعرض للخطر.. إنه النظام الذى تتقارب فيه معا أمم متباينة فى قضية عامة من أجل تحقيق الطموحات الشاملة للبشرية: السلم والأمن والحرية وحكم القانون.. إن غزو صدام حسين الذى لم يقم أحد باستفزازه.. لن يصمد"(١٢).

ولقد قيل إن كان حدوث ذلك ممكنا لعائلة الصباح فى الكويت فإنه يمكن أن يحدث أيضا للعائلة الملكية السعودية وكذا للسلاطين والأمراء وأمثالهم عبر الخليج. إن هذا يعنى أن صدام حسين سوف يسير فى المرة القادمة إلى شبه الجزيرة العربية ويستولى أخيرًا على العربية السعودية ثم منطقة الخليج كلها وأخيرًا الشرق الأوسط كله ولكن كما يشير إدوارد جرير:

> **كانت الأرضية التى قدمت للشعب الأمريكى كى يوافق على الهجوم على العراق من نوع الكذبة الكلاسيكية، إن الحرب التى يجب شنها كانت دفاعا جماعيا بحكم حق الشفعة ضد دولة إقليمية قوية مجرمة، دولة تمتلك وسائل متقدمة للدمار الشامل فى إطار عملية نشر العداء للسلم العالمى.**
>
> **إن تأمل الماضى يبين أن الأسباب المنسوبة كانت زائفة وكانت معروفة، كما يجب أن تكون لدى الرئيس، إن العراق لم تكن مستهدفة لأن حسين شن هجوما عسكريا دون أن يستفزه أحد على دولة جارة له لديها رواسب زيت كبرى، فقد فعل صدام حسين هذا تحديدا مع إيران منذ سنوات قليلة مضت مع دعم نشط من الولايات المتحدة(١٣).**

ويشير جرير:

كما أن العراق لم يكن مستهدفا لأنه كان يتحدى قرارات الأمم المتحدة التى تدين العدوان العسكرى واحتلال دولة أخرى ذات سيادة أو أراضيها، فقد كان هناك أيضا الاحتلال التركى لقبرص، والاحتلال الإسرائيلى للضفة الغربية، وهما فعلان مستمران حتى يومنا هذا بالمخالفة لقرارات مماثلة، ولم يشكلا سببا للنزاع مع الولايات المتحدة(١٤). ويضاف إلى ذلك أن العراق لم يكن مستهدفا أيضا لهجوم العسكرية الأمريكية، لأن نظام الكويت نظام العصور الوسطى..لا يجسد أية قيمة سياسية أو ثقافية عزيزة على الأمريكيين(١٥).

إن التدخل الضخم الذى قامت به الولايات المتحدة للخليج وغزو العراق لم يكن رغم الإعلانات العامة والرسمية المناقضة لذلك من أجل الديمقراطية والحرية، ولا من أجل "حكم القانون"، ولا من أجل "تحرير" الكويت، ولا من أجل السلام ولا من أجل الأمن، ولا من أجل نظام عالمى "جديد"؛ ومن المثير بحق أنه لم يكن أيضًا من أجل الإمداد المتصل من الزيت للولايات المتحدة، حيث لم تكن الولايات المتحدة تعتمد على أو تحتاج لأى قدر هام من زيت الشرق الأوسط، إذ لا يجيء غير ١٠ ٪ من استهلاك الولايات المتحدة الكلى من الزيت من هناك، إن مصادر أخرى مثل المكسيك وفنزويلا وبحر الشمال موضع ثقة أكثر وأمن أكثر، كما يمكنها أن تملأ الفراغ، لذا لماذا أثيرت مسألة الزيت أصلا؟

إن ما يبدو موضوعا معقدا يغدوا واضحا وكاشفا عندما نكتشف أن الزيت الذى تتحكم فيه شركات الزيت الأمريكية العابرة للقومية فى الشرق الأوسط، لا يقدم أساسا إلى الولايات المتحدة، لكنه يقدم أساسا إلى ألمانيا واليابان ليغذى ومن ثم يتحكم فى الحياة الصناعية للمنافسين الرئيسيين للولايات المتحدة فى العالم الاقتصادى، إن ألمانيا واليابان هما قوى اقتصادية صاعدة، بينما بريطانيا والولايات المتحدة ينحدران.. إن ألمانيا واليابان لم يكونا باعتبارهما قوى اقتصادية صاعدة مهددين تحديدا عند اغتصاب العراق للموارد الكويتية.. وكان رد فعل بريطانيا هو رد الفعل المعاكس بالضبط(١٦).

إن الكويت والعربية السعودية وإمارات البترول قد لعبت باعتبارها دولا موالية للولايات المتحدة دوراً أساسيا فى ضمان سيادة الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط، وسيطرتها التالية لذلك على تدفق الزيت من هذه المنطقة، ويكتب توم ماير، "إن إبطال

السيادة الأمريكية المطلقة على الدول المنتجة للبترول فى الخليج الفارسى سوف يهدد وضع الولايات المتحدة بالنسبة لمنافسيها التجاريين الأساسيين"(١٧). ولذا يضيف ماير، "لا يكاد يكون أمرا مثيرا للدهشة أن تلجأ الولايات المتحدة إلى الحرب لطرد تحد ما للحالة الإمبراطورية الراهنة، طبقا للنمط التقليدى لانحدار القوى الاقتصادية (مثلا، روما الإمبراطورية فى القرن الرابع، أسبانيا فى القرن الخامس عشر، بريطانيا فيما قبل الحرب العالمية الأولى) معرضين دوما لإغراء تعويض الضعف الاقتصادى بالقوة العسكرية"(١٨).

إن أهمية سيطرة الولايات المتحدة على منابع الزيت فى الشرق الأوسط تصبح واضحة عندما يضع المرء البديل فى الحسبان، كيف كان يمكن أن يكون العالم مختلفا لو كانت آبار الزيت الخاضعة الآن لسيطرة شركات زيت الولايات المتحدة خاضعة فى الحقيقة لسيطرة شركات ألمانيا واليابان!

المنافسات فيما بعد الحرب الباردة فى الاقتصاد السياسى للشرق الأوسط

ما ان انتهى الاقتصاد السياسى لما بعد الحرب الباردة -اقتصاد العداوات الإقليمية- بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى السابق فى الشرق الأوسط، حتى بزغت هذه المنطقة كحلبة منافسات ظاهرة بين قوى العالم الرأسمالية العظمى حول منابع الزيت الحيوية لاقتصادياتهم. لقد وجدت القوى الاستعمارية الأساسية -المحصورة فى المنافسات الاستعمارية البينية بهدف السيطرة على المواد الخام، والعمل الرخيص، وأسواق جديدة، ومعدلات أعلى من الربح عبر الكون- وجدت فى العراق وإيران مركز قوة بديل محتمل للسيطرة على الزيت وتنظيم تدفقه.

إن كل من ألمانيا واليابان كانتا تبحثان بوضوح على مدى عقدين عن قوة وكيلة فى الخليج، وقد نظر إلى العراق لأسباب متعددة، منها تمويلها للحرب العراقية الطويلة مدة عقد ضد ايران، نظر إليها باعتبارها القوة التى يمكن أن تضمن لليابان وألمانيا موضع قدم مستقبلى فى الشرق الأوسط، ومن ثم فإن انحدار نفوذ الولايات المتحدة فى المنطقة بعد الشاه وبعد سياسات القوة السعودية وصعود ألمانيا واليابان عبر توسيع سيادة العراق على شبه الجزيرة العربية والخليج، يمكن أن يضمن لألمانيا واليابان

مدخلا مباشرا رئيسيا إلى منابع الزيت فى الشرق الاوسط متجاوزا الوضع التقليدى المهين لشركات الزيت الأمريكية فى المنطقة.

إن تجاوزات الولايات المتحدة فى المنطقة فى فترة مبكرة من السيطرة الإمبراطورية البريطانية على الشرق الأوسط وضعتها فى منافسة مباشرة مع بريطانيا فوق تلك الأراضى من إيران إلى العراق إلى الأردن إلى مصر، وأسفل إلى شبه الجزيرة العربية بما فى ذلك منطقة الخليج كلها. والآن وبعد ما يقرب من نصف قرن غدت منافسة ذات القوى العظمى متداخلة فى نزاع مرة أخرى فى ذات الأراضى الإستراتيجية ولذات السبب ألا وهو السيطرة على البترول.

إن تحلل الاتحاد السوفيتى كقوة عسكرية عظمى -والذى لعب دوراً أساسيًا فى كبح تجاوزات الولايات المتحدة عبر العالم- سمح للولايات المتحدة بالتدخل فى الخليج والنجاح (لفترة على الأقل) فى هزيمة منافسيها الرئيسيين، ألمانيا واليابان، منكرة عليهما مدخلا مباشر إلى منابع الزيت الذى هو أساس لاستقلالهما الاقتصادى ووضعهما القيادى فى الاقتصاد العالمى. ومما يثير العجب أن المنافسين اللذين هزمت مناوراتهما- ألمانيا واليابان- قد دفعا جزءا جوهريا من تكاليف عملية صممت لقمعها[١٩]، كانت تكلفة العراق باهظة فى كل من البشر والشروط المادية، لقد قتل ما يزيد عن مائة ألف جندى عراقى وآلاف المدنيين الأبرياء فى مذبحة التكنولوجيا العالية التى وجهتها إلى العراق القوة الإمبريالية الرئيسية العظمى- الولايات المتحدة[٢٠].

والآن وقد تم ضمان الوضع الذى كان فى الخليج قبل أغسطس ١٩٩٠، وترسخ وضع الولايات المتحدة أكثر فى الشرق الأوسط، فما هى دروس حرب الخليج حتى نتعرف على المجرى المستقبلى للمنافسة بين الدول الامبريالية الكبرى فى اقتصاد العالم فى القرن الواحد والعشرين؟

إن ألمانيا وقد خرجت من مدخل مباشر إلى زيت الشرق الأوسط فانها باعتبارها القائد الواقعى للجماعة الأوروبية، سوف تلعب دورا أساسيا متزايدا داخل الجماعة الأوروبية وفى العلاقات مع دول الجوار فى شرق أوروبا، وسوف تمتد العلاقات إلى عدد من جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق وخاصة روسيا وأكروانيا، كما أن لألمانيا علاقة خاصة مع الاتحاد السوفيتى السابق من خلال اتفاقية خطوط أنابيب الغاز الطبيعى الألمانية- السوفيتية سيئة السمعة، والتى عقدت فى أواخر ثمانينيات القرن العشرين، يضاف إلى ذلك الارتباط مع الجزائر عبر فرنسا (للغاز الطبيعى) ومع ليبيا عبر إيطاليا (من أجل الزيت) ومع بريطانيا (من أجل زيت بحر الشمال) وهى يقينا ارتباطات داخل دائرة الاحتمالات لصالح الجماعة الأوروبية أو ألمانيا.

وحيث إن الاقتصاد الأوروبى يواصل توسعه عبر نشاط تجارى متزايد بين الدول الأعضاء، وحيث إن الجماعة الأوروبية تتماسك أكثر فأكثر من خلال تكامل أكبر فى بنية اقتصادية قارية تواصل فيها ألمانيا لعب دور رئيسى، فإن الجماعة الأوروبية ونواتها ألمانيا سوف تمثل بصورة متزايدة تحديا قادرا على البقاء لسلطة الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط فى الفترة القادمة.

يضاف إلى ذلك أن وجود صلة وثيقة بين ألمانيا وتركيا ترجع إلى علاقة بعيدة بين البلدين منذ الفترة العثمانية، يمكن أن تنجح فى جذب تركيا بعيدا عن مدار الولايات المتحدة لضمان عضوية تركيا فى الجماعة الأوروبية. وربما يفتح هذا مدخلا إلى حقول الزيت فى شرقى تركيا قرب الحدود مع العراق، ويمتد نفوذ ألمانيا عبر تركيا إلى حلفاء الأخيرة فى آسيا الوسطى، أذربيجان، حيث تجرى مبادلة زيت باكو بالعملة الصعبة؛ عندما يصبح أى من هذه الاحتمالات حقيقة فإنه من الواضح أن قوة اقتصادية صاعدة مثل ألمانيا لا يمكنها أن تتظاهر طويلا بتحديها للولايات المتحدة بينما تواصل على طول الخط الاعتماد عليها من أجل الحصول على أكثر مصدر حيوى من المواد الخام لها، الزيت.

ولليابان مدخل أكثر محدودية، غير أنه مايزال مدخلاً قادراً على البقاء إلى منابع الزيت فى جزئها من العالم. إن المصدر الأكثر احتمالا هو الصين، حيث، استثمرت اليابان بالفعل أكثر من ٢٠ مليار دولار، وحيث تتمتع بتعددية فوائد المشروعات المشتركة. إن الصين باعتبارها واحدا من أكبر منتجى الزيت فى العالم سوف تكون أكثر من متحمسة لبيع طاقتها الزائدة بأسعار دون مستوى أسعار السوق العالمى، وتضمن فى ذات الوقت مصدرا ثابتا لأرباح مضمونة من صادراتها لهذه السلعة الحيوية إلى اليابان والاقتصاديات الصاعدة فى المنطقة. إن الزيت فى فيتنام وأندونيسيا ودول آسيوية جنوبية شرقية أخرى، كذا من سيبيريا، يمكن بالمثل أن يغطى جزءاً هاماً من الطلب اليابانى، ويعاون اليابان على التخلص من اعتمادها على إمداد زيت الشرق الاوسط الذى تسيطر عليه احتكارات زيت الولايات المتحدة.

والآن، والولايات المتحدة ماتزال تسيطر بقوة على حقول زيت الشرق الأوسط بينما تتحرك أوروبا فى ذات الوقت قدما وبكامل تكاملها، وبينما اليابان تواصل توسيع دورها ونفوذها فى الاقتصاد العالمى، وخاصة فى الحافة الباسيفيكية، فإنه ليس هنالك من شك فى أن صداما آخر للمصالح لابد وأن يشتعل فى كوريا، فى ليبيا، فى الفلبين، فى أندونيسيا، فى يوغسلافيا السابقة، أو مرة أخرى فى الخليج؟ كجزء فى المنافسة

طويلة المدى بين العمداء الرئيسيين للاقتصاد العالمي فى نهاية القرن العشرين والسنوات الأولى للقرن الواحد والعشرين.

خاتمـــــة

منذ الإطاحة بنظام الشاه فى إيران عام ١٩٧٩ ولحوالى عقدين كانت العراق وإيران فى مركز المنافسات بين الدول الإمبريالية الأساسية للنظام الرأسمالى العالمى: الولايات المتحدة واليابان وألمانيا وبلدان أوروبية أخرى كبرى وعديدة، إن الحرب الطويلة والدموية بين إيران والعراق خلال ١٩٨٠- ٨٨ فشلت فى تحقيق حل كلى لصراع القوة بين هذه القوى الإقليمية المتنافسة فى الشرق الأوسط، وغدت الولايات المتحدة هى الحكم الأساسى فى تحديد توازن القوى بين هاتين الدولتين الصاعدتين بالوقوف أولا إلى جانب إيران، ثم مع العراق، وفى النهاية ضد الاثنين، وقد قامت كل من اليابان وألمانيا وفرنسا وبريطانيا وإيطاليا بدورها ببناء شراكة تجارية مع إيران أو العراق الواقعتين فى صراع قوة يتحدى الهيمنة التقليدية لهذه المنطقة بواسطة مصر أو العربية السعودية تحت وصاية الولايات المتحدة الإمبريالية.

لقد غدت حرب الخليج حالة اختبار للسيطرة الإقليمية فى إطار السياق الأكبر لجيوبوليتيكات الشرق الأوسط. إن التدخل المباشر للولايات المتحدة فى حربها ضد العراق قد غدا، من ثم، رد الفعل المحدد للاضطراب السياسى الذى اكتنف المنطقة فيما بعد الحرب الباردة. إن استعراض عضلات ماكينة الولايات المتحدة العسكرية فى الخليج كان، من ثم، معنيا بإرسال رسالة واضحة للمنافسين الإمبرياليين الرئيسيين، رسالة تقول إن الولايات المتحدة تواصل لعب دور رئيسى فى الاقتصاد السياسى للشرق الأوسط، وإن هذا الدور الذى كان دوراً مهيمنا خلال فترة ما بعد الحرب قد أعيد بناؤه مرة أخرى فى النظام العالمى الجديد لما بعد السوفيت وما بعد الحرب الباردة ليحدد الآن معايير سياسات القوة العظمى فى الشرق الأوسط.

الهوامش

[1] For varied explanations on the nature and causes of the Gulf War of 1991, see "The Gulf War and the New World Order", ed. Bresheeth and Yuval-Davis. See also Robert Brenner, "Why Is the United States at War with Iraq?" New Left Review, no. 185 (1991); Tom Mayer, "Imperialism and the Gulf War," Monthly Review 42, no. 11 (1991); Michael Tanzer, "Oil and the Gulf Crisis," Monthly Review 42, no. 11 (1991); Bernard D. Headley, "The 'New World Order' and the Persian Gulf War," Humanity & Society 15, no. 3 (1991); Edward Greer, "The Hidden History of the Iraq War", Monthly Review 43, no. 1. (1991); and Berch Berberoglu, "The Political Economy of the Gulf War," Humanity & Society 17, no. 1 (1993).

[١] من أجل تفسيرات متنوعة حول طبيعة وأسباب حرب الخليج عام ١٩٩١، انظر "حرب الخليج والنظام العالمي الجديد" تحرير بريشيث ويوفال دافيس. انظر أيضا روبرت برينر، "لماذا الولايات المتحدة في حرب مع العراق؟" نيولفت ريفيو، رقم ٨٥، (١٩٩١)؛ ادوارد جرير، "التاريخ الخفي للحرب العراقية، "مونثلي ريفيو ٤٣، رقم ١ (١٩٩١)؛ وبيرش بيربيروجلو "الاقتصاد السياسي لحرب الخليج، "الإنسانية والمجتمع ١٧"، رقم ١ (١٩٩٣).

[2] International Monetary Fund, "Direction of Trade Statistics, Year- book 1970- 76" (Washington, D.C.: IMF, 1977),PP. 1982, PP. 207- 8., 1987, PP. 229-30., 1991, PP. 226-27.

[٢] صندوق النقد الدولي، "اتجاه الاحصائيات التجارية، الكتاب السنوي ١٩٧٠- ٧٦" (واشنطن دي. سي اي ام اف، ١٩٧٧)، ص. ص. ١٤٨- ٤٩؛ ١٩٨٢، ص.ص. ٢٠٧- ٨؛ ١٩٨٧، ص.ص. ٢٢٩- ٣٠؛ ١٩٩١، ص.ص. ٢٢٦- ٢٧.

[3] Patrick Clawson,"The Internationalization of Capital and Capital Accumulation in Iran," in "Oil and Class Struggle", ed. Peter Nore and Terisa Turner (London: Zed Press, 1980).

[٣] باتريك كلاوسون، "تأميم رأس المال وتراكم رأس المال في إيران"، في "الزيت والنضال الطبقي،" تحرير بيتر نور وتريزا تيرنر (لندن. مطبعة زد، ١٩٨٠)

[4] See Kaoru Sugihara,"Japan the Middle East, and the World Economy", in "Japan in the Contemporary Middle East", ed. K. Sugihara and J.A. Allan (London: Routledge, 1993), PP. 1- 13.

[٤] انظر كاورو سوجيهارا، "اليابان والشرق الأوسط والاقتصاد العالمي" في "اليابان في الشرق الأوسط

المعاصر"، تحرير ك. سوجيهارا، و ج.أ. الان (لندن: روتليدج، ١٩٩٣)، ص.ص. ١٣٠١.

[٥] صندوق النقد الدولي،"اتجاه الاحصائيات التجارية،" ١٩٧٠- ٧٦، ص.ص. ١٥٠- ٥١: ١٩٨٢، ص.ص. ٢١٠-١١: ١٩٨٧، ص.ص. ٢٣١-٣٢: ١٩٩١، ص.ص. ٢٢٨- ٢٩.

[٦] المصـــــدر الســـــابق، ١٩٧٠-٧٦، ص.ص. ١٤٨- ٤٩: ١٩٨٢، ص.ص. ٢٠٧-٠٨، ١٩٨٧، ص.ص. ٢٢٩-٣٠: ١٩٩١، ص.ص. ٢٢٦-٢٧.

[٧] المصدر السابق، ١٩٧٠-٧٦، ص.ص. ١٤٨-٤٩، ١٩٨٢، ص.ص. ٢٠٧-٠٨، ١٩٨٧، ص.ص. ٢٢٩-٣٠: ١٩٩١، ص.ص. ٢٢٦-٢٧.

[٨] المصـــــدر الســـــابق، ١٩٧٠-٧٦، ص.ص. ١٥٠-٥١: ١٩٨٢، ص.ص. ٢١٠-١١: ١٩٨٧، ص.ص. ٢٣١-٢٣٢: ١٩٩١، ص.ص. ٢٢٨-٢٩.

[٩] هيدلي،"النظام العالمي الجديد وحرب الخليج الفارسي"، ص. ٣٢٢.

[١٠] المصدر السابق، ص. ٣٢٣.

[١١] المصدر السابق.

[١٢] مقتبسة في برينر،" لماذا الولايات المتحدة في حرب مع العراق؟"ص. ١٢٢

[١٣] جرير،" التاريخ الخفي لحرب العراق، ص. ٦.

[١٤] المصدر السابق، ص.ص. ٦-٧.

[١٥] المصدر السابق، ص. ٧.

[١٦] ماير،"الإمبريالية وحرب الخليج"، ص.ص. ٣-٤.

[١٧] المصدرالسابق، ص ٤.

[١٨] المصدر السابق.

[١٩] فرض على اليابان دفع حوالي ١٣ مليار دولار، وألمانيا حوالي ١٠ مليار دولار كجزء من "نصيبهما" في تكاليف الحرب لضمان انتصار الولايات المتحدة، أنظر كريستوفر نولتون وكارلارابوبورت، "ألمانيا واليابان: غائبتان عن الفعل"، فورتشن، مارس ١٩٩١، ص. ٥٨.

Chiristopher Knoolton and Carla Kapoport, “Germany& Japan: Missing in Action,”Fortune, 11 March 1991, P. 58.

[٢٠] أنظر النيويورك تايمز، ٢٨ مارس ١٩٩١، نسخة طبق الأصل من مقابلة الجنرال نورمان شوارتزكوف في "حديث مع دافيد فروستا"، والذي قال الجنرال فيه."في وسعي تقدير.. أننا قد قتلنا بسهولة أكثر من ١٠٠٠٠٠ جنديا عراقياً" مقتبسه في جرير، "التاريخ الخفي لحرب العراق"، ص. ٣.

الفصل الثامن

النظام العالمى الجديد فيما بعد الحرب الباردة وإمكانية السلام فى الشرق الأوسط

كانت حرب الخليج عام ١٩٩١ ناتجا لنهاية الحرب الباردة، وهى التى أعدت المسرح لظهور«النظام العالمى الجديد»، النظام الذى صمم ليحل محل اضطراب سنوات ما بعد الحرب، مع بعث جديد لإمبراطورية الولايات المتحدة التى يمتد مداها إلى كل ركن من أركان العالم[١]. لقد غدت الولايات المتحدة -فى غياب الاتحاد السوفيتى، الذى كان أشبه بميزان موازلها فى الشئون الدولية، وخاصة فى الشرق الأوسط- غدت الحكم الوحيد للنزاعات، وكذا القوة الكبرى وراء عملية السلام فى الشرق الأوسط، والتى كانت تدفع بها سياسة المصالح الأجنبية للولايات المتحدة[٢].

إن مسألة الحقوق الفلسطينية فى الأراضى المحتلة، والسياسات المحلية والخارجية للحكومة الإسرائيلية، ودور الدول العربية فى الانحيازات السياسية الإقليمية، كانت كلها مصنفة بعد حرب الخليج فى إطار المصالح الإستراتيجية للولايات المتحدة؛ ولسوء الحظ فإن مشاكل الشرق الأوسط، والتى كانت مشاكل محلية، وتحتاج إلى حلول محلية، غدت مركبة عندما بدأت تعكس بصورة متزايدة سياسة المصالح الخارجية للولايات المتحدة فى المنطقة.

إن مدخل الولايات للاضطراب السياسى فى الشرق الأوسط أهمل السياق القومى والإقليمى للنزاع العسكرى خلال العقود العديدة الماضية. إن هذا الإهمال يصدر عن مصالح كونية جيوبولبتيكية أكثر اتساعا، مصالح حددتها منافسة الاقتصاد السياسى للقوى العظمى فيما بعد الحرب، منافسة غذتها الحرب الباردة[٣]. ونتيجة ذلك أن النزاعات الإقليمية التى دفعت بها ديناميكات محلية واجتماعية وسياسية أعيد تحديدها وتعريفها بواسطة تدخلات إمبريالية خارجية فى الشئون الداخلية، فى نمط نيوكولونيالى نموذجى، كانت هذه هى الحالة فى لبنان فى الثمانينيات من القرن العشرين، حيث كان للحرب والدمار فيما بعد الحرب الأهلية والغزو الإسرائيلى تأثير كبير على سياسات المنطقة[٤]. وكانت هنالك منطقة أخرى لمثل ذلك النزاع هى قبرص والتى اندفعت من قبل فى حرب مع الغزو التركى للجزيرة عام ١٩٧٤[٥].

إن السماح الانتقائى للدول الاستعمارية بحل عسكرى للمطالب السياسية والإقليمية طويلة المدى لدول محلية أدى إلى الحرب الإيرانية- العراقية فى الثمانينيات وهو عمل غذته الولايات المتحدة لضرب استقرار النظام الإيرانى الجديد[٦]. إن العلاقة الوثيقة التالية بين الولايات المتحدة وصدام حسين فى الحرب ضد إيران أعدت المسرح لظهور

العراق كقوة إقليمية، وهو تطور سمح بإعادة تشكيل توازن القوى فى الشرق الأوسط بصورة أكثر مواتاة للولايات المتحدة[٧]. ولذا، فإنه بعد "فقدان" إيران، وإثر الثورة الإسلامية، غدت العراق هى من يقدم التسهيلات للمصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة فى المنطقة حتى غزوها للكويت.

إن النفوذ المتزايد لأوروبا واليابان فى الشرق الأوسط خلال الثمانينيات من القرن العشرين وأزمة الاتحاد السوفيتى السابق فى نهاية العقد أعطى للولايات المتحدة الفرصة التى تتحرك من خلالها كى تمسك مرة أخرى بوضعها المنحدر فى الشرق الأوسط. حركة أدت إلى التدخل الضخم للولايات المتحدة فى الخليج الفارسى، وإلى شن حرب الخليج عام ١٩٩١[٨]. لقد كانت حرب الخليج وسيلة لإعادة تأكيد الدور التقليدى للولايات المتحدة للسيطرة على منطقة ضربتها الإمبريالية والحرب والاضطراب السياسى.

إن فهم وإدراك مثل تلك التطورات فى السياق الأكثر اتساعا للنزاعات فى الشرق الأوسط يقتضى من المرء تناول المسألة الفلسطينية، والقمع الذى واجهه الأكراد فى العراق وتركيا، وبالمثل إعادة تشييد لبنان، وحل النزاع القائم فى قبرص، والسيطرة على القلق السياسى النابع من صعود الأصولية الإسلامية فى المنطقة؛ إن تلك، وحقائق أخرى للحياة، لم تحل فى الشرق الأوسط قد احتلت مرة أخرى مكانة مركزية فى التطورات السياسية فيما بعد حرب الخليج. وجاءت بمجموعات جديدة من التناقضات الكونية إلى المقدمة، ووضعت الولايات المتحدة فى مركز تلك النزاعات، وهى حالة يمكن أن تؤدى إلى نتائج غير معروفة، ولا يمكن التنبؤ بها، نتائج ذات تأثير أبعد بكثير على السياسات الإقليمية من تلك التى كانت مقصودة فى الأصل.

إن الغزو الإسرائيلى للبنان عام ١٩٨٢ مثلا، والذى قصد استئصال الوجود الفلسطينى القوى فى ذلك البلد فيما بعد الحرب الأهلية اللبنانية[٩] قد أدى على الرغم من ذلك إلى مجموعة من التناقضات، ذهبت فيما وراء المسألة الفلسطينية كما هى، وامتدت إلى طبيعة المقاومة المعادية لإسرائيل، ليس فقط فى لبنان ولكن أيضا فى الأراضى المحتلة وفى إسرائيل ذاتها. ومن ثم، فإن نمو وتوسع الحركة الأصولية والإسلامية فى المنطقة غدا نتيجة غير مقصودة لتصميم إسرائيل على إنهاء قوة ونفوذ منظمة التحرير الفلسطينية فى لبنان، وهى حركة محسوبة على الجانب الإسرائيلى حركة أخفقت وجعلت الوضع أكثر سوءاً، لقد غذت سياسة الولايات المتحدة الانتباه الإسرائيلى الذى تجسد فى ملاحقة منظمة التحرير الفلسطينية فى جنوب لبنان مما اقتضى من الولايات المتحدة ثمناً باهظا فيما بعد.

لقد أدت الأزمة فى لبنان خلال الثمانينيات من القرن العشرين إلى عقد طويل من النزاع الذى قسم البلد على امتداد خطوط اثنية دينية فى العاصمة، أصبح مسلمو غرب بيروت، الذين نظر إليهم باعتبارهم منبت الأصولية الإسلامية والحصن القيادى لمنظمة التحرير الفلسطينية، أصبحوا فى وضع مضاد للشرق "المسيحى" والذى كان يتمتع بحماية كل من الولايات وإسرائيل فى بيروت منذ أوائل الثمانينيات من القرن العشرين[١١]. وجاءت دفعة مماثلة فى الجنوب زحزحت حدود الالتحام السياسية والعسكرية بين الجانبين لتؤدى بصورة فاعلة إلى عزلة المجتمع الإسلامى فى لبنان، والذى لم يكن له من ملاذ غير احتضان موطىء القدم الاستراتيجى السورى فى البلاد.

إن الوجود الكثيف السورى فى الشمال والشرق حتى المنطقة الساحلية حول بيروت وإلى الجنوب استهدف معادلة القوات الإسرائيلية، والتى كانت مصممة على البقاء فى جنوب لبنان كمنطقة عازلة ومسرح عمليات ضد منظمة التحرير الفلسطينية[١٢].

إن الغزوة الإسرائيلية لجنوب لبنان وعزلة غرب بيروت ومدن لبنانية أخرى تقطنها غالبية من السكان المسلمين دعت على أى حال إلى المزيد من الوجود الأصولى الراديكالى فى بيروت وعبر البلاد التى حولت لبنان إلى منبت للنزاع والعنف[١٣].

إن القوى السياسية وقد عمدت إلى تأكيد هيمنتها فى لبنان لجأت، من ثم، بصورة متزايدة إلى الدين كقوة حاشدة لتجريد الشعب وفرض إرادتها فى السياسات القومية. ولذا، فإن السياسات العلمانية التى اتسمت بها الثقافة السياسية اللبنانية لعقود انزلقت إلى نزاع يقوم على الفتنة، وظهرت تعددية لمراكز قوة جديدة داخل الحيز الدينى، مراكز تقوم على الفرقة والشقاق، والتى غذت حدودها، دون جهد، هى خط المعركة الذى قسم المدينة الى مناطق عسكرية سياسية متنازعة.

وتحولت بيروت من مدينة التسامح الاثنى والقومى والدينى والسياسى إلى أرض قتال لمعارك فرقة وشقاق جاءت بالدمار والموت. إن جراح الحرب والمعاناة الإنسانية التى سببتها القوى العظمى قد حولت شعب لبنان إلى متشككين يرتابون فى إمكان التوفيق بين الأطراف المتعارضة على الإطلاق، ولكن حيث إن إعادة البناء الاقتصادى والاستقرار السياسى عزز تدريجيا العودة إلى الحالة الطبيعية فى بيروت خلال السنوات القادمة فإنه يمكن للبنان أن يتمتع مرة أخرى بالسلام الذى سوف يضيف، فى حدود محدودة، إلى الجهد من أجل إنهاء الحرب والاضطراب السياسى فى الشرق الأوسط.

إن مأزق الأكراد فى العراق وتركيا وإنكار حقهم فى تقرير المصير القومى سوف يواصل ملازمته للأمم التى تقمع المطالب الكردية الساعية إلى رسم خريطة مصيرهم القومى[١٤].

إن القمع المتصل للشعب الكردى فى العراق وتركيا فيما بعد حرب الخليج سوف يزيد من تقوية تصميمه على كسب حريته وتحديد مصيره فى كردستان حرة مستقلة. إن الأكراد باعتبارهم واحدا من الشعوب القليلة المتبقية فى العالم والذى حرم من وطن قومى له سوف يواصل دون شك النضال، وسوف ينجح فى النهاية فى أخذ مكانه الصحيح بين جماعة الدول القومية فى المستقبل الذى هو ليس ببعيد إلى حد كبير.

إن النضال الطويل للشعب الفلسطينى من أجل تقرير المصير القومى عبر العقود العديدة الماضية يشهد على أى حال على الطبيعة الممتدة للنضال من أجل الحكم الذاتى القومى والذى كان من الصعب تحقيقه[١٥]. إن الانفجار الأخير للعنف فى إسرائيل والذى كان رد فعل فى مواجهة تشييد مستوطنات جديدة فى شرق أورشليم قد كشف مرة أخرى الطبيعة المتقلبة لعملية السلم، وبيّن بوضوح للغاية العناد الإسرائيلى حول مستقبل الأراضى المحتلة. إن الموجة الجديدة من الاضطراب بين الفلسطينيين فى غزة والضفة الغربية يذكرنا مرة أخرى بأن الفصل الأخير حول الحرب والسلام فى هذه المنطقة القلقة من العالم مازال لم يكتب بعد.

سوف تبنى المستوطنات وتفك، وسوف تكون مصادر إرهاب الأفراد والدولة مستهدفة وسوف يجرى تحطيمها، ومع ذلك، فإن أشكالاً جديدة من العنف سوف تثير دون شك نيران الحرب والتدمير. إن الشقاق الاثنى والنزاع الدينى والاضطرابات القومية والثورةالاجتماعية سوف تواصل تغيير المنظر الطبيعى الاجتماعى الاقتصادى والسياسى المركب لهذه المنطقة من العالم الغنية بالبترول، كما ستفعل ذلك أيضا الإمبريالية والحرب والاضطراب السياسى.

ليس أمراً محتمًا أن منطقة أو أمة أو شعبًا سوف يكون الضحية الدائمة لقوى اجتماعية عجزت إلى حد كبير عن السيطرة عليها، لأنها فى الغالب لم تكن هى وحدها التى ترسم خريطة التاريخ. حقا، إن القوى القوية لعبت دوراً مهيمناً فى تحديد ناتج قرون من الشقاء البشرى الممتد، غير أن العديد من تلك القوى سواء كانت إمبراطوريات أو دولا قومية أو طبقات مستغلة أو ديكتاتوريات عسكرية أُلقى بها فى النهاية فى مزبلة التاريخ عندما سادت الإرادةَ الجماعية للشعب المصمم، سادت على قوى القهر والقمع. هل يمكن للمرء أن يتوقع أقل من ذلك (أو يأمل فى أقل من الممكن) لأناس الشرق الأوسط؟

الهوامش

[١] بريشيث ويوفال- دافيس، محرران،"حرب الخليج والنظام العالمى الجديد".

[٢] المصدر السابق، ص.ص. ٢٤- ٢٨، ٢٤٣- ٥٦.

[3] Fawaz A. Gerges, "The Superporwers and the Middle East" (Boulder, Colo: Westview Press, 1994). Peter Maugold, "Superpower Intervention in the Middle East" (New York:St. Martin Press, 1978).

[٣] فواز أ. جرجس، "القوى العظمى والشرق الأوسط" (بولدر، كولورادو: مطبعة ويست فيو، ١٩٩٤، بيتر ماوجولد،" تدخل القوة العظمى فى الشرق الأوسط" (نيويورك" مطبعة القديس مارتين، ١٩٧٨).

[٤] ب-ج. عودة "لبنان: ديناميكات النزاع" (لندن: كتب زد، ١٩٨٥).

[5] Michael A. Attalides, "CYPRUS: Nationalism and International Politics" (New York: St. Martin,s Press, 1979), PP. 174-79. See Christopher Hitchens, "Cyprus" (New York: Quartet Books,1984).

[٥] ميشيل أ. اتاليدس،"قبرص. القومية والسياسات الدولية" (نيويورك مطبعة القديس مارتين، ١٩٧٩)، ص.ص. ١٩٧٤- ٧٩. إن الغزو التركى لقبرص كان نتاجا لسياسة الولايات المتحدة لتحقيق توازن لقوى حليفين فى الناتو فى المنطقة، تركيا واليونان، من خلال انقلاب بقيادة الـ سى آى إيه للجناح اليمينى العسكرى جاء بالجنرالات إلى السلطة عام ١٩٧٤، ثم قام الجنرالات حينذاك بتحركات لدمج قبرص فى اليونان، وتدخلت الولايات المتحدة حينذاك فى الشئون الداخلية لتركيا، عن طريق استدراج الأخيرة كى تستجيب لهذا التحدى عن طريق غزو الجزيرة بعد ذلك بقليل، انظر كريستوفر هيتشن،"قبرص" (نيويورك، كتب كوارتيت، ١٩٩٠).

[6] W. Thom Workman, "The Social Origins of the Iran- Iraq War" (Boulder, Colo: Lynne Rie nner, 1994). See also Dilip Hiro, "The Longest War: The Iran- Iraq Military Confict" (London: Paladin, 1990).

[٦] و. ثوم وركمان،"الأصول الاجتماعية لحرب إيران- العراق" (بولدر، كولورادو لين رينر، ١٩٩٤). انظر أيضا ديليب هيرو، "أطول حرب: النزاع العكسرى الإيرانى- العراقى" (لندن بالادين، ١٩٩٠).

[7] Sami Yousif. "The Iraqi- U.S War", in "The Gulf War and the New World Order", ed. Bresheeth and Yural- Davis, PP. 62- 68.

[٧] سامى يوسف،"حرب العراق- الولايات المتحدة،" فى "حرب الخليج والنظام العالمى الجديد"، تحرير بريشيث ويورال دافيس، ص.ص. ٦٢- ٦٨.

[٨] بريشيت ويورال دافيس، محرران "حرب الخليج والنظام الجديد" من أجل تحليل دور الولايات المتحدة فى المنافسة بين الاستعماريين بهدف السيطرة على الزيت فى هذه الفترة الحديثة للغاية لسياسات القوة العظمى فى الشرق الأوسط. انظر الفصل السابع من هذا الكتاب.

[٩] عودة، "لبنان: ديناميكات النزاع"، ص.ص. ١٢١-٧٢، ١٨٩- ٢٠٨.

[10] David McDowall, "Lebanon: Aconfict of Minorities" (London: Minority Rights Group, 1985), P.16.

[١٠] دافيد مك دووال. "لبنان. نزاع الأقليات" (لندن: مجموعة حقوق الأقلية، ١٩٨٥)،ص.١٦.

[11] Michael Jansen, "The Battle of Beirut: Why Israel Invaded Lebanon" (London: Zed Press, 1982).

[١١] ميشيل جانسن،"معركة بيروت: لماذا غزت إسرائيل لبنان" (لندن: مطبعة زد، ١٩٨٢).

[١٢] عودة،"لبنان: ديناميكات النزاع ، ص.ص. ١٧٣- ٨٦.

[١٣] المصدر السابق.

[١٤] دافيد مك دووال،" الأكراد: أمة غير معترف بها" (لندن: مطبعة حقوق الأقلية، ١٩٩٢).

[15] Andrew Regby, "Living the Intifada" (London: Zed Books, 1991). See also Adel Samara et., "Palestine: Profile of an Occupation" (London: Zed Books, 1989).

[١٥] أندرو ريجبى، " أن تعيش داخل الانتفاضة" (لندن:كتب زد، ١٩٩١)، انظر أيضًا عادل سمارا، فلسطين: منظر جانبى لاحتلال ما" (لندن. كتب زد، ١٩٨٩).

المراجع أبجديا

- Abdullah. Samır. 1996. "The Middle East Peace Dilemma". Cairo: Economic Research Forum.

  – عبدالله، سمير. ١٩٩٦. "معضلة سلام الشرق الأوسط" القاهرة منتدى البحث الاقتصادى.

- Aburish, Saıd K.1996. "The Rise, Corruption, and Coming Fall of the House of Saud". New York: St. Martin prss.

  – أبو ريش، سعيد ك. ١٩٩٦ «صعود وفساد وسقوط بيت سعود». نيويورك مطبعة القديس مارتن.

- Aksoy,S. 197۱. Tiirkiye' de Toprak Meselesi (The land question in Turkey). Istanbul: Gerçek Yayinevı.

  – آكسوى ،س. ١٩٧١. "مسألة الأرض فى تركيا". اسطنبول جيريك يايينيفى.

- Alnasrawi, Abbas. 1994, "Economic Devastation, Underdevelopment and out Look". In "Iraq Sınce the Guif War", edited by Fran Hazelton. London: Zed Books.

  – الناصراوى، عباس. ١٩٩٤. "التخريب الاقتصادى، التخلف والترقب"، فى "العراق منذ حرب الخليج"، تحرير فران هازلتون. لندن: كتب زد.

- Amın, Sarnir. 1978. "The Arab Nation: Natıonalism and Class Struggles". London: Zed Press.

  – أمين، سمير. ١٩٧٨. "الأمة العربية. القومية والصراعات الطبقية". لندن مطبعة زد.

- Arpee, L.1909. "The Armenian Awakening, 1820- 1860". Chicago: University of Chıcago Press.

  – أربى، ل. ١٩٠٩. "النهضة الأرمنية، ١٨٢٠-١٨٦٠". شيكاغو مطبعة جامعة شيكاغو.

- Aruri, Nasser,ed 1986. "Occupaton: Israel Over Palestine". Boulder, Colo. Westvıew press.

  – أرورى، ناصر. محرر. ١٩٨٦. "الاحتلال. إسرائيل فوق فلسطين". بولدر. كولورادور مطبعة ويست فيو.

- Asad, Talal, and Roger Owen, eds. 1983. "The Middle East". New York: Monthly Revıew Press.

  – أسد، طلال، وروجر أوين، محرران. ١٩٨٣. "الشرق الأوسط". نيويورك. مطبعة مونثلى ريڤيو.

- Attalides, Michael A. 1979. "Cyprus: Nationalism and International Politics". New York: St. Martin's Press.

  – أتاليدس، ميشيل أ. ١٩٧٩. "قبرص القومية والسياسات الدولية." نيويورك مطبعة القديس مارتن.

- Azim, Ahmad N. 1989. "Egypt: The Origins and Development of a Neo- Colonial State". In "Power and Stability in Middle East", edited by Berch Berberoglu. London: Zed Books.

- عظيم، أحمد ن. ١٩٨٩. «مصر: أصول دولة نيوكولونيالية وتطورها» في «القوة والاستقرار في الشرق الأوسط». تحرير بيرش بيربيروجلو. لندن: كتب زد.

- Bassam, Tibi. 1988. "The Crisis of Modern Islam: A preindustrial Culture in the Scientific Technological Age". Translated by Judith Von Sivers. Salt lake city: university of Utah press

- بسام، طيبي. ١٩٨٨. "أزمة الإسلام الحديث: ثقافة ما قبل الصناعة في العصر العلمي التقني". ترجمة جوديث فون سيفرس. سولت ليك سيتي-- مطبعة جامعة أوتاه.

- Batatu, Hanna. 1978. "The Old Social Classes and the Revolutionary Move- ments in Iraq". Princeton: Princeton University Press.

- باتاتو، هانا. ١٩٧٨. "الطبقات الاجتماعية القديمة والحركات الثورية في العراق" برينسيتون. مطبعة جامعة برينسيتون.

- Bayat, Asef. 1996. "The Coming of a Post- Islamist Society". Critique, no. 9 (Fall).

- بيات، عاصف. ١٩٩٦. "مجئ مجتمع ما بعد- إسلامي". كريتيك رقم ٩ (الخريف).

- Beattie, Kirk J. 1994. "Egypt During the Nasser Years". Boulder, Colo.: Westview Press.

- بيتي، كيرك ج. ١٩٩٤. "مصر خلال سنوات ناصر". بولدر، كولورادو. مطبعة ويست فيو.

- Beinin, Joel. 1982. "Egypt's Transition Under Nasser." MERIP Reports 107 (July/ August).

- بينين، جويل. ١٩٨٢. "تحول مصر في ظل ناصر". تقارير ميريب ١٠٧ (يوليو/ أغسطس).

- Bendt, Ingela, and James Downing. 1982. "We Shall Return: Women of Palestine". London: Zed Press.

- بندت، أنجيلا، وجيمس دونينج. ١٩٨٢. "سوف نعود: نساء فلسطين". لندن: كتب زد.

- Berberoglu, Berch. 1982. "Turkey in Crisis: From State Capitalism to Neo-Colonialism". London: Zed Books.

- 1987. "The Internationalization of Capital: Imperialism and Capitalist Development on a World Scale". New York: Praeger.

- 1992. "The political Economy of Development: Development Theory and the Prospects for Change in the The Third World". Albany: State University of New York Press.

ed. 1989. "Power and Stability in Middle East". London: Zed Books.

ed. 1995. "The National Question: Nationalism, Ethnic Confict and Self-Determination in the Twentieth Centieth Century". Philadelphia, Pa. Temple University Press.

- بيربيووجلو، بيرش. ١٩٨٢. "تركيا فى الأزمة: من رأسمالية الدولة إلى النيوكولونيالية" لندن: كتب زد.
- ١٩٨٧ "تأميم رأس المال. الإمبريالية والتطور الرأسمالى على نطاق عالمى". نيويورك بريجر.
- ١٩٩٢ "الاقتصاد السياسى للتنمية. نظرية التنمية وطموحات التغيير فى العالم الثالث" البانى: مطبعة جامعة الدولة بنيويورك.
- تحرير، ١٩٨٩. "القوة والاستقرار فى الشرق الأوسط". لندن: كتب زد.
- تحرير ١٩٩٥ "المسألة القومية: القومية، النزاع الاثنى وتقرير المصير فى القرن العشرين". فيلادلفيا: مطبعة جامعة تمبل.

- Berkes, Niyazi. 1964. "The Development of Secularism in Turkey". Montreal: McGill University press.

- بركيس، نيازى. ١٩٦٤. "تطور العلمانية فى تركيا". مونتريال: مطبعة جامعة مك جيل.

- Besikci, Ismail. 1988. "Kurdistan: An Interstate Colony". Sydney: Australian Kurdish Association.
- 1991. "The State of Terror in the Middle East". Ankara: Yurt Kitap Yayinlari.

- بسيكسى، إسماعيل. ١٩٨٨. "كردستان مستعمرة فيما بين الدول". سيدنى: الجمعية الإسترالية الكردية.
- ١٩٩١. "دولة الرعب فى الشرق الأوسط". أنقرة: يورت كتاب يابنلارى.

- Bina, Cyrus, and Hamid Zangeneh, eds. 1992. "Modern Capitalism and Islamic Ideology in Iran". New york: St. Martin's Press.

- بينا، سيروس. وحامد زنجينه، محرران، ١٩٩٢. "الرأسمالية الحديثة والأيدولوجية الإسلامية فى إيران". نيويورك: مطبعة القديس مارتين.

- Blaisdell, D.C. 1929. "European Financial Control in the Ottoman Empire". New York: Columbia University Press.

- بلايسديل، د. س. ١٩٢٩. "التحكم المالى الأوروبى فى الأمبراطورية العثمانية". نيويورك مطبعة جامعة كولومبيا.

- Bonds, Joy, etal. 1977. "Our Roots Are Still Alive". San Francisco: People's Press.

- بوندس، جوى، وآخرون. ١٩٧٧. "ماتزال جذور ناحية". سان فرانسيسكو: مطبعة الشعب.

- Boyarin, Jonathan. 1996. "Palestine and Jewish History. Minneapolis: University of Minnesota Press.

- بويارين، جوناثان. ١٩٩٦. "فلسطين والتاريخ اليهودى". مينابوليس. مطبعة جامعة مينيسوتا.

- Braude, Benjamin, and Bernard Bernard Lewis, eds. 1982. “Christians and Jews in the Ottoman Empire”. New York: Holmes & Meier.

- براود، بنجامين، وبرنارد لويس، محرران. ١٩٨٢. "المسيحيون واليهود في الأمبراطورية العثمانية". نيويورك هولمز ومبير.

- Brenner, Robert. 1991. “Why is the United Stcte at War With Iraq?” New Left Review, no. 185.

- برينر، روبرت. ١٩٩١. "لماذا الولايات المتحدة في حرب مع العراق؟" نيولفت ريفيو، رقم ١٨٥.

- Bresheeth, Haim, and Nira Yuval- Davis, eds. 1991. “The Gulf and New World Order”. London: Zed Books.

- بريشيث، حايم، ونيرا يوفال- دافيس، محررتان. ١٩٩١. حرب الخليج والنظام العالمي الجديد . لندن كتب زد.

- Bruinessen, Martin Van. 1992. “Agha, Shaikh, and State: The Social and Political Structures of Kurdistan”. London: Zed Books.

- بروينيسن. مارتين فان. ١٩٩٢. الاغا، الشيخ والدولة. الأبنية الاجتماعية والسياسية لكردستان". لندن كتب زد.

- Cavdar, T. 1970. “Osmanlilarin Yari- Somturge Olusu (The Semicolonization of the Ottomans) Isttomans”. Istanbul: Ant Yayinlari.

- كافدار، ت. ١٩٧٠. التحول العثماني إلي شبه الكولونيالية." اسطنبول: أنت يابنلاري.

- Chaliand, Gerard. 1972. “The Palestinian Resistance”. Baltimore, Md.: Penguin.

- 1980. “People Without a Country: The Kurds and Kurdistan”. London: Zed Books.

- 1994. “The Kurdish Tragedy”. London: Zed Books.

- شالياند، جيرارد. ١٩٧٢. "المقاومة الفلسطينية". بلتيمور، مريلاند: بنجوين.

- ١٩٨٠. "شعب بلا بلد، الأكراد وكردستان". لندن كتب زد.

- ١٩٩٤. "مأساة الأكراد". لندن: كتب زد.

- Chaliand, Gerard, and Yves Ternon. 1983. “The Armenians: From Genocide to Resistance”. London: Zed Books.

- شالياند. جيرارد، ويفيس تيرنون. ١٩٨٣. "الأرمن. من الإبادة العرقية إلي المقاومة". لندن كتب زد.

- Ciment, James. 1996. “The Kurds: State and Minority in Turkey, Iraq and Iran”. New York: Facts On File.

- سيمنت، جيمس. ١٩٩٦. "الأكراد: الدولة والأقلية في تركيا، العراق وإيران". نيويورك: فاكتس أون فايل.

- Clawson, Patrick. 1980. "The Internationalization of Capital and Capital Accumulation in Iran." In "Oil and Class Struggle", edited by Petter Nore and Terisa Turner. London: Zed Press.

– كلاوسون، باتريك. ١٩٨٠. "تأميم رأس المال وتراكم رأس المال فى إيران" فى "الزيت والنضال الطبقى". تحرير، بيتر نور وتريزا تيرنر. لندن: كتب زد.

- Cleveland, William L. 1993. "A History of the Modern Middle East". Boulder, Colo.: Westview Press.

– كليفلاند ، ويليام ل. ١٩٢٣. "تاريخ الشرق الأوسط الحديث". بولدر، كولوراده. مطبعة ويست ڤيو.

- Cobban, Helena. 1984. "The Palestinian Liberation Organization". Cambridge: Cambridge University Press.

– كوبان، هيلينا. ١٩٨٤. "منظمة التحرير الفلسطينية"، كمبريدج مطبعة جامعة كمبريدج.

- Committee Against Repression and for Democratic Rights in Iraq (CARDRI), eds. 1994. "Saddam's Iraq: Revolution or Reaction?". London: Zed Books.

– اللجنة ضد القهر ومن أجل الحقوق الديمقراطية فى العراق، محررون. ١٩٩٤. "عراق صدام. ثورة أم رجعة؟" لندن كتب زد.

- Cooley, John. 1973. "Green March, Black September". London: Frank Cass.

– كولى: جون. ١٩٧٣. "المسيرة الخضراء، أيلول الأسود". لندن: فرانك كاس.

- Cooper, Mark. 1983. "Egyptian State Capitalism in Crisis." In "The Middle East", edited by Talal Asad and Roger Owen. New York: Monthly Review Press.

– كوبر، مارك. ١٩٨٣. "رأسمالية الدولة المصرية فى أزمة". فى "الشرق الأوسط"، تحرير طلال أسد وروجر أوين. نيويورك: مطبعة مونثلى ريڤيو.

- Dadrian, Vahakn N. 1986. "The Naim- Andonian Documents on the World War I Destruction of Ottoman Armenians: The Anatomy of a Genocide". "International Journal of Middle East Studies" 18:311-60.

- 1989. "Genocide as a Problem of National and International Law: The World War I Armenian Case and Its Contemporary Legal Ramifications". The "Yale Journal of International Law" 14, no. 2 (Summer): 221-78.

- 1995. "The History of the Armenian Genocide". Providence, R.I.: Berghahn Books.

– دادريان، ڤاهاكان ن. ١٩٨٦. "وثائق نعيم أندونيان حول تحطيم الحرب العالمية الأولى للأرمن العثمانيين تشريح إبادة عرقية". "الجريدة الدولية لدراسات الشرق الأوسط". ١٨ ٣١١ - ٦٠.

– ١٩٨٩. "الأبادة العرقية كمشكلة للقانون الوطنى والدولى: القضية الأرمنية للحرب العالمية الأولى وتشعباتها القانونية المعاصرة". "جريدة يال للقانون الدولى" ١٤، رقم ٢ (صيف) ٢٢١ - ٧٨.

– ١٩٩٥. "تاريخ الإبادة العرقية الأرمنية". بروڤيدنس، روديلاند. كتب برغاهن.

- Eagleton, William, Jr. 1963. "The Kurdish Republic of 1946". London: Oxford University Press.

- ايجلتون، ويليام، الصغير. ١٩٦٣. "الجمهورية الكردية عام ١٩٤٦". لندن: مطبعة جامعة أوكسفورد.

- Earle, Edward Mead. 1966. "Turkey. the Great Powers, and the Bagdad Railway: A Study in Imperialism". New York: Russell & Russell.

- إيرل، إدوارد ميد. ١٩٦٦. "تركيا، القوى الكبرى، وخط بغداد للسكة الحديدية: دراسة في الإمبريالية". نيويورك: روسل وروسل.

- Eickelman, Dale. 1989. "The Middle East: An Anthropological Approach". Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall.

- إيكلمان، دال. ١٩٨٩. "الشرق الأوسط مدخل أنثروبولوجي". إنجلوود كليفس، نيوجيرسي: برينتيس- هول.

- Emadi, Hafizullah. 1990. "State, Revolution and Superpowers in Afghanistan". New York: Praeger.

- عمادي، حافظ الله. ١٩٩٠. "الدولة، الثورة، والقوى العظمى في أفغانستان". نيويورك: بريجر.

- Ergil, Dogu. 1975. "From Empire to Dependence: The Evolution of Turkish Underdevelopment." Ph.D. diss., State University of New York at Binghamton.

- أرجيل، دوجو، ١٩٧٥. "من الإمبراطورية إلى التبعية: نشوء التخلف التركي". مبحث دكتوراة في الفلسفة. جامعة الدول بنيويورك في بينجهامتون.

- Farhi, Farideh. 1989. "Class Struggles, the State, and Reveoution in Iran." In "Power and Stability in the Middle East", edited by Berch Berberoglu. London: Zed Books.

- فارحي، فريده، ١٩٨٩. "النضالات الطبقية، الدولة، والثورة في إيران". في "القوة والاستقرار في الشرق الأوسط"، تحرير بيرش بيربيروجلو. لندن: كتب زد.

- Farouk-Sluglett, Marion, and Peter Sluglett. 1987. "Iraq Since 1958: From Revolution to Dictatorship". London: KPI.

- 1991. "The Social Classes and the Origins of the Revolution.: In The Iraqi Revolution of 1958", edited by Robert A. Fernea and Wm. Roger Louis. New York: I. B. Tauris.

- فاروق سلوجليت، ماريون، وبيتر سلوجليت- ١٩٨٧. "العراق منذ ١٩٥٨. من الثورة إلى الديكتاتورية" لندن: كي. بي أي.

- ١٩٩١ "الطبقات الاجتماعية وأصول الثورة" في "الثورة العراقية عام ١٩٥٨"، تحرير روبرت أ. فيرنيا ووم. روجرلويس. نيويورك. أي بي. تاوريس.

- Farsoun, Samih. 1982. "Israel's Goal of Destroying the PLO is Not Achievable." "Journal of Palestine Studies" 11, no. 4.

- فارسون، سميح. ١٩٨٢. "هدف إسرائيل تحطيم منظمة التحرير الفلسطينية غير قابل للتحقق". "جريدة دراسات فلسطينية" ١١، رقم ٤.

- Farsoun, Samih, and Christina Zacharia. 1997. "Palestine and the Palestinians". Boulder, Colo.: Westview Press.

- فارسون، سميح، وكريستينا زاكاريا. ١٩٩٧. "فلسطين والفلسطينيون". بولدور، كولورادور: مطبعة ويست ڤيو.

- Farsoun, Samih, and Jean M. Landis. 1990. "The Sociology of an Uprising: The Roots of the Intifada." In "Intifada: Palestine at the Crossroads", edited by Jamal R. Nassar and Roger Heacock. New York: Praeger.

- فارسون، سميح، وجين م. لانديس. ١٩٩٠. "سيكولوچية هبة: جذور الانتفاضة" في "الانتفاضة فلسطين مفترق الطرق". تحرير جمال ر. ناصر وروجر هيكوك. نيويورك بريجر.

- Finch, E. A. 1957. "Social Effects of the Oil Industry in Iraq." "International Labour Review", March.

- فينش، أ.أ. ١٩٥٧. "التأثيرات الاجتماعية لصناعة الزيت بالعراق" "انترناشيونال لابور ريڤيو"، مارس.

- Finkelstein, Norman G. 1996. "The Rise and Fall of Palestine: A Personal Account of the Intifada Years". Minneapolis: University of Minnesota Press.

- فينكلستين، نورمان ج. ١٩٩٦. "صعود وسقوط فلسطين - حساب شخصي لسنوات الانتفاضة". مينابوليس: مطبعة جامعة مينيسوتا.

- Foran, John, ed. 1994. "A Century of Revolution: Social Movements in Iran". Minneapolis: University of Minnesota Press.

- فوران، جون، محرر. ١٩٩٤. "قرن من الثورة، الحركات الاجتماعية في إيران" مينيا بوليس: مطبعة جامعة مينيسوتا.

- Frangi, Abdallah. 1983. The PLO and Palestine. London: Zed Books.

- فرانجي، عبدالله. ١٩٨٣: "منظمة التحرير الفلسطينية وفلسطين". لندن: كتب زد.

- Genet, Jean. 1983. "Four Hours in Shatila". "Journal of Palestine Studies" 12, no. 2.

- جنيت، جين. ١٩٨٣. "أربع ساعات في شاتيلا". "جريدة الدراسات الفلسطينية" ١٢، رقم ٢.

- Gerges, Fawaz. 1994. "The Superpowers and the Middle East". Boulder, Colo.: Westview Press.

- جرجس، فواز. ١٩٩٤. "القوى العظمى والشرق الأوسط" بولدر، كولورادور. مطبعة ويست ڤيو.

- Ghareeb, Edmund. 1981. "The Kurdish Question in Iraq". Ayracuse, N.Y.: Syracuse University Press.

– غريب، ادموند. ١٩٨١. "المسألة الكردية في العراق". سيراكوس، نيويورك: مطبعة جامعة سيراكوس.

- Ghassemlou, Abdul Rahman. 1965. "Kurdistan and the Kurds". London: Collets Holdings.

– غاسيملو، عبد الرحمن. ١٩٦٥. "كردستان والأكراد". لندن: كوليتس هولدينجس.

- Goldberg, Ellis Jay. 1996. "The Social History of Labor in the Middle East". Boulder, Colo.: Westview Press.

– جولدبرج، البيس جاى. ١٩٩٦– "التاريخ الاجتماعي للعمل في الشرق الأوسط". بولدر، كولورادو. مطبعة ويست ڤيو.

- Greer, Edward. 1991. "The Hidden History of the Iraq War." Monthly Review 43, no. 1.

– جرير، ادوارد. ١٩٩١. "التاريخ الخفي للحرب العراقية". "مونثلى ريڤيو" ٤٣، رقم ١.

- Gresh, Alain. 1985. "The PLO: The Struggle Within". London: Zed Books.

– جريش، الاين. ١٩٨٥. "منظمة التحرير الفلسطينية: النضال من الداخل". لندن: كتب زد.

- Gresh, Alain, and Dominique Vidal, ed. 1990. "An A to Z of the Middle East". London: Zed Books.

– جريش، الاين، ودومينيك ڤيدال، محرران. ١٩٩٠ "الف باء الشرق الأوسط". لندن كتب زد.

- Gunter, Michael M. 1991. "The Kurks in Turkey: A Political Dilemma". Westport, Conn.: Greenwood Press.

– جونتر، ميشيل م. ١٩٩١. "الأكراد في تركيا. معضلة سياسية" . وست بورت. كونكتيكوت: مطبعة جرينوود.

- Halliday, Fred. 1975. "Arabia Without Sultans". New York: Vintage.

- 1996. "Islam and the Myth of Confrontation: Religion and Politics in the Middle East". London: I. B. Tauris.

– هاليداى، فريد. ١٩٧٥. "العربية بلا سلاطين". نيويورك: ڤينتاج.

– ١٩٩٦ "الإسلام وأسطورة المواجهة، الدين والسياسة في الشرق الأوسط". لندن: أى بي. تاوريس.

- Halliday, Fred, and Hamza Alavi, eds. 1988. "The State and Ideology in the Middle East and Pakistan". New York: Monthly Review Press.

– هاليداى، فريد، وحمزه علاقى، محرران. ١٩٨٨. "الدولة والأيديولوچية في الشرق الأوسط وباكستان". نيويورك: مطبعة مونثلى ريڤيو.

- Hazelton, Fran, ed. 1994. "Iraq Since the Gulf War". London: Zed Books.

– هازلتون، فران، محرر. ١٩٩٤. "العراق منذ حرب الخليج". لندن: كتب زد.

- Headley, Bernard D. 1991. "The 'New World Order' and the Persian Gulf War." "Humanity & Society" 15, no. 3.

- هيدلي، برنارد د. ١٩٩١. "النظام العالمي الجديد وحرب الخليج الفارسي" "الإنسانية والمجتمع" ١٥، رقم ٣.

- Hiro, Dilip. 1996. "A Dictionary of the Middle East". New York: St. Martin's Press.

- هيرو، ديليب. ١٩٩٦. "قاموس الشرق الأوسط". نيويورك. مطبعة القديس مارتين.

- Hitchens, Christopher. 1984. "Cyprus". New York: Quartet Books.

- هيتشينس، كريستوفر. ١٩٨٤. "قبرص". نيويورك: كتب كوارتيت.

- Hopwood, Derek. 1988. "Syria, 1945-1986: Politics and Society". London: Unwin Hyman.

- هوبوود، ديريك. ١٩٨٨. "سوريا، ١٩٤٥- ١٩٨٦. السياسة والمجتمع". لندن أونوين هايمان.

- Hourani, A. H. 1946. "Syria and Lebanon: A Political Essay". London: RIIA.

- حوراني، أ. هـ. ١٩٤٦. "سوريا ولبنان: نبذة سياسية". لندن أر أي أي إيه.

- Hovannisian, Richard G. 1978. "The Armenian Holocaust". Cambridge, Mass.: Armenian Heritage Press.

- 1987. "The Armenian Genocide in Perspective". New Brunswick, N.J.: Transaction Books.

- هوفانيسيان، ريتشارد ج. ١٩٧٨. "الهولوكوست الأرمني". كمبريدج. ماس مطبعة التراث الأرمني.

- ١٩٨٧ "أهمية الإبادة العرقية الأرمنية". "نيوبرونسويك، نيوجيرسي" كتب ترانس آكشن.

- Hunter, F. Robert. 1991. "The Plestinian Uprising: A War By Other Means". Berkeley: University of California Press.

- هنتر، ف. روبرت. ١٩٩١. "الانتفاضة الفلسطينية: حرب بوسائل أخرى". بيركلي: مطبعة جامعة كاليفورنيا.

- Hurewitz, J.C. 1968. "The Struggle for Palestine". New York: Greenwood Press.

- هيور ويتز، ج.ك. ١٩٦٨. "النضال من أجل فلسطين". نيويورك مطبعة جرينوود.

- Hussain, Mahmoud. 1973. "Class Conflict in Egypt, 1945-1970". New York: Monthly Review Press.

- حسين، محمود. ١٩٧٣. "النزاعات الطبقية في مصر، ١٩٤٥ - ١٩٧٠. نيويورك مطبعة مونثلي ريڤيو.

- Ibrahim, Ferhad. 1995. "The Kurdish National Movement and the Struggle for National Autonomy." In "The National Question: Nationalism, Ethnic Conflict, and Self Determination in the Twentieth Century", edited by Berch Berberoglu. Philadelphia, Pa.: Temple University Press.

- إبراهيم، فرهاد. ١٩٩٥. "الحركة القومية الكردية والنضال من أجل الحكم الذاتي القومي" في "المسألة القومية: القومية. الصراع الاثني وتقرير المصير في القرن العشرين"، تحرير بيرش بيربيروجلو. فيلادلفيا، بنسيلڤانيا. مطبعة جامعة تمبل.

- Islamoglu-Inan, Huri, ed. 1987. "The Ottoman Empire and the World Economy". Cambridge: Cambridge University Press.

- اسلاموجلو- إينان، هورى، محرر. ١٩٨٧. "الإمبراطورية العثمانية والاقتصاد العالمى. كمبريدج: مطبعة جامعة كمبريدج.

- Issawi, Charles. 1980. "The Economic History of Turkey, 1800-1914". Chicago: Univesity of Chicago Press.

- 1982. "The Economic History of the Middle East and North Africa". New York: Columbia University Press.

- عيسوى، شارلز. ١٩٨٠. "التاريخ الاقتصادى لتركيا، ١٨٠٠ - ١٩١٤" . شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو.

- ١٩٨٢. "التاريخ الاقتصادى للشرق الأوسط وشمال أفريقيا". نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا.

- Jansen, Michael. 1982. "The Battle of Beirut: Why Israel Invaded Lebanon". London: Zed Press.

- 1987. "Dissonance in Zion". London: Zed Books.

- جانسن، ميشيل. ١٩٨٢. "معركة بيروت: لماذا غزت إسرائيل لبنان". لندن: مطبعة زد.

- ١٩٨٧. "تنافر فى صهيون". لندن: كتب زد.

- Kadri, Ali. 1996. "Social Transformation in the West Bank." Critique, no. 8 (Spring).

- قدرى، على. ١٩٩٦. "التحول الاجتماعى فى الضفة الغربية". كريتيك، رقم ٨ (الربيع).

- Kapeliouk, A. 1984. "Sabra and Shatila: Inquiry into a Massacre". Belmont, Mass.: AAUG.

- كابيليوك، أ. ١٩٨٤. "صابرا وشاتيلا: تحقيق فى المذبحة". بلمونت، ماساشوستس: إيه إيه يو جى.

- Karpat, Kemal H. 1978. "Ottoman Population Records and the Census of 1881/82-1893". "International Jounal of Middle East Studies" 9:237-74.

- 1985. "Ottoman Population, 1830-1914: Demographic and Social Characteristics". Madison: University of Wisconsin Press.

- كاربات، كمال هـ. ١٩٧٨. "سجلات السكان العثمانيين وتعداد ١٨٨١/ ٨٢-١٩٨٣". "الجريدة الدولية لدراسات الشرق الأوسط". ٩: ٢٣٧-٧٤.

- ١٩٨٨. "السكان العثمانيون، ١٨٣٠- ١٩١٤: الخواص الديمقراطية والاجتماعية". ماديسون: مطبعة جامعة ويسكونسين.

- Kasaba, Resat. 1988. "The Ottoman Empire and the World Economy". Albany: State University of New York Press.

- كاسابا، ريسات. ١٩٨٨. "الإمبراطورية العثمانية والاقتصاد العالمى". ألبانى: مطبعة جامعة الدولة بنيويورك.

- Kashi, Ed. 1994. "When the Borders Bleed: The Struggle of the Kurds". New York: Pantheon Books.

– كاشي، محرر. ١٩٩٤. "عندما نزفت الحدود: نضال الأكراد". نيويورك: كتب بانثيون.

- Kedourie, Elie. 1988. "Great Britain, the Other Powers, and the Middle East Before and After World War I." In "The Great Powers in the Middle East, 1919- 1939", edited by Uriel Dann. New York: Holmes & Maier.

– كيدوري، إيلي. ١٩٨٨. "بريطانيا العظمى، والقوى الأخرى، والشرق الأوسط، قبل وبعد الحرب العالمية الأولى". في "القوى العظمى في الشرق الأوسط، ١٩١٩- ١٩٣٩"، تحرير يوريل دان. نيويورك: هولمز ومايير.

- Keyder, Caglar. 1981. "The Definition of Peripheral Economy: Turkry, 1923- 1929". Cambridge: Cambridge University Press.

- 1987. "State and Class in Turkey: A study in Capitalist Development". London: Verso.

– كيدر، كاجلار. ١٩٨١."تعريف اقتصاد محيطي: تركيا، ١٩٢٣-١٩٢٩". كمبريدج: مطبعة جامعة كمبريدج.

– ١٩٨٧. "الدولة والطبقة في تركيا: دراسة في التطور الرأسمالي". لندن: فيرسو.

- Khadduri, Majid. 1969. "Republican Iraq". London: Oxford University Press.

– خادوري، ماجد. ١٩٦٩. "العراق، الجمهورية". لندن: مطبعة جامعة أوكسفورد.

- Khalidi, Rashid, et at., eds. 1991. "The Origins of Arab Nationalism". New York: Columbia University Press.

– خاليدي، راشد، وآخرون، محررون. "أصول القومية العربية". نيويورك. مطبعة جامعة كولومبيا.

- Khoury, Nabil F., and Valentine M. Moghadam, eds. 1995. "Gender and Development in the Arab World". Zed Books.

– خوري، نبيل ف.، فالنتين م. موغادام، محرران. ١٩٩٥. "نوع الجنس والتطور في العالم العربي". كتب زد.

- Khoury, Philip S. 1987. "Syria and the French Mandate: The Politics of Arab Nationalism, 1920- 1945". Princeton: Princeton University Press.

– خوري، فيليب س. ١٩٨٧."سوريا والانتداب الفرنسي. سياسات القومية العربية، ١٩٢٠- ١٩٤٥". برينسيتون: مطبعة جامعة برينسيتون.

- Kimmerling, Baruch, and Joel S.Migdal. 1993. "Palestinians: the making of A People". New York York: the Free Press.

– كيمرلينج، باروك، وجويل س. ميجدال. ١٩٩٣." الفلسطينيون: صناعة شعب". نيويورك: المطبعة الحرة.

- Knowlton, Christophr, and Carla Rapoport. 1991."Germany and Japan: Missing in Action."Fortune, 11 March.

– نولتون، كريستوفر، وكرالا رابوبورت. ١٩٩١. "ألمانيا واليابان: غائبتان عن الفعل". فورتشن، ١١ مارس.

- Kreyenbroek, Philip G., and Stefan Sperl, eds. 1992. "The Kurds: A Contemporary overview". London: Routledge.

- كريينبروك، فيليب ج.، وستيفان سبيرل، محرران. ١٩٩٢."الأكراد: موجز معاصر"، لندن: روتليدج.

- Krikorian, Mesrob K. 1997. "Armenians in the Service of the Ottoman Empire, 1860- 1908" . London: Routledge R & Kegan Paul.

- كريكوريان، ميسروب ك. ١٩٧٧. "الأرمن في خدمة الأمبراطورية العثمانية، ١٩٦٠- ١٩٠٨" . لندن: روتليدج وكيجان بول.

- Kuper, Leo. 1982. "Genocide: Its Political use in the Twentirth Century". New Haven: Yale Univesity Press.

- كوبر، ليو. ١٩٨٢. "الإبادة العرقية: استخدامها السياسي في القرن العشرين". نيوهافن. مطبعة جامعة يال.

- Langer, William L. 1935. "The Diplomacy of Impererialism, 1890- 1902". Vol. 1. New York: Alfred A. Knopf.

- لانجر، ويليام ل. ١٩٣٥. "دبلوماسية الإمبريالية، ١٨٩٠- ١٩٠٢". الجزء الأول. نيويورك: الفريد أ. نوف.

- Langley, Kathleen. 1961. "The Industrialization of Iraq". Cambridge: Harvard University Press.

- لانجلي، كاثلين. ١٩٦١. "تصنيع العراق". كمبريدج. مطبعة جامعة هارفارد.

- Lawson, Fred H. 1989. "Class politics and state power in Ba'Hi Syria". in "Power and stability in the Middle East", edited by Berch BerBeroglu. London: Zed Book.

- لاوسون، فريد هـ. ١٩٨٩. "السياسة الطبقية وسلطة الدولة في سوريا البعثية". في "القوة والاستقرار في الشرق الأوسط"، تحرير بيرش بيربيروجلو. لندن: كتب زد.

- Lazarev, M.S. 1980. "Kurdistan and Kurdskaia Problem". Repainted in "Economic History of Turkey", by Charles Issawi. Chicago: University of Chicago Press. Original edition, Moscow: Nauka, 1964.

- لازاريف، م.س. ١٩٨٠. "كردستان والمشكلة الكردية". أعيد طبعها في "التاريخ الاقتصادي لتركيا"، بواسطة شارلز عيسوي. شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو. الطبعة الأصلية، موسكو، ناوكا، ١٩٦٤.

- Lesch, David W. 1996. "The Middle East and the United States: A Historical and Political Reassessment". Boulder, Colo: Westview Press.

- ليسك، دافيد و. ١٩٩٦. "الشرق الأوسط والولايات المتحدة: إعادة تقييم تاريخي وسياسي". بولدر: كولورادو: مطبعة ديست فيو.

- Lewis, Bernard. 1969. "The Emergence of Modern Turkey". 2d ed. New York: Oxford University Press.

- 1994. "The Shaping of the Modern Middle East". New York: Oxford University Press.

- 1995. "The Middle East: A Brief History of the Last Two Thousand Years". New York: Scribner.

– لويس، برنارد. ١٩٦٩. "بزوغ تركيا الحديثة". الطبعة الثانية نيويورك: مطبعة جامعة أوكسفورد.

– ١٩٩٤. "تشكيل الشرق الاوسط الحديث". نيويورك: مطبعة جامعة أوكسفورد.

– ١٩٩٥ "الشرق الأوسط. تاريخ موجز للألفى سنة الأخيرة". نيويورك: سكريبز.

- Lockman, Zachary, and Joel Beinin. 1989. "Intifada: The Palestinian Uprising Against Israeli Occupation". Boston: South End Press.

– لوكمان، زاكارى، وجويل بينين. "الانتفاضة. الهبة الفلسطينية ضد الاحتلال الاسرائيلى". بوسطن: مطبعة سوث إند.

- Longuenesse, Elizabeth. 1979. "The Class Nature of the State in Syria". (MERIP) Reports 9, no. 4 (May).

– لونجينيس، اليزابيث. ١٩٧٩. "الطبيعة الطبقية للدولة فى سوريا". تقارير ميريب ٢٩، رقم ٤ (مايو).

- Louis, William Roger. 1988. "The British Empire the Middle East: 1945- 1951". Oxford: Clarendon Press.

– لويس، وليام روجر. ١٩٨٨. "الإمبراطورية البريطانية فى الشرق الأوسط: ١٩٤٥– ١٩٥١". أوكسفورد. مطبعة كلاريندون.

- Mansfield, Peter. 1965. "Nasser's Egypt". Baltimore, Md.: Penguin.

– مانسفيلد، بيتر. ١٩٦٥. "ناصر مصر". بلتيمور، مريلاند: بنجوين.

- Mansour, Fawzy. 1992. "The Arab Wold". London: Zed Books.

– منصور، فوزى. ١٩٦٢. "العالم العربى". لندن كتب زد.

- Masalha, Nur. 1992. "Expulsion of the Palestinians". Washington, D.C.: Instiute for Palestine Studies.

– مصالحة، نور. ١٩٩٢. "طرد الفلسطينيين". واشنطن، دى. سى. معهد الدراسات الفلسطينية.

- Mayer, Tom. 1991. "Imperialism and the Gulf War". Monthly Review 42, no. 11.

– ماير، توم. ١٩٩١. "الإمبريالية وحرب الخليج". مونثلى ريفيو ٤٢، رقم ١١.

- McBride, Sean. 1988. "Israel in Lebanon". London: Ithaca Press.

– مكبرايد، سين. ١٩٨٨. "إسرائيل فى لبنان". لندن: مطبعة ايثاكا.

- McCarthy, Justin. 1983. "Muslims and Minorities: The Population of Ottoman Anatolia and the End of the Empire". New York: New York University Press.

– مكارثى، جوستين. ١٩٨٣. "المسلمون والأقليات: تعداد الأناضول العثمانية ونهاية الأمبراطورية". نيويورك. مطبعة جامعة نيويورك.

- McDowall, David. 1989. "Palestine and Israel: The Uprising and Beyond". Berkeley: University of California Press.
- 1992. "The Kurds: A Nation Denied". London: Minority Reghts Group.
- 1995. "The Palestinians: The Road to Nationhood". London: Minority Rights Group.
- 1996. "A Modern History of the Kurds". London: I.B. Tauris.

– مك دووال، دافيد. ١٩٨٩. "فلسطين وإسرائيل: الانتفاضة وما بعدها". بيركلى: مطبعة جامعة كاليفورنيا.

– ١٩٩٢. "الأكراد أمة غير معترف بها". لندن: مجموعة حقوق الأقلية.

– ١٩٩٥. "الفسطينيون: الطريق إلى الأمة". لندن: مجموعة حقوق الأقلية.

– ١٩٩٦. "تاريخ حديث للأكراد". لندن: إى ب. تاوريس.

- Melson, Robert. 1982. "A theorrtical Inquiry into the Armenian Massacres of 1894". "Comparative Studiers in Society and History", 24, no.3 (July): 481- 509.

– ميلسون، روبرت. ١٩٨٢. "استقصاء نظرى فى المذابح الأرمنية من ١٨٩٤ إلى ١٨٩٦". "دراسات مقارنة فى المجتمع والتاريخ" ٢٤، رقم ٣ (يوليو): ٤٨١: ٥٠٩.

- Moaddel, Mansoor. 1993. "Class, Politics and Ideolgy in the Iranian Revolution". New York: Columbia University Press.

– مواديل، منصور، ١٩٩٣. "الطبقة، السياسة والأيدلوجية فى الثورة الإيرانية". نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا.

- Moghadam, Valentine M. 1994. "Gender and National Identity: Women and politics in Muslim Societies". London: Zed Books.

– موغادام ڤالنتين م. ١٩٩٤. "نوع الجنس والهوية القومية: المرأة والسياسة فى المجتمعات الإسلامية". لندن. كتب زد.

- Murphy, Emma C. 1996. "The Arab- Israeli Peace Process". Critque, no. 9 (Fall).

– مورفى، ايما ك. ١٩٩٦. "عملية السلام العربية– الإسرائيلية". كريتيك، رقم ٩ (الخريف).

- Nahla, Zu'bbi. 1986. "The Development of Capitalism in Palestine". Journal of Palestine Studies 13.

– نهلا، زوبى. ١٩٨٦. "تطور الرأسمالية فى فلسطين". "جريدة الدراسات الفلسطينية" ١٣.

- Nalbandian, Louise. 1967. "The Armenian Revolutionary Movement". Berkeley: University of California Press.

– نالبانديان، لويس. ١٩٦٧. "الحركة الثورية الأرمنية". بيركلى: مطبعة جامعة كاليفورنيا.

- Nassibian, Akaby. 1984. "Britain and the Armenian Question, 1915 - 1923". New York: St. Martin's Press.

- ناصيبيان، أكابى، ١٩٨٤. "بريطانيا والمسألة الأرمنية، ١٩١٥ - ١٩٢٣". نيويورك مطبعة القديس مارتين.

- Niblock, Tim. 1982. "Introduction to Iraq: The Contemporary State", edited by Tim Niblock. New York: St. Martin's press.

- نيبلوك، تيم. ١٩٨٢. "مقدمة لـ العراق: الدولة المعاصرة"، تحرير تيم نيبلوك. نيويورك. مطبعة القديس مارتين.

- Odeh, B.J. 1985. "Lebanon: Dynamice of Conflict". London: Zed Press.

- عوده، ب.ج. ١٩٨٥. "لبنان: ديناميكات النزاع". لندن: كتب زد.

- Olson, Robert, ed. 1996. "The Kurdish Nationalist Movement in the 1990s". Lexington: The university press of Kentucky.

- أولسون، روبرت، محرر. ١٩٩٦. "الحركة القومية الكردية في التسعينيات من القرن العشرين". ليكسينجتون: مطبعة جامعة كنتوكى.

- Owen, Roger. 1992. "State, Power and Politics in the Making of the Modern Middle East". London: Routledge.

- أوين، روجر. ١٩٩٢. "الدولة، القوة والسياسة فى صنع الشرق الأوسط الحديث". لندن. روتليدج.

- Paul, Jim. 1982. "Foreign Investment in Egypt." MERIP Reports 107 (July/ August).

- باول، جيم. ١٩٨٢. "الاستثمار الأجنبى فى مصر". تقارير ميريب ١٠٧ (يوليو/ أغسطس).

- Peretz, Don. 1990. "Intifada: The Palestinian Uprising. Boulder", Colo.: Westview Press.

- بيرتز، دون. ١٩٩٠. "الانتفاضة الهبة الفلسطينية". بولدر، كولورادو. مطبعة ويست ڤيو.

- Permanent Peoples' Tribunal. 1985. "A Crime of Silence: The Armenian Genocide". London: Zed Books.

- محكمة الشعب الدائمة. ١٩٨٥. "جريمة صمت: الابادة العرقية الأرمنية". لندن: كتب زد.

- Perry, Glenn E., ed. 1986. "Palestine : Continuing Disposseion". Belmont, Mass.: Association of Arab- American University Graduates.

- بيرى، جلين أ. محرر. ١٩٨٦. "فلسطين: اغتصاب متواصل". بلمونت ماساشوتس: الجمعية العربية- الأمريكية لخريجى الجامعة.

- Peteet, Julie M. 1991. "Gender in Crisis: Women and the Palestinian Resistance Movrment". New York: Columbia University press.

- بيتيت، جولى. ١٩٩١. "نوع الجنس فى أزمة: المرأة وحركة المقاومة الفلسطينية". نيويورك : مطبعة جامعة كولومبيا.

- Petran, Tabitha. 1972. "Syria". New York: Preeger.
- 1987. "The Struggle Over Lebanon". New York: Monthly Review Press.
- بيتران، تابيثا. ١٩٧٢. "سوريا". نيويورك: بريجر.
- ١٩٨٧. "الصراع فوق لبنان". نيويورك : مطبعة مونثلى ريفيو.
- Qubain, Fahim. 1958. "The Reconstruction of Iraq, 1950- 57". New York: Praeger.
- كوباين، فهيم. ١٩٥٨. "إعادة بناء العراق، ١٩٥٠- ١٩٥٧". نيويورك: بريجر
- Rahnema, Saeed, and Sohrab Behded, des. 1996. "Iran After the Rrvolution: Crisis of an Islamic State". London: I.B. Tauris.
- راهنيما، سيد، وسوهراب بهداد، محرران. ١٩٩٦. "إيران بعد الثورة. أزمة دولة إسلامية". لندن: آى. بى. تاوريس.
- Ramazanoglu, Hüseyin, ed. 1985. "Turkey in the World Capitalist System". Aldershot, U.K.: Gower.
- رامازانوجلو، حسين، محرر. ١٩٨٥. "تركيا فى النظام الرأسمالى العالمى". الدرشوت، المملكة المتحدة: جوير.
- Ramsaur,E,E.1965. "TheYoumg Turks: Prelude to the Revolution of 1908". Beirut: Khayat.
- رامساور أ.أ ١٩٦٥. "تركيا الفتاة: مقدمة لثورة ١٩٠٨". بيروت: خياط.
- Reilly, james 1982. "Israel in Lebanon, 1975 _82". MERIP Report 12, nos 6-7 (September - October)
- ريلى: جيمس. ١٩٨٢. "إسرائيل فى لبنان، ١٩٧٥ ـ ٨٢". تقارير ميريب ١٢، رقما ٦-٧ (سبتمبر- أكتوبر).
- Rigby, Anderw. 1991. "Living the Intifada". London: Zed Books.
- ريجبى، أندرو. ١٩٩١. "أن يحيا المرء الانتفاضة". لندن. كتب زد.
- Rodinson, Maxime. 1987. "Europe and the Mystique of Islam". Seattle: University of Washington Press.
- رودينسون، مكسيم. ١٩٨٧. "أوروبا وصوفية الإسلام". سيائل: مطبعة جامعة واشنطن.
- Saba, paul. 1989. "The Armenian National Question". In "Power and Stability in the Middle East", edited by Berch Berberoglu. London: Zed Book.
- سابا، بول. ١٩٨٩. "المسألة القومية الأرمنية". فى "القوة والاستقرار فى الشرق الأوسط". تحرير بيرش بيربيروجلو. لندن: كتب زد
- Said Edward W. 1994. "The Politics of Dispossession: The Struggle for Palestinian Self -Determination, 1969-1994". New York: Pantheon.
- سعيد، ادوارد. ١٩٩٤. "سياسات الاغتصاب : النضال من أجل تقرير المصير الفلسطينى ١٩٦٩- ١٩٩٤". نيويورك : بانثيون.

- Sarc, O. C 1966. "Ottoman INdustirial Policy 1840 - 1914". In "The Economic History of the Middle East, 1800 -1914", edited by Charles Issawi. Chicago: University of Chicago Press.

- سارك، أ. س. ١٩٦٦. "السياسة الصناعية العثمانية، ١٨٤٠ - ١٩١٤". في "التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط، ١٨٠٠ - ١٩١٤"، تحرير شارلز عيسوي- شيكاغو. مطبعة جامعة شيكاغو.

- Sayigh, Rosrmary. 1979. "Palestinians: From Peasants to Revoluionaries". London: Zed Press.

- 1994. "Too Many Enemies. The Palestinian Experience in Lebanon". London: Zed Books.

- صايغ، روزماري. ١٩٧٩. "الفلسطينيون: من فلاحين إلى ثوار". لندن. مطبعة زد.

- ١٩٩٤. "أعداء كثيرون للغاية. التجربة الفلسطينية في لبنان". لندن. مطبعة زد.

- Schiff, Ze'ev, and Ehud Ya'ari. 1990. "Intifada: The Palestinian Uprising- Israel's Third Front". New York: Simon and Schuster.

- شيف، زئيف، واهود يائري. ١٩٩٠. "الانتفاضة· الهبة الفلسطينية- جبهة إسرائيل الثالثة". نيويورك. سيمون وشوستر.

- Shoukri, Ghali. 1981. "Egypt: Portrait of a President". London: Zed Prees.

- شكري، غالي. ١٩٨١. "مصر: صورة رئيس". لندن: مطبعة زد.

- Sid- Ahmed, Mohamed. 1991. "The Gulf Crisis and the New World Order". "Middle East Report", January- February.

- سيد- أحمد، محمد. ١٩٩١. "أزمة الخليج والنظام العالمي الجديد". "تقرير الشرق الأوسط"، يناير - فبراير.

- Smith, Pamela Ann. 1989. "Palestine and the Palestinians". In "Power and Stability in the Middle East". edied Berch Berberoglu. Londno: Zed Books.

- سميث، باميلا ان. ١٩٨٩. "فلسطين والفلسطينيون." في "القوة والاستقرار في الشرق الأوسط"، تحرير بيرش بيربيروجلو. لندن. كتب زد.

- Stivers, William. 1982. "Supremacy and Oil: Iraq, Turkey, and the Anglo- American World, 1918- 1930". Ithaca: Cornell University press.

- ستيفرز، ويليام. ١٩٨٢. "السيادة والزيت: العراق، تركيا، والنظام العالمي الأنجلو أمريكي، ١٩١٨- ١٩٣٠". ايتاكا· مطبعة جامعة كورنل.

- Stork, Joe. 1975. "Middle East Oil and the Energy Crisis". New York: Monthly Review Pres.

- 1981. "Iraq and the War in the Gulf". MERIP Repots 97 (June).

- ستورك، جو. ١٩٧٥. "زيت الشرق الأوسط وأزمة الطاقة". نيويورك: مطبعة مونثلي ريفيو.

- ١٩٨١. "العراق والحرب في الخليج". تقارير ميريت ٩٧ (يونيو).

- Sugihara, Kaoru, and J.A. Allan, eds. 1993. "Japan in the Contemporary Meddle East". London: Routledge.

- سوجيهارا، كاورو، و ج. أ. الان، محرران، ١٩٩٣. "اليابان فى الشرق الأوسط المعاصر". لندن: روتليدج.

- Tamari, Salim. 1982. "Factionalism and Class Formation in Recent Palestinian History". In "Studies in the Economic and Social History of Palestine in the Ninrteenth and Twentirth Centuries", edited by Roger Owen. London: Macmillan.

- تمارى، سالم. ١٩٨٢. "الروح الحزبية والتكوين الطبقى فى التاريخ الفلسطينى الحديث". فى "دراسات فى التاريخ الاقتصادى والاجتماعى الفلسطينى فى القرنين التاسع عشر والعشرين". تحرير روجر أوين . لندن. ماكميلان.

- Tanzer, Michael. 1991. "Oil and the Gulf Crisis". Monthly Review 42, no. 11.

- تانزر، ميشيل. ١٩٩١. "الزيت وأزمة الخليج". مونثلى ريفيو ٤٢، رقم ١١.

- Tapper, Richard, ed. 1983. "The Conflict of Tribe and State in Iran and Afghanistan". London: Croom- Helm.

- تاپر، ريتشارد، محرر. ١٩٩٣. "نزاع القبيلة والدولة فى إيران وأفغانستان". لندن: كروم - هيلم.

- Taylan, Turgut. 1984. "Capital the State in Contemporary Turkey." khamsin, no. 11.

- تايلان، تورجوت. ١٩٨٤. "رأس المال والدولة فى تركيا المعاصرة". خمسين، رقم ١١.

- Tessler, Mark 1994. "A History of the Israeli- Palestinian Conftict". Bloomington: Indiana University press.

- تسلر، مارك. ١٩٩٤. "تاريخ النزاع الإسرائيلى- الفلسطينى". بلومينجتون: مطبعة جامعة انديانا.

- Tripp, Charles, and Roger Owens, eds. 1989. "Egypt Under Mubarak". London: Routledge.

- تريب، شارلز، وروجر أوينز. محرران. ١٩٨٩. "مصر فى ظل مبارك". لندن: روتليدج.

- U.S. Office of Naval Intelligence. 1923. "The United States Navy as an Industrial Asset". Washington, D.C.: ONI.

- مكتب الولايات المتحدة للمخابرات البحرية. ١٩٢٣. "أسطول الولايات المتحدة باعتباره أصلا صناعيا"، واشنطن، دى. س. أو ان إى.

- Usakligil, Halit Ziya. 1936. "Kirk Yil". 5 Vols. Excerpted in Economic History of Turkry", by Charles Issawi. Chicago: Univeroity of Chicago press.

- أوساكليجيل، هاليت زيا. ١٩٣٦. "مقتبسة فى التاريخ الاقتصادى لتركيا"، بقلم شارلز عيسوى. شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو.

- Vali, Abbas. 1996. "The Making of Kurdish Identity in Iran". Critique, no. 7 (Fall).

- فالى، عباس. ١٩٩٦. "صنع الهوية الكردية فى إيران". كريتيك، رقم ٧ (الخريف).

- Walker, Christopher J. 1980. "Armenia: The Survival of a Nation". New York: St. Martin's Press.

– والكر، كريستوفر ج. ١٩٨٠. "أرمينيا: بقاء أمة حية". نيويورك. مطبعة القديس مارتين.

- Welty, Gordon. 1995. "Palistian Nationalism and the Struggle for National Self-Detrmination". In "National Question: Nationalism, Ethnic Conflict and Self-Determination in the Twentith Century", edited by Berch Berberoglu. Philadelphia, Pa.: Temple University Press.

– ويلتي، جوردون. ١٩٩٥. "القومية الفلسطينية والنضال من أجل تقرير المصير القومي". في "المسألة القومية القومية، النزاع الإثني وتقرير المصير في القرن العشرين". تحرير بيرش بيربيروجلو. فيلادلفيا، بنسلفانيا مطبعة جامعة تمبل.

- Whiting Richard C. 1983. "The Suez Canal and the British Economy 1918- 1962". In "Imperialism and Nationalism in the Middle East", edited by Keith M. Wilson. London: Mansell.

– هويتينج، ريشاردك. ١٩٨٣. "قناة السويس والاقتصاد البريطاني ١٩١٨– ١٩٦٠". في "الإمبريالية والقومية في الشرق الأوسط". تحرير كيث م. ويلسون. لندن: مانسيل.

- Wiener, Jon. 1991. "Domestic Political Incentives for the Gulf War." New Left Review, no. 187.

– وينر، جون. ١٩٩١. "بواعث سياسية داخلية لحرب الخليج". نيولفت ريفيو، رقم ١٨٧.

- Workman, W. Thom. 1994. "The social origins of the Iran- Iraq war". Boulder, Colo.: Lynne Rienner.

– وركمان، و. توم. ١٩٩٤. "الأصول الاجتماعية لحرب إيران– العراق". بولدرر، كلورادو لين رينر.

- Van Dam, Nikolaos. 1979. "The Struggle For Power in Syria". New York: St. Martin's Press.

– فان دام، نيكولاوس– ١٩٧٩. "النضال من أجل السلطة في سوريا". نيويورك. مطبعة القديس مارتين.

- Vanly, Ismet Sheriff. 1971. "Survey of the National Question of Turkish Kurdistan With Historound. Hevra.

– فانلي، عصمت شريف. "مسح المسألة القومية لكردستان التركية مع خلفية تاريخية". زيوريخ هيفرا.

- Yergin, Daniel. 2991. "The prize: The Epic Quest for Oil, Money, and power". New York: Simon & Schuster.

– يرجين، دانييل. ١٩٩١. "الجائزة: الحاجة الملحمية للزيت، والنقود والقوة". نيويورك سيمون وشوستر.

- Zaher, U. 1989. "Political Developments in Iraq 1963- 1980." In "Saddam's Iraq: Revolution or Reaction?", edited by Committee Against Repression and for Democratic Rights in Iraq (CARDRI). London: Zed Books.

- زاهر، ى. ١٩٨٩. "التطورات السياسية فى العراق ١٩٦٢- ١٩٨٠". فى "عراق صدام ثورة أم رجعة؟" تحرير اللجنة ضد القهر ومن أجل الحقوق الديمقراطية فى العراق (ك أردرى). لندن كتب زد.
- Zoryan Institute. 1997. "Problems of Genocide". Toronto: Zoryan Institute of Canada.
- معهد زوريان. ١٩٩٧."مشاكل الإبادة العرقية." تورنتو: معهد زوريان بكندا.

المشروع القومى للترجمة

المشـروع القومـى للترجمـة مشـروع تنميـة ثقافيـة بالدرجـة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحيـاز إلى كل مـا يؤسس لأفكار التـقـدم وحضـور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

العنوان	المؤلف	المترجم
١ - اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ - الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣ - التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤ - كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥ - ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ - اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨ - مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ - التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ - خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١ - مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ - طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ - ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت . عبد الوهاب علوب
١٤ - التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ - الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت أشرف رفيق عفيفى
١٦ - أثينة السوداء	مارتن برنال	ت بإشراف / أحمد عتمان
١٧ - مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ - الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت . طلعت شاهين
١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت · نعيم عطية
٢٠ - قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ - خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت . ماجدة العنانى
٢٢ - مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ - تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ - ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ - مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦ - دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت . أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ - التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ - رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ - الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت . أحمد فؤاد بلبع
٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ - الانقراض	ديفيد روس	ت . مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ - التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤ - الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ - الأسطورة والحداثة	پول . ب . ديكسون	ت خليل كلفت

العنوان	المؤلف	المترجم
٣٦ – نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ – واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ – نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ – الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ – قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ – ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
٤٢ – عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣ – اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت : المهدى أخريف
٤٤ – بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
٤٥ – التراث المغدور	روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ – عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ – حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
٤٩ – الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ – ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١ – مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانوبيا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢ – العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣ – الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ – المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥ – ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦ – الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧ – الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ – مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ – المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ – التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١ – موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢ – لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣ – تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ – برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ – فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ – خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ – مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
٦٨ – نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ – العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ – ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانغ رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ – السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

٧٢ - السياسي العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
٧٣ - نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤ - صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	ت : حسن بيومى
٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
٧٦ - چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت . عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ - تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٣	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ - العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ - شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت . سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠ - بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمرى
٨١ - الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
٨٢ - مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
٨٣ - مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالى
٨٤ - موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥ - منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت : عبد الرازق بركات
٨٦ - طول الليل	جمال مير صادقى	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧ - نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العنانى
٨٨ - الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩ - الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠ - وسم السيف (قصص)	نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١ - المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ - أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجل	ت : نادية جمال الدين
٩٣ - محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤ - الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوى
٩٥ - مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
٩٦ - ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧ - هوية فرنسا (مج ١)	فرنان برودل	ت . بشير السباعى
٩٨ - الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نماذج ومقالات	ت أشرف الصباغ
٩٩ - تاريخ السينما العالمية	ديڤيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠ - مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى
١٠١ - النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢ - السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت . عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣ - قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤ - أوپرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوى
١٠٥ - مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦ - الأدب الأندلسى	د. ماريا خيسوس روبييرامتى	ت : أشرف على دعدور
١٠٧ - صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدى

١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكى
١٠٩ - حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ - النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١ - المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ - الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ - راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ - مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ - المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ - النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١ - الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢ - نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ - الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيتل الكسندر وفنادولينا	ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤ - الفجر الكاذب	چون جراى	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ - التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديڤى	ت : سمحه الخولى
١٢٦ - فعل القراءة	ڤولفانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ - إرهاب	صفاء فتحى	ت : بشير السباعى
١٢٨ - الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ - الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقى جلال
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ - ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ - الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤ - تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ - المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ - فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧ - منكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	چوزيف مارى مواريه	ت : كاميليا صبحى
١٣٨ - عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ - پارسيڤال	ريشارد ڤاچنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ - حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبورى
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومى
١٤٣ - قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ - موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ - الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	ت : على عبد الرؤوف اليمبى
١٤٧ - خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوى
١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩ - النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ - التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت. منيرة كروان
١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٢ - عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكُتّاب	ت : محمد محمد الخطابى
١٥٣ - غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ - مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ - الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت ڤيرمو	ت : مى التلمسانى
١٥٧ - خسرو وشيرين	النظامى الكنوجى	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٩ - الإيديولوجية	ديڤيد هوكس	ت . إبراهيم فتحى
١٦٠ - آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت حسين بيومى
١٦١ - من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ - تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ - موسوعة علم الاجتماع ج ١	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
١٦٤ - شامپليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	ت : نبيل سعد
١٦٥ - حكايات الثعلب	أ . ن أفانا سيفا	ت : سهير المصادفة
١٦٦ - العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ - فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ - دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ - إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ - الطريق	ميغيل دليبيس	ت . بسام ياسين رشيد
١٧١ - وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ - حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابى
١٧٣ - معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت . إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت . أحمد محمود
١٧٥ - التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ - نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت . جلال البنا
١٧٧ - أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ - مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت محمد حمدى إبراهيم
١٧٩ - حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ - قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ - النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ - العنف والنبوءة	و . ب . ييتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ - جان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	ت : فتحي العشرى
١٨٤ - القاهرة .. حالمة لا تنام	هانز إيندورفر	ت : دسوقى سعيد
١٨٥ - أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ - الأرضة	بُرُّرج علَوى	ت : علاء منصور
١٨٨ - موت الأدب	ألفين كرنان	ت : بدر الديب
١٨٩ - العمى والبصيرة	بول دى مان	ت : سعيد الغانمى
١٩٠ - محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجانى
١٩١ - الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ - سياحتنامه إبراهيم بيك	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ - عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ - مختارات من النقد الأنجلو - أمريكى	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ - شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ - المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ - الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ - الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ - تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ - ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت : فخرى لبيب
٢٠١ - الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٠٢ - تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٤	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ - الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت : أحمد محمود هويدى
٢٠٥ - الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى - سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ - الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	ت : على يوسف على
٢٠٧ - ليل إفريقى	رامون خوتاسندير	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ - شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ - السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٠ - مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ - فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	ت : محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢ - قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ - مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر	ريمون فلاور	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ - قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	ت : محمد محمود محى الدين
٢١٥ - سياحت نامه إبراهيم بيك جـ٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢١٦ - جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٧ - مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت	ت : نادية البنهاوى
٢١٨ - رايولا	خوليو كورتازان	ت : على إبراهيم على منوفى

٢١٩ – بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ – الهيولية فى الكون	بارى باركر	ت : على يوسف على
٢٢١ – شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ – فرانز كافكا	رونالد جراى	ت : نسيم مجلى
٢٢٣ – العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	ت : السيد محمد نفادى
٢٢٤ – دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ – حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	ت السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ – أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت : طاهر محمد على البربرى
٢٢٧ – المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	موسى ماردينا ديف بوركى	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ – علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : مارى تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ – مأزق البطل الوحيد	نورمان كيمان	ت : أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠ – عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١ – الدرافيل	خايمى سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ – مابعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣ – فكرة الاضمحلال	أرثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ – الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	ت . فؤاد محمد عكود
٢٣٥ – ديوان شمس تبريزى ج١	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦ – الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ – مصر أرض الوادى	روبين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ – العولمة والتحرير	الانكتاد	ت . ياسر محمد جاد الله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩ – العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارافر – رايوخ	ت . نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠ – الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ – فى انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ – سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت صبرى محمد حسن عبد النبى
٢٤٣ – تاريخ إسبانيا الإسلامية جـ١	ليفى بروفنسال	ت · مجموعة من المترجمين
٢٤٤ – الغليان	لاورا إسكيبيل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ – نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق على منصور
٢٤٦ – قصص مختارة	جابرييل جرثيا ماركث	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٤٧ – الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	وولتر أرمبرست	ت : محمد الشرقاوى
٢٤٨ – حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت · عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ – لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ – علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت : ماجدة أباظة
٢٥١ – موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٥٢ – رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت · على بدران
٢٥٣ – تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	ت : حسن بيومى
٢٥٤ – الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ – أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ – ديكارت	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ – تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ – الفجر	سير أنجوس فريزر	ت : عُبادة كُحيلة
٢٥٩ – مختارات من الشعر الأرمنى	نخبة	ت : ڤاروچان كازانچيان
٢٦٠ – موسوعة علم الاجتماع ج٣	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٦١ – رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ – مدينة المعجزات	إدوارد مندوثا	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ – الكشف عن حافة الزمن	چون جريبن	ت : على يوسف على
٢٦٤ – إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلى	ت : لويس عوض
٢٦٥ – روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	ت : لويس عوض
٢٦٦ – مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ – فن الرواية	ميلان كونديرا	ت : بدر الدين عرودكى
٢٦٨ – ديوان شمس تبريزى ج٢	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧٠ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧١ – الحضارة الغربية	توماس سى . باترسون	ت : شوقى جلال
٢٧٢ – الأديرة الأثرية فى مصر	س. س. والترز	ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ – الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت : عنان الشهاوى
٢٧٤ – السيدة بربارا	رومولو جلاجوس	ت : محمود على مكى
٢٧٥ – ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ – فنون السينما	فرانك جوتيران	ت : عبد القادر التلمسانى
٢٧٧ – الچينات . الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزى
٢٧٨ – البدايات	إسحق عظيموف	ت : ظريف عبد الله
٢٧٩ – الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ – من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت : سمير عبد الحميد
٢٨١ – الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	ت : جلال الحفناوى
٢٨٢ – طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	ت : سمير حنا صادق
٢٨٣ – السهل يحترق	خوان رولفو	ت : على البمبى
٢٨٤ – هرقل مجنوناً	يوريبيدس	ت : أحمد عتمان
٢٨٥ – رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ – رحلة إبراهيم بك ج٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢٨٧ – الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كينج	ت : محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ – الفن الروائى	ديفيد لودج	ت : ماهر البطوطى
٢٨٩ – ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت : محمد نور الدين
٢٩٠ – علم الترجمة واللغة	جورج مونان	ت : أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج١	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر
٢٩٢ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج٢	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر

٢٩٣ – مقدمة للأدب العربى	روجر آلان	ت : نخبة من المترجمين
٢٩٤ – فن الشعر	بوالو	ت : رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ – سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت : بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ – مكبث	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوى
٢٩٧ – فن النحو بين اليونانية والسوريانية	ديونيسيوس ثراكس – يوسف الأهوانى	ت : ماجدة محمد أنور
٢٩٨ – مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	ت : مصطفى حجازى السيد
٢٩٩ – ثورة التكنولوچيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت : هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠ – أسطورة بروميثيوس مج١	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى وبهاء چاهين
٣٠١ – أسطورة بروميثيوس مج٢	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى ومحمد الجندى
٣٠٢ – فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣ – بـوذا	جين هوب وبورن فان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤ – ماركس	ريـوس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥ – الجلد	كروزيو مالابارته	ت : صلاح عبد الصبور
٣٠٦ – الحماسة – النقد الكانطى للتاريخ	چان – فرانسوا ليوتار	ت : نبيل سعد
٣٠٧ – الشعور	ديفيد بابينو	ت : محمود محمد أحمد
٣٠٨ – علم الوراثة	ستيف جونز	ت : ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩ – الذهن والمخ	انجوس چيلاتى	ت : جمال الجزيرى
٣١٠ – يونج	ناجى هيد	ت : محيى الدين محمد حسن
٣١١ – مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	ت : فاطمة إسماعيل
٣١٢ – روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	ت : أسعد حليم
٣١٣ – أمثال فلسطينية	خايير بيان	ت : عبد الله الجعيدى
٣١٤ – الفن كعدم	جينس مينيك	ت : هويدا السباعى
٣١٥ – جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	ت :كاميليا صبحى
٣١٦ – محاكمة سقراط	أ. ف. ستون	ت : نسيم مجلى
٣١٧ – بلا غد	شير لايموفا – زنيكين	ت : أشرف الصباغ
٣١٨ – الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت . أشرف الصباغ
٣١٩ – صور دريدا	جايتر ياسبيفاك وكرستوفر نوريس	ت حسام نايل
٣٢٠ – لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٢١ – تاريخ إسبانيا الإسلامية ج٢	ليفى برو فنسال	ت : نخبة من المترجمين
٣٢٢ – التأريخ الغربى للفن الحديث	دبليوجين كلينباور	ت : خالد مفلح حمزة
٣٢٣ – فن الساتورا	تراث يونانى قديم	ت : هانم سليمان
٣٢٤ – اللعب بالنار	أشرف أسدى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٢٥ – عالم الآثار	فيليب بوسان	ت : كرستين يوسف
٣٢٦ – المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت : حسن صقر
٣٢٧ – مختارات شعرية مترجمة	نخبة	ت : توفيق على منصور
٣٢٨ – يوسف وزليخة	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت عبد العزيز بقوش
٣٢٩ – رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت : محمد عيد إبراهيم

٣٣٠ – كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	ت : سامي صلاح
٣٣١ – عندما جاء السردين	ستيفن جراي	ت : سامية دياب
٣٣٢ – رحلة شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	ت : علي إبراهيم علي منوفي
٣٣٣ – الإسلام في بريطانيا	نبيل مطر	ت : بكر عباس
٣٣٤ – لقطات من المستقبل	أرثر س. كلارك	ت : مصطفى فهمي
٣٣٥ – عصر الشك	ناتالي ساروت	ت : فتحي العشري
٣٣٦ – متون الأهرام	نصوص قديمة	ت : حسن صابر
٣٣٧ – فلسفة الولاء	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصاري
٣٣٨ – قصص قصيرة من الهند	نخبة	ت : جلال السعيد الحفناوي
٣٣٩ – تاريخ الأدب في إيران جـ٣	علي أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٤٠ – اضطراب في الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	ت : فخري لبيب

٢٠٠٢/٨٢٤٥

977-5769-59-0

التنفيذ والطباعة: Stampa

11 ميدان سفنكس - المهندسين

تليفون: 3034408







اضطراب
فى الشرق الأوسط

يتناول هذا الكتاب بالبحث ديناميكيات القوى الاجتماعية الكامنة وراء الاضطراب السياسى فى الشرق الأوسط المعاصر، وهو إذ يركز الأحداث السياسية الكبرى فى القرن العشرين، يستكشف أصول وطبيعة وتناقضات النزاعات التى حولت تلك المنطقة المهمة من العالم إلى منطقة لا تعرف الاستقرار.

كما يعرض الكتاب للمنافسة بين القوى الإمبريالية المتصارعة والتى حولت الشرق الأوسط إلى ساحة نزاع للسيطرة على أراضى وشعوب المنطقة على مدى القرن العشرين، والعمل باختصار بمثابة ملف عن الشرق الأوسط مهم وضرورى للشباب لمعرفة ماذا حدث وماذا يحدث وماذا يمكن أن يحدث.

تصميم الغلاف : أسامة العبد

